جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية: الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: .....

رقم التسجيل : DL/14/16

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب العربي

المعايير النصية في كتاب : "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" للبقاعي" الجزآن "1-2"أنموذجا

-دراسة في ضوء لسانيات النص -

إعداد الطالبة :

حياة شويطر

إشراف الدكتور:

سليمان بوراس

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
إبراهيم زلافي	أستاذ محاضر (أ)	جامعة المسيلة	رئيسا
سليمان بوراس	أستاذ	جامعة المسيلة	مشرفا و مقررا
واسيني بن عبد الله	أستاذ محاضر (أ)	جامعة المسيلة	ممتحنا
البشير عزوزي	أستاذ محاضر (أ)	جامعة برج بوعريريج	ممتحنا
حفيظة بن قانة	أستاذ محاضر (أ)	جامعة برج بوعريريج	ممتحنة
عمار لعويجي	أستاذ محاضر (أ)	المركز الجامعي بريكة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1441 / 1442هـ - 2020 /2021 م

رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (25) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (26) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي (28)

صدق الله العظيم

حياة شويطر

إهـــداء

إلى من جرعت الكأس فارغا لتسقني قطرة حب، إلى من علّمتني أنّ الحب عطاء، وأنّ العطاء ليس له حدود _ أمي الغالية_

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم، إلى الشمعة التي احترقت لتنير لي طريق حياتي _ أبي الغالي_

إلى الأرواح التي انتظرت فرحتي ورحلت قبل رؤيتها، إلى الأرواح الراحلة من دنيانا، الباقية في قلوبنا.

أهدي هذا العمل المتواضع.

حياة شويطر

مقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلّمه البيان والذي اقتضت مشيئته سبحانه اختلاف الألسنة والألوان، والصّلاة والسّلام على سيّد الخلق أجمعين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين وبعد:

تعدّ اللّغة أداة اتصال بين البشر تحقق غرض التبليغ والتواصل، ولذلك كانت محل دراسة وعناية وتحليل من أجل كشف أسرارها ومعرفة مكنوناتها، فحظيت بنصيب وافر من الاهتمام من قبل المتخصّصين في هذا المجال منذ القدم، فكانت الجملة بؤرة الاهتمام ومركز الدوران، واعتبرت الوحدة الأساسية للدراسة خصوصا عند أصحاب النظريات اللسانية، لكنّ الاهتمام الشديد باللّغة والتطور الحاصل في جميع العلوم أحدث قفزة نوعية في هذا الجانب، ونقل محورية البحث اللساني إلى درجة أعلى ممّا كان عليه، فتجاوز محورية الجملة في الدراسة لما شملته من نقائص، إذ لا يمكن دراسة المعنى منفصلا عن سياقه اللساني المتمثل في البنية اللغوية الكبرى النص، من هذا المنطلق نشأ علم جديد يهتم بدراسة النصوص وتحليلها وهو ما يعرف اليوم ب "لسانيات النص" هذا العلم الذي يبحث في تماسك النصوص وتعالقها حتى تكون وحدة كلية تؤدي أغراضا معينة في مقامات تبليغية محددة.

وانطلاقا من هذا وسمت لسانيات النص بسمة الاتّساع، وقد فرض هذا الاتّساع النظري على المقاربة النصية أن تستثمر ما هو متاح في الحقول المعرفية المجاورة كالتداوليات، واستراتيجيات التأويل، ولسانيات الجملة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع.

وقد تميّز هذا العلم بحداثته وتنوّع موضوعاته، فتعددت المدارس اللسانية النصية وظهرت العديد من المصطلحات الخاصة به، ومن أهم المفاهيم التي جاء بها هذا العلم المعايير النصية المتمثلة في:السبك والحبك، القصدية والمقبولية، المقامية والإعلامية، إذ تعد هذه المعايير الركيزة الأساسية لبنائه، ومن دونها لا يكون النص نصا.

ولعلّ من الإنصاف أن نقول إنّ ما جاء به هذا العلم لم يكن بمنأى عمّا قدّمه تراثنا العربي، فقد كان لهذا التراث السبق في إبراز كثير من المفاهيم النصية، ولعل ما تركه التراث البلاغي والنحوي، والتراث النقدي، وعلوم القرآن والتفسير ما يثبت ذلك ويؤكّده.

فقد أكّدت القراءة في تراثنا العربي أن ثمّة ممارسات وتحليلات نصية اقتربت من التحليلات النصية المعاصرة للنصوص، فقد كان عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)، والقرطاجني(ت684هـ)، والبقاعي(ت885هـ)، والسيوطي(ت911هـ)، وغيرهم من علماء العربية الذين أظهرت ممارساتهم وتحليلاتهم النصية الوقوف على عناصر وأصول تتصل بهذا العلم، إلاّ أنّها لم تأخذ شكل النظرية أو تتشكل بقوالب علمية متكاملة.

من هنا تأتي أهمّية هذا البحث في كونه محاولة للرّجوع إلى التراث العربي والبحث عن ملامح الدراسات النصية فيه، خاصة وأن الحضارة العربية توصف بحضارة النص، وقد جاء تحت عنوان:

"المعايير النصية في كتاب نظم الدر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي الجزآن "2.1"أنموذجا "

– دراسة في ضوء لسانيات النص–

وقد جاء هذا العمل بغية التأصيل لما جاءت به لسانيات النص اليوم من معايير في تراثنا العربي، وللربط بين التفكير اللساني الحديث والمعاصر بالتراث انطلاقا من إشكالية تتمثل في عدّة تساؤلات مفادها:

*فيم تتمثل الجهود اللسانية العربية القديمة؟ وما أهمية جهود القدماء في إثراء الدرس اللساني الحديث؟

*ما هو واقع الدراسات اللغوية الحديثة؟ وما قيمة تراثنا اللغوي في ضوء ما وصلت إليه الدراسات اللغوية الحديثة؟

*ما مدى تأثّر اللسانيات الغربية بالتراث اللغوي العربي؟

*وأخيرا كيف تجلت المعايير النصية في كتاب البقاعي، وإلى أي مدى يمكن لنا أن نؤصّل للدرس اللساني الحديث ؟

لم يكن اختياري لهذا الموضوع من باب المصادفة، وإنّما كان وليد اهتمام سابق بهذا المجال، وميل شديد في داخلي، ورغبة ملحة في أن تكون لي بصمة في هذا الرصيد المعرفي، هذه الرغبة التي شاءت لها الأقدار أن تتحقق حينما تبنّت كلية الآداب واللغات بجامعة محمد بوضياف مشروع: تحليل الخطاب وعلم النص وكنت بفضل الله وعونه من المنتسبين إلى هذا المشروع، فكان لا بد أن يكون العمل في هذا الإطار المرسوم، وأمّا سبب اختيار البحث في لسانيات النص على وجه التحديد فيعود إلى تلك العلاقة التي جمعتني بهذا الموضوع سنة 2012 بنفس الجامعة حيث كان الاتساق ميدانا لدراسة حملت عنوان:«**الاتساق النحوي في معلقة امرئ القيس**» حصلت بها على شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي، كما جمعتني الفرصة مرة أخرى مع الموضوع ذاته في رسالة تحصّلت بها على شهادة الماجستير كانت بعنوان: **مظاهر اتساق الخطاب الشعري ديوان"مية"** لمحمد حديبي فكان أن لاحظت في هذا الموضوع أهمية بالغة في تماسك النصوص، فأردت اليوم أن أواصل البحث والعمل فيه ولكن بشكل أعم تعدى معيارا واحدا من معايير النصية إلى المعايير كلها، وأما اختياري لمدونة نظم الدرر في تناسب الآيات والسور على وجه الخصوص فكان لإبراز مدى غنى تراثنا العربي بالكثير من القضايا اللغوية التي لم تدركها اللسانيات الغربية إلاّ منذ قرن من الزمن، ولأن نظم الدرر يمثّل واحدا من الكتب التي تمثلت فيها لسانيات النص.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يسير وفق منهجية مكوّنة من :

* **مدخل تمهيدي:** جاء هذا الفصل نظريا بحتا تم التطرق فيه إلى نشأة لسانيات النص كعلم جديد ثم عرج البحث إلى مفهوم النص انطلاقا من الدراسات العربية القديمة وصولا إلى الدراسات اللغوية الحديثة، وكان لزاما على البحث أن يشير إلى المعايير النصية باعتبارها

أهم ما جاء به هذا العلم، كما أشار إلى الأهداف العلمية والإجرائية لنحو النص، وفي الأخير عرج إلى التعريف بالمدونة موضوع الدراسة وصاحبها.

بعد هذا الفصل التمهيدي جاءت ثلاثة فصول امتزجت فيها الدراسة بين النظري والتطبيقي حيث كان لكل محور ما يقابله من الدراسة التطبيقية على المدونة.

الفصل الأول: جاء بعنوان الاتساق والانسجام في نظم الدرر للبقاعي

تم تقسيمه إلى مبحثين خصّص الأول للاتساق، وتم التطرق فيه إلى مفهوم الاتساق وأنواعه وأدواته، أما المبحث الثاني فخصّص للانسجام، تطرق فيه البحث إلى مفهوم الانسجام، وآلياته في نظم الدرر كالسياق، الإجمال، والتفصيل، خصّص الجزء الأكبر منه للمناسبة لكونها علما قائما بذاته أتى به البقاعي.

الفصل الثاني: خصّص للمقامية والإعلامية في نظم الدرر

تم تقسيمه إلى مبحثين خصّص الأول للسياق، فتحدث عن مفهوم السياق وأنواعه، والدلالة السياقية عند البقاعي كدلالة الأمر، والاستفهام، أما المبحث الثاني فخصّص للإعلامية، وتطرق إلى مفهوم الإعلامية، ودرجاتها، وآلياتها في نظم الدرر.

والفصل الثالث: جاء بعنوان القصدية والمقبولية في نظم الدرر.

تحدّث في المبحث الأول عن مفهوم القصد انطلاقا من التراث وصولا إلى الدراسات اللغوية الحديثة، ثم عرج البحث إلى القصدية والمتلقي، وآليات القصد عند البقاعي كمقصدية الخبر والإنشاء، ومقصدية الالتفات والعدول، ومقصدية المجاز. أمّا المبحث الثاني فخصّص للمقبولية، تمّ التحدّث فيه عن مفهوم القبول انطلاقا من التراث وصولا إلى الدراسات اللغوية الحديثة، ثم عرج البحث إلى المقبولية والسياق، المقبولية وإستراتيجية التلقي، وختم الفصل بمظاهر المقبولية في نظم الدرر .

وختم البحث بخاتمة لخصت النتائج المتوصل إليها.

وقد اعتمدت في إنجاز هذا البحث إضافة إلى مدونة البحث على مجموعة من المصادر والمراجع منها ما هو تراثي ومنها ما هو حديث، وأما التراثية فمنها:

كتاب معاني القران للفراء(ت207هـ)، وكتابا (أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز) للجرجاني(ت471هـ)، وكتاب مفتاح العلوم للسكاكي(ت626هـ)، وكتابا تلخيص المفتاح، والإيضاح للخطيب القزويني(ت682هـ)، وكتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي(ت794هـ)، وكتاب الإتقان في علوم القران للسيوطي(ت911هـ).

أما الدراسات الحديثة فمنها:

علم النص لجوليا كريستيفا Julia Kristeva، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه لمحمد الأخضر الصبيحي، الإحالة في نحو النص، وكذا كتاب نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي لأحمد عفيفي، النص والخطاب والإجراء لروبرت دي بوجراند Robert De Beaugrand's، النص والسياق لفان ديك Virgil van Dijk، نسيج النص للأزهر الزناد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب لمحمد خطابي، و استفدت من بعض الرسائل العلمية مثل:

- البقاعي ومنهجه في التفسير: لأكرم عبد الوهاب محمد أمين، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد 1992
- الأساليب البلاغية في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: لعقيد خالد حمودي محيي العزاوي، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة بغداد/ 2002م

وقد واجه هذا العمل جملة من الصعوبات كان أهمّها سعة الموضوع وحجم المدونة، وكذا صعوبة الحصول على المدونة محقّقة في المكتبات حتى سهّل الله لي أن حصلت على نسختين كاملتين: الأولى التي اعتمدت عليها مؤلفة من اثنين وعشرين مجلداً، ولذلك اخترت الجزأين 1.2 فقط. والأخرى بثماني مجلدات محققة للأحاديث ودرجتها فقط، ومن تلك

المصاعب أيضا ارتباط البحث بالقران الكريم الذي يحتاج إلى فهم نصوصه فهماً دقيقاً خوفاً من الوقوع في خطأ التأويل أو التفسير، لاسيما أنّ البقاعي كان كثير التأويل.

وقد تمّ الاعتماد على **المنهج الوصفي التحليلي:** من خلال وصف جهود الدرس اللغوي العربي، ثم ما جاء به الدرس اللغوي الغربي في مجال لسانيات النص، وكذا من خلال تحليل هذه العلاقات .

وإذا كان هذا العمل قد تم بعد جهد مضن فانّ الفضل في انجازه يعود إلى ما لاقاني به أستاذي المشرف "**الدكتور سليمان بوراس**" من رحابة صدر، فقد كان لي خير أستاذ مشرف وخير قدوة، فهو الذي أنار لي طريق البحث بنصائحه القيّمة وتشجيعاته المتواصلة، فله مني خالص الشكر والعرفان.

وأخيرا أسأل الله تعالى أن يوفقني إلى ما فيه الخير والسداد و يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم.

حياة شويطر

مدخل تمهيدي

لسانيات النص: المفهوم،النشأة والتطور

الفصل الأول :

المبحث الأول : نشأة لسانيات النص

- ❖ مفهوم علم النص
- ❖ نشأة لسانيات النص ومرتكزاتها
- ❖ الأهداف العلمية والإجرائية لنحو النص

المبحث الثاني : مفهوم النص

- ❖ مفهوم النص
- ❖ معايير النصية
- ❖ مقاربات لسانيات النص

مفهوم علم النص:

على الرغم من تعدد مصطلحات علم النص إلا أنها تبدو مكملا بعضها لبعض وهذا ما سيتبين من خلال هذه التعريفات.

يعرف ريتشاردز J.Richardz علم النص في المعجم اللساني بأنه "أحد فروع علم اللغة الذي يهتم بدراسة النصوص المنطقية والمكتوبة، وتوضح هذه الدراسة طريقة تنظيم أجزاء النص وترابطها لتصبح كلاً مفيدًا." [1]

ويحدّده برنارد شبلر B. Spiller بقوله: "هو ما يرمز له بنحو النص أو علم اللغة النصي، أو بعلم النص، وذلك بناءً على وجهات النظر المختلفة. " [2]

- ولسانيات النص كما يراها كول مايلر kollmyer ، فإنها تشكل مستوى فرعيا من محاور علم اللغة، فتعني بوصف الصيغ اللغوية معتبرة النصوص وحدات لغوية متناسقة بينها علاقات رابطة، ساعية أحيانا إلى وصف الصّلات المرجعية والصّلات الرابطة في النص، هذا يعني أن لسانيات النص تتأسس على نظرية النص وتشترطها لتكتمل دراستها وتحليلاتها وتفسيراتها وتأويلاتها .[3]

ويورد يلمسليفLouis Hjelmslev في كتابه مدخل إلى علم النص أنه يفهم تحت عنوان – نحو النص–"ذلك الفرع من قواعد النص التي لم تقم بعد، وهو الذي يصف وسائل التعبير المسؤولة عن عملية تشكيل النص، وخلافا لدلالة النص وبراغماتية النص يقتصر مجال نحو النص على الوسائل. [4]

---

[1] فهمية لحلوحي، مجلة علم النص، تحريات في دلالة النص وتداوله، جامعة محمد خيضر بسكرة، جانفي وجوان 2012، ص213.

[2] المرجع نفسه، ص 212.

[3] خالد محمود جمعة، نظرية النص بين التنظير والتطبيق، مجلة علامات، ج49، م13،سبتمبر 2003, ص:508.

[4] يلمسليف، مدخل إلى علم النص ترجمة، سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتويع، ط 1،القاهرة. 2003م، ص : 60

أما الأزهر الزناد فيرى أن لسانيات النص " تدرس النص من حيث هو بنية مجردة تتولد بها جميع ما نسمعه أو نطلق عليه لفظ " نص "، ويكون ذلك برصد جميع العناصر القارة في جميع النصوص المنجزة مهما كانت مقاماتها وتواريخها ومضامينها، وتبحث في ما يكون به الملفوظ نصا ".[1]

من هنا فعلم النص جاء لرصد العلائق التي تضم الجمل بعضها إلى بعض، واستنادا إلى هذه المفاهيم يمكن القول بأن علم النص هو ذلك الفرع الذي يهتم بدراسة النصوص وكل ما يتعلق بها حتى تصبح كلا مفيدا.

ويرى بعض الباحثين أن هذا العلم يتفرع إلى ثلاثة مجالات هي :[2]

علم النص النظري: نظرية النص: ومن اهتمامات هذا الفرع قضايا النص النظرية مثل: علم بناء النص (تشكيل النص) باختلاف أنواعها وأشكالها.

علم النص الوصفي: (تحليل النص) بوصفه علما عمليا فهو يقوم بتحليل النصوص وتصنيفها.

علم النص التطبيقي: ويرصد هذا الفرع عمليات استخدام النصوص واستيعابها وتعليمها.

نشأة علم النص:

تعدّ لسانيات النص أخر خطوة خطاها علم اللغة في مساره العلمي المنضبط دون كل العلوم الإنسانية، وقد مر علم اللغة بمرحلة مثالية اهتم فيها اللغويون بالكلام واستنبطوا منه قواعد اللغة، فكان أن فرضوا قواعدهم على الكلام وإلزامه بها، إلا أن الهوّة بين الاستعمال والقواعد اتّسعت، لأنّ الكلام لا يلتزم إلا بمقتضيات الواقع فكانت العودة إلى الكلام ومقاصد المتكلم في مرحلة ثانية .[3]

---

[1] الأزهر الزناد، نسيج النص–بحث في ما يكون به الملفوظ نصا –المركز الثقافي العربي، ط1،الدار البيضاء، المغرب، 1993، ص:18

[2] فهيمة لحلوحي، تحريات في دلالة علم النص وتداوله،ص : 227.

[3] عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب والقاهرة، ط2، 2009،المقدمة

وفي المرحلتين كان الارتكاز على الجملة باعتبارها الوحدة الكبرى للبحث اللغوي، وأصبحت النصوص الكبرى بعيدة عن مرمى الدراسات اللغوية، فصارت الحاجة إلى تخطي الجملة أكثر من ضرورة .[1]

وقد رافق منتصف الستينيات ومطلع السبعينيات من القرن الماضي ميلاد فرع معرفي جديد، أجمع الباحثون والدارسون على أنه أحدث فروع علم اللغة، حيث نشأ في المحيط اللغوي الألماني على يد مجموعة من الباحثين أمثال هارتمان P.Hartman وهارفج R.HARWEG وشميث S .F.Schmidt وغيرهم، اتفق على تسميته بعلم النص أو لسانيات النص.[2]

ويعد الدارسون نحو النص (اللسانيات النصية) حلقة من حلقات التطور الموضوعي والمنهجي في اللسانيات الحديثة، وصيغ التعامل مع الظاهرة اللسانية في الوضع والاستعمال، فنشأته مدينة للنحو التوليدي الذي أسهم بشكل مباشر في الانتقال من بنية الجملة ومكوناتها القاعدية إلى البحث المنظم في العلاقات بين الجمل في بنية أكبر يمثلها النص، وهذا ما حرص على التنبيه إليه الأمريكي هاريسHarris في كتابه تحليل الخطاب.[3]

ولقد عرفت الدراسات النصية بعد ذلك مزيدا من التطور والضبط المنهجي خاصة على يد فان دايك VAN.DIJK مما جعل بعض اللغويين يرون فيه المؤسس الحقيقي لعلم النص، وقد ضمن أفكاره وتصوراته لأسس هذا العلم في كتابه (بعض مظاهر نحو النص) مع الإشارة إلى انه لم يفرق بين النص والخطاب، ولم يتدارك ذلك إلا في كتابه الثاني (النص والسياق).[4]

---

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[2] فهمية لحلوحي، مجلة علم النص، تحريات في دلالة النص وتداوله،ص : 209

[3] نعمان بوقرة ،(نحو النص مبادئه واتجاهاته الأساسية في ضوء النظرية اللسانية الحديثة)، مجلة علامات ج1، مج16 جمادى الأولى 428، ماي 2007ص: 8.

[4] محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، منشورات الاختلاف، ط 1 الجزائر، 2008 ص:62

غير أنّ الدراسات النصية لم تبلغ أوجها إلا مع روبرت دي بوجراند في الثمانينيات من القرن الماضي، وذلك من خلال كتابيه (مدخل إلى لسانيات النص) وكتاب (النص والخطاب والإجراء)، ولقد قدّم اللغويون مجموعة من الحجج الداعية لقيام هذا العلم أولها: أن الجملة ليست الوحدة القاعدية للتبادلات الكلامية والخطابية بل النص هو وحدة التبليغ والتبادل .[1]

وثانيها: أن الجملة لا تكتسب هويتها الحقيقية إلا في إطار الخطاب أو السياق، ثم إن تحديد بعض الوحدات غير اللغوية (العناصر الاشارية)لا يمكن إن يتم إلا بالرجوع إلى مقام التلفظ .

مرتكزات لسانيات النص :

ترتكز لسانيات النص على وصف الموضوعات المتناولة بيان الروابط اللغوية، والدلالية الموجودة وما تؤدي إليه من اتساق وانسجام بين جمل النص، حتى تغدو كأنها جملة واحدة، وكذا تحليله ويتم فيه بيان الروابط الخارجية، والاهتمام بالسياق الذي يؤدي دورا هاما في جمع أشتات النص التي تظهر متفتتة فتصبح متناسقة .[2]

بالإضافة إلى الوقوف عند بنية النص المتمثلة في المستوى الصوتي والتركيبي والدلالي إضافة إلى المستوى الاستراتيجي، والمتمثل في اختيار إستراتيجية معينة للنص، وكل هذا يجعل النص ظاهرة تتجاوز ما هو لغوي أي أن تحليل النص لا ينحصر في مقولات اللغة، أما عبارة "النص عملية إنتاجية "فتعني أولا أن علاقته باللغة التي يتموقع فيها هي علاقة إعادة توزيع وهذا يعني أن النص ليس وصفا أو سردا لحقائق اللغة فحسب، بل تترك الحرية للمفسرين، وانطلاقا من هذا فانّ النص عملية إنتاج.

[1] المرجع نفسه،ص:66

[2] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص،الشركة العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1996، ص: 247.

وفي هذا المجال يؤكد جان ميشال آدم Jean-Michel Adam على تلقي النصوص، وتفاعل القارئ المستقبل لها، حيث يمكن أن تتوافق أهدافه مع أهداف مؤلف النص،[1] كما يمكن ألا تتوافق فقد يصير النص الأصلي نصا آخر عند التلقي والقراءة ليناسب معتقد ومعارف وأهداف المتلقي ومن هنا تبرز الفضاءات الذهنية وهي مساحة المعارف المشتركة بين المؤلف والمتلقي وقوامها الترابط والانسجام، [2] وذلك أن الترابط بين أجزاء النص من أهم قواعد النصية، ودراسة اتساق النص وانسجامه يشكل موضوعات اللسانيات النصية التي تدرس وتجعل شكل النص عبارة عن تسلسل للجمل، فقد قدم "فان دايك" نماذج نصية حول دراسة النص، اعتمد فيها على عناصر لغوية، فأدخل فيها مكونات نفسية ومنطقية، دلالية واتصالية، إلى جانب المكونات التحويلية والدلالية والتداولية،[3] فالنصية اتخذت النص وسياقاته التداولية وحدة أساسية للدراسة بصورة مشتركة بين عدة مناهج ونظريات إجرائية، وهذا يظهر في أعمال روك هانس (Rucks.H) الذي أشار إلى أن النصانية تختلف عن كل من البنيوية والتوليدية في أنها تجعل النص وحدة دراسية بدل الجملة، والعلم الذي يهتم ببنية النصوص اللغوية وتحاول اللسانيات النصية أن تعيد تأسيس الدراسة اللسانية على قاعدة أخرى من النص ليس غير.[4]

وبناء على ما سبق فإنّ الخطوات الإجرائية التي سيتم معالجة وفقها ستكون على النحو التالي:

أولا : النظرة إلى الدائرة النصية ومعالم النصية، وذلك عبر :

---

[1] سعيد حسن بحيري،علم لغة النص ،ص : 122.

[2] احمد عفيفي، نحو النص، ص : 118.

[3] المرجع نفسه،ص : 94.

[4] بن الدين بخولة، الإسهامات النصية في التراث العربي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات النصية، تخصص معجميات، كلية الآداب واللغات،جامعة وهران، 2016 ص: 73

- تحديد البنية الكلية للنص، وذلك من خلال البحث في الدلالة العامة للنص، وإبراز أثر السياق العام في تحديد هذه الدلالة العامة.
- تحديد البنى النصية الكبرى، وذلك من خلال حصر الأركان العامة التي تتشكل منها البنية الكلية للنص، والتوقف عند أهم المحطات في النص.
- تفكيك البنى النصية الصغرى التي تشكل البنى النصية الكبرى، وبيان الكيفية التي تتماسك بها هذه البنى فيما بينها، وأثر أدوات التماسك في البنية الكلية للنص، والكفاية النصية فيه.

ثانيا: أدوات نحو النص وعلائقه التي تحكم النص من خلال البحث في:

- الوحدة النصية العامة:وتشمل موضوع النص، وقائله، وأين قيل النص، ومتى قيل، ولماذا قيل، والسياق النصي الخاص، والإحالات الخارجية .
- الوحدات النصية الكبرى: وفيها يتم وصف النص شكليا، وتحدد الجوانب المحورية التي تتفاعل عن طريق الترابط المفهومي والعناصر المنطقية .
- الوحدات النصية الصغرى: وتشمل وسائل الاتساق، وعناصر الترابط الوصفي وتعالق الوقائع مثل: الترتيب الزمني، وعلاقة السبب بالنتيجة، والعلاقة بين معاني الكلمات الواردة في الجمل.[1]

<u>الأهداف العلمية والإجرائية لنحو النص:</u>

تسعى لسانيات النص إلى تحليل البنى النصية واستكشاف العلاقات النسقية المفضية إلى اتساق النصوص وانسجامها والكشف عن أغراضها التداولية، إذ يرى صبحي إبراهيم الفقي، إنّ مهام لسانيات النص تتجلى في إحصاء الأدوات والروابط التي تسهم في التحليل ويتحقق هذا الأخير بإبراز دور تلك الروابط في تحقيق التماسك النصي مع الاهتمام بالسياق وأنظمة التواصل المختلفة[2].

[1]. بن الدين بخولة، الإسهامات النصية في التراث العربي، ص: 74.

[2] صبحي إبراهيم الفقي، علم لغة النص، ج1,ص : 56

فلسانيات النص تراعي في وصفها وتحليلاتها عناصر لم توضع في الاعتبار من قبل، وتلجأ في تفسيراتها إلى قواعد تركيبية[1]، وقواعد دلالية ومنطقية،[2]بحيث تسعى إلى تحقيق هدف يتجاوز قواعد إنتاج الجملة إلى قواعد إنتاج النص، إذ لم يعد الاهتمام مقتصرا على الأبعاد التركيبية للعناصر اللغوية في انفرادها وتركيبها، بل لزم أن تتداخل معها الأبعاد الدلالية والتداولية، حتى يمكن أن تفرز نظاما من القيم والوظائف التي تشكل جوهر اللغة، إذ ليس من المجدي الاهتمام بالوصف الظاهري للمفردات، وأبنية تتضمن في أعماقها دلالات متراكمة نشأت عن استخدامها وتوظيفها في سياقات ومقامات متعددة.

يهدف نحو النص إلى صياغة القواعد الممكنة من تحديد كل النصوص النحوية في لغة ما بوضوح، وتزويد المتلقي بوصف شامل للأبنية، وهذا يُحتم إعادة بناء شكلية للكفاية اللسانية لمستخدم لغة ما يتمكن من إنتاج عدد لا نهائي من النصوص[3] .

كما يسعى نحو النص في المستوى التحليلي إلى الكشف عن الأبنية السطحية والعميقة للنصوص من خلال البحث في علاقات الترابط والتناغم والكشف عن العلاقات الرابطة بين القارئ والنص والمنتج ضمن ثلاثية(نص / سياق / تداول)[4].

فشيوع الجمل وتداولها بتحكم بشكل كبير في معيار مقبوليتها دلاليًا كما يهدف علم النص أيضًا إلى إبراز أوجه الاطراد اللغوية في النصوص ولعلّ أبين مثال على هذا دراسة برينكمان Brinkman حول تحويلات الضمائر في سياق دراسة التماسك النصي وقيام هذه تتم عملية تفسير العلاقات التداولية في النص[5].

---

[1] سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص : 135

[2] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص،الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1، لونجمان، مصر، 1996، ص: 321-322

[3] نعمان بوقرة، (نحو النص مبادئه واتجاهاته الأساسية في ضوء النظرية اللسانية الحديثة)، مجلة علامات، ص: 25.

[4] نعمان بوقرة ،المرجع نفسه، ص :26.

[5] نعمان بوقرة ، المرجع نفسه، ص :26.

أما فاينريش (Vanrich) فقد دافع عن أنّ اللسانيات لا يمكن أن تكون إلا نصية مما يفضي إلى وجوب إطلاقها من النص موضوعًا للوصف العلمي ويتحدّد المعنى النصي عنده في ضوء وصف وتفسير عمل الإحالة بنوعيها: القبلية والبعدية[1].

ويرى دي بوجراند أن العمل الأهم للسانيات النص هو دراسة مفهوم النصية "Textuality " من حيث هو عامل ناتج عن الإجراءات الاتصالية المتخذة من أجل استعمال النص[2].

في حين يرى صبحي إبراهيم الفقي أنّ من أسباب اللجوء إلى الدراسة النصية هو أنّ أوجه الترابط التي أفرزتها التحليلات على مستوى الجملة لم تعد كافية لتغطية مستوى النص وإيجاد العلاقة بين فقرة وفقرة، ونص ونص، وهذا يبرز عند النظر إلى السور القرآنية، فلا يمكن إدراك هذه الصلة والترابط من خلال نحو الجملة، بل النظرة النصية كما هي بمفهومها الواسع[3].

ومن هنا فلسانيات النص جاءت لتثبت نصية نص ما من عدمها، إذ تفيدنا في التفريق بين ما هو نص يعتمد في الدراسة والوصف والتحليل، وما هو ليس بنص، فهي بمثابه غربال يكشف به ترابط النص في وحدة عائقية، تلتحم أجزاؤه لتشكل لنا وحدة كلية شاملة، أو يبين لنا عدم الترابط والالتحام بين هذه الأجزاء والوحدات .

مفهوم النص :

[1] المرجع نفسه، ص :27.

[2] دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء،ص : 95

[3] صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي ،ج1، ص: 52

لا بد لدراسة أي موضوع أن نضبط مجاله الذي يدور فيه، والمفاهيم والمصطلحات التي يعتمد عليها، فيتعين بذلك موقعه من الاختصاصات المختلفة والمتنوعة والمتداخلة ويتمكن بذلك المتقبل من الولوج للمفاتيح القائمة على تلك المفاهيم، وتعتبر هذه العملية ضرورة ابستمولوجية، وبذلك لا يستقيم الحديث عن الاتساق والانسجام وما اتصل بهذين المفهومين من آليات وأدوات دون الإشارة إلى أن نتحدث عنها في إطار النص الذي يعتبر الوحدة الأساسية للتحليل في دراسات لسانيات النص، [1] "ومن الملاحظ بوجه عام أن هذا الاتجاه – لسانيات النص – قد أثار نقدا شديدا وخلافا كبيرا بين الدارسين حول حدود النص وتصوراته وعلاقاته، ويرون أنه لا توجد مصاعب تواجه علما من العلوم مثلما هي الحال بالنسبة لهذا العلم، حيث انه حتى الآن، وبعد ما يربو عن ثلاثة عقود على نشأته الفعلية لم يتحد بدرجة كافية، بل انه مسمى لاتجاهات وتصورات غاية في التباين وفروع علمية غاية في الاختلاف، [2] ونتيجة لذلك فانه لا يسود حول مقولاته وتصوراته ونظرياته الأساسية أي اتفاق بين الباحثين إلا بقدر ضئيل للغاية، رغم الجهود المضنية التي بذلها أعلامه لوضع حدود واضحة بينه وبين العلوم الأخرى، ولم يكن بذلك حظ مصطلح "نص" أسعد حالا من مصطلح "جملة " فثمة اختلاف شديد ...في تعريف النص إلى درجة التناقض أحيانا والإبهام أحيانا أخرى[3].

وجدير بالذكر أنّ الاختلاف في التعريف بمصطلح النص ليس بدعا في الدراسات اللغوية، بل في العديد من العلوم، خاصة في بداية نشأتها، وهذا أمر طبيعي، أمر عدم الاستقرار على التعريف بالمصطلحات، وطبيعة العلوم وأهدافها ...وغيرها من الجوانب المتعلقة بكل علم[4]، ولم يكتف مصطلح النص على دلالته المعجمية، واكتسب دلالات

[1] سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص : 105

[2] سعيد حسن بحيري، علم لغة النص، ص : 105

[3] سعيد حسن بحيري، المرجع نفسه، ص :101

[4] صبحي إبراهيم الفقي، علم لغة النص، ج1، ص :227

أخرى جديدة ولذلك كان من اللازم التعريج على المفهوم المعجمي وكذلك الاصطلاحي للنص حتى تتحدد لنا الدراسة التي نحن بصددها، فقادنا الأمر بذلك إلى ضرورة الوقوف أمام زخم هائل من التعاريف سواء في المعجم منها أو الاصطلاح.

مفهوم النص : لغة:

إذا بحثنا عن معنى مصطلح نص فانه من حيث اللغة في العربية يعني الظهور والبروز والارتفاع.[1] عرّفه ابن منظور في كتابه لسان العرب بقوله: نصص:النص: رفعك الشيء، نصَّ الحديث يَنُصُّهُ نَصًا: رفعه وكل ما أظهر فقد نص.

وقال عمر بن دينا: ما رأيت رجلاً أنصّ للحديث من الزهري أي أرفع له وأسندُ.

وأصل النص: أقصى الشيء وغايته، ونص كل الشيء: منتهاهُ.[2]

كما جاء في المعجم الوسيط كلمة نص بأنه صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف أو القائل.

-أمّا حين نعود إلى الأصل اللاتيني لكلمة نص في اللغات الأوروبية فإننا نجد كلمتي Texte – text مشتقتين من Textus بمعنى النسيج Tissu المشتقة بدورها من بمعنى نسج. [3]

وهو بهذا المعنى (النسيج) ليس بعيدًا عن الثقافة العربية فقد عرّفه ابن خلدون بقوله: " هو عبارة عن المنوال الذي ينسج فيه تراكيب، أو هو القالب الذي يفرغ فيه.... ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الأعراب والبيان، فيرصها فيه رصًا كما يفعل البناء في القالب أو النتاج في المنوال حتى يتّسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام. "[4]

---

[1] سليمان بوراس، النص واتساقه بالإحالة في سورة القلم، مجلة المعيار،المجلد17، العدد34،2013ص:2

[2] – ابن منظور، لسان العرب، قدم له الشيخ عبد الله العلالي، أعاد بناءه على الحرف الأول، يوسف خياط، ج6، دار لسان العرب1988، بيروت، ص: 648.

[3] عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص 2006 منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ص:17 .

[4] ابن خلدون، المقدمة ط1، دار ابن الهيثم، 2005 القاهرة، ص :589.

ويحاول بعض الباحثين التقريب بين أصل كلمة "النص" في اللغة العربية وفي بعض اللغات الأخرى كالفرنسية (Texte) والانجليزية (Text) والاسبانية (Texto) والروسية (Tekta) والأصل لهذه الكلمة في كل هذه اللغات هي (Textux)، والتي يعود أصل كلمة النص فيها إلى النسيج كما سبق، حيث ذهب محمد الهادي الطرابلسي إلى أن معنى النسيج يتوفر في المصطلح الأعجمي المقابل لمصطلح "نصTexte "على أن هذا المعنى ليس غريبا عن تصور العرب للنص، فقد تبين لنا أن الكلام عند العرب يكون نصا إذا كان نسيجا، والنص والنسيج في بعض الأحيان يلتقيان ففي اللسان (مادتا ن.ص.ص و ن.س.ج) "النص جعل المتاع بعضه على بعض "، " والنسيج ضم الشيء إلى الشيء فالأول تركيب والثاني ضم، والتركيب والضم واحد "[1].

مفهوم النص: اصطلاحًا:

استعصى مصطلح النص على التعريف قديما وحديثا إذ كثيرًا ما تكاثفت الأسئلة في ماهيته وأقسامه وأغراضه وتمايزه عن أشكال تواصلية أخرى، ومن بين الأسئلة الملحة، أي نص نعني؟ أهو الديني أو الفلسفي أو العلمي أو الأدبي أو اللساني؟ أهو النص المكتوب أم المنطوق؟ أهو التراثي أم الحداثي؟ الشعري أم النثري؟ وبازدحام هذه المعاني وتشابكها كان من الضروري أن ننطلق من عمق التراث للبحث عن حدود هذا النسق اللغوي، خاصة وأن هذا المصطلح سجل حضورًا مركزيًا في الذخيرة اللغوية العربية والمعرفية.[2]

ولما كانت الرسالة الدينية نصية في شكلها فإنها أسّست لكيفية استثمار المقولات الدينية في الحياة الإنسانية، ثم وجّهت بطريقة غير مباشرة الفكر العربي للنظر في الكون

[1] الأزهر الزناد، نسيج النص، ص : 6

[2] نعمان بوقرة :(نحو النص مبادئه واتجاهاته الأساسية في ضوء النظرية اللسانية الحديثة)، مجلة علامات، ص 7

والوجود بكل أبعاده النفسية والاجتماعية والحضارية والأدبية واللغوية، مما يجعلنا نقرّ أنّ الحضارة العربية نصية في مبدئها.[1]

وتعرّف خلود العموش النّص بقولها:«هو كل كلام متصل ذو وحدة جلية تنطوي على بداية ونهاية، ويتسم بالتماسك والترابط، ويتسق مع سياق ثقافي عام أدرج فيه، وينسجم مع سياق خاص أومقام يتعلق بالعلاقات القائمة بين القارئ والواقع من خلال اللغة، وبين بداية النص وخاتمته مراحل من النمو القائم على التفاعل الداخلي، وهذا التفاعل يؤدي بالنص إلى إحداث وظيفته التي تتمثل في خلق التواصل بين منتج النص ومتلقيه». [2]

فالنّص من خلال هذه التعريفات هو عبارة عن نسيج من الكلمات المترابطة بعضها ببعض الهدف منه تبليغ رسالة ما وخلق تفاعل بين طرفي الخطاب، وهو بهذا المفهوم قريب مما قاله الدكتور إبراهيم خليل في كتابه : في نظرية الأدب وعلم النص إذ يرى بأن النص عبارة عن:"نسيج من الكلمات يترابط بعضه ببعض كالخيوط التي تجمع عناصر الشيء المتباعد في كيان كلي متماسك"[3].

ويعرّف الجرجاني النص بقوله:"النص ما ازداد وضوحا عن المعنى الظاهر لمعنى في نفس المتكلم وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى كما يقال أحسنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي ويغتم بغمي كان نصا في بيان محبته "[4].

أما عبد المالك مرتاض فيرى أنّ النص:"لا ينبغي أن يحدّد بمفهوم الجملة، ولا بمفهوم الفقرة التي هي وحدة كبرى لمجموعة من الجمل، فقد يتصادف أن تكون جملة واحدة من الكلام

---

[1] نعمان بوقرة :(نحو النص مبادئه واتجاهاته الأساسية في ضوء النظرية اللسانية الحديثة)، المرجع نفسه، ص 7

[2] خلود العموش: الخطاب القرآني من الدلالة إلى السياق، نقلا عن سعيد بولنوار، آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان للشنقيطي بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه ورقلة ، 2014 ص :64

[3] إبراهيم خليل: في نظرية الأدب و علم النص، منشورات الاختلاف، ط 1، 2010 لبنان، ص: 220

[4] بشير ابرير: مفهوم النص في التراث اللساني العربي، مجلة جامعة دمشق، مجلد 23، العدد 1،2007، ص:115

نصا قائما بذاته مستقلا بنفس، وذلك ممكن الحدوث في التقاليد الأدبية كالأمثال الشعبية والألغاز والحكم السائرة والأحاديث النبوية التي تجري مجرى الأحكام وهلم جرا "[1].

أما النص من حيث دلالته ،فهو شبكة معطيات كلها تسهم في إخراج النص إلى حيز الفعل والتأثير، وهنا يستند عبد المالك مرتاض على نظرية القراءة في تحديد مفهوم النص الأدبي،" فالنص قائم على التجديدية بحكم مقروئيته، وقائم على التعددية بحكم خصوصية عطائيته تبعا لكل حالة يتعرض لها في مجهر القراءة، فالنص من حيث هو ذو قابلية للعطاء المتجدد المتعدد بتعدد تعرضه للقراءة، ولعل هذا ما تطلق عليه "جوليا كريستيفا " (إنتاجية النص) حيث أنه يتخذ من اللغة مجالا للنشاط فتراه يتردد إلى ما يسبق هذه اللغة محدثا بعدا بين لغة الاستعمال اليومية – وهي اللغة المسخرة لتقديم الأشياء والتفاهم بين الناس – والحجم الشاعر للفعاليات الدالة، فتنشط اللغة التي هي الأصل الأدبي في كل مرحلة نشاط هذه اللغة التي هي أصل النص في كل مراحله ومظاهره ."[2]

ومن هنا فقد كان وعي العرب بالمقاييس النصية أكبر من تختزل في بعض المفاهيم الإجرائية، ولهذا لم يطل كلامهم عنها بالقدر الذي نلحظ فيه تلك الممارسات النصية، وخاصة ما تعلق منها بالقرآن الكريم، ولعل أولى مظاهر هذه الممارسة.. تكمن في الوقوف على (النص على ذاتيته النصية) بتعبير رولان بارت.[3]

مفهوم النص في المفهوم اللساني:

[1] عبد المالك مرتاض، في نظرية النص الأدبي، المجاهد (الأسبوعي الجزائرية) عدد 1424 ص: 57 نقلا عن رابطة أدباء الشام www.odabasham.net

[2] عبد المالك مرتاض، في نظرية النص الأدبي، ص:57

[3] بلخير أرفيس، بلاغة النص بين الموروث البلاغي والدرس اللساني قراءة في حدود التأثير، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، مجلد11، العدد22، 2017،ص: 26

ينطلق رولان بارت Roland Barthes من العرف العام ليقف على التعريف الشائع فيقول عن النص أنه:«نسيج الكلمات المنظومة في التأليف والمنسقة بحيث تفرض شكلاً ثابتًا ووحيدًا ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً».[1]

أما جاك دريدا Jacques Derrida فهو يقترح تصورًا جديدًا للنص معتمدًا على تاريخ الفلسفة بإلغاء التعارض بين المستمر والمنقطع، فالنص عنده "نسيج لقيمات" أي تدخلات لعبة منفتحة ومنغلقة في آن واحد ممّا يجعل من المستحيل لديه القيام بجينيالوجيا Genealogies بسيطة للنص ما توضح مولده، فالنص لا يملك أبا واحدًا ولا جذرًا واحدًا، بل هو نسق من الجذور، إنّ الانتماء التاريخي لنص ما لا يكون أبدًا بخط مستقيم، فالنص دائمًا من هذا المنظور التفكيكي – كما يقول جاك دريدَا – له عدّة أعمار [2] ولعل هذا التصور الذي اقترحه جاك دريدا، مفاده أن النص لا يموت بفعل الزمن فالنص حي دائما جديد، ومتجدد بحسب المتلقي الذي يستقبله، وبحسب المقام الذي يرد فيه.

أما سميث Smith فيرى بأن النص:"هو كل تكوين لغوي منطوق من حدث اتصالي، محدّد من جهة المضمون ويؤدي وظيفة اتصالية يمكن إيضاحا، أي يحقق قدرة انجازيه جلية يقصدها المتحدث ويدركها شركاؤه في الاتصال، وتتحقق في موقف اتصالي ما، حيث يتحول كم المنطوقات اللغوية إلى نص متماسك ."[3]

يعني هذا أن الوظيفة الأساسية للنص هي الوظيفة التواصلية وتحقق هذه الوظيفة مرتبط بتوفر العناصر التي تضمن للخطاب استمراريته ونجاعته من متحدث ومتلق ورسالة تدور بينهما وفق مقام متفق عليه.

---

[1] نقلا عن منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 2002ص:124

[2] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، أوت 1992، ص:220

[3] جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998ص:72

أما هاليداي Halliday فينظر للنص على أنه: "الكلام الذي يقال أو يكتب من أجل أن يكون كيانا متحدًا ولا عبرة بطوله أو قصره، وهو ترابط مستمر يوافق فيه محور الاستبدال محور المجاورة التي يتألف منها لا بد أن يتبع بعضها بعضا بطريقة تيسر على القارئ أوالمتلقي، تسلّم الرسالة التي يبثها المتكلم فيه، ويستوعب محتواه الكلي.[1] وترى جون ماري سشايفر jean .Marie Schaeffer أن النص: هو سلسلة لسانية محكية أومكتوبة وتشكل وحدة تواصلية.[2]

النصية Textualité:

يعد مفهوم النصية أوالنصانية من المفاهيم التي لاقت ترحيبا واسعا من قبل علماء النص، ويعود الفضل في نشوء هذا المصطلح ودلالاته إلى روبرت دي بوجراند ولفانج دريسلر Derssler في كتابهما الأول" مقدمة في علم النص "الذي نشر عام 1967م، وعرف المفهوم نضجه التام والحقيقي في كتاب دي بوجراند " النص والخطاب والإجراء "وذلك من خلال المعايير التي وضعها وتطرق لها بالشرح[3].

وفكرة النصية تشمل فكرة النظم عند" عبد القاهر الجرجاني"، كما أنها أعم وأشمل من المنهج البنيوي[4]، حيث ولدت أجرومية النص من رحم البنيوية القائمة على أجرومية الجملة في أمريكا، وكان مقال زيلنغ هاريس Z.Harris عن تحليل الخطاب من معالم الطريق في هذا الاتجاه، ثم شهدت اللسانيات منذ منتصف الستينات في أوروبا توجها نحو الاعتراف

[1] إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1 الأردن،2007ص: 217

[2] جون ماري سشايفر jean .Marie Schaeffer نقلا عن، منذعياشي، العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، ط1الدار البيضاء، المغرب، 2004ص: 119

[3] روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص : 10

[4] عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، دراسة لغوية نحوية ودلالية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1 الإسكندرية ،2007، ص :342.

بأجرومية النص بديلا موثوقا لأجرومية الجملة[1]، فلسانيات النصوص تدرس النص من حيث هو بنية مجردة، تتولد بها جميع النصوص المنجزة، مهما كانت مقاساتها وتواريخها ومضامينها، وهي بهذا تتقاطع في موضوعها مع جميع العلوم المتعلقة بدراسة النص[2].

وتحتل مسألة النصية مكانا مرموقا في البحث اللساني، لأنها تجري على تحديد الكيفيات التي ينسجم بها النص الذي هو وثيقة مكتوبة أو ملفوظ أو تلفظ، فهي المرجع الأول لكل عملية تحليلية تكشف عن الأبنية اللغوية وكيفية تماسكها، ولقد تعرض كثير من الدارسين لمصطلح النصية، فنجد" اريك انكفيست inkivist "قد أشار إلى النصية في معرض حديثه عن البناء النصي السليم، والذي اعتبره وظيفة تتكون من ثلاثة أنواع من العناصر الرئيسية[3]:

- **أولا :** أنّه يعتمد على البناء النحوي السليم للجمل المفردة .
- **ثانيا :** أنّه يعتمد على النمط الذي تنتج به الجمل، وترتبط ببعضها حتى تؤلف النص.
- **ثالثا :** أنّه يعتمد على القياس.

ويرى هاليداي ورقية حسن أنّ نحو النص ما هو إلا دراسة الاعتبارات اللغوية الرابطة بين جمل لغوية في متتالية خطية، وهذه الاعتبارات هي الإحالة والاستبدال والحذف والوصل والاتساق المعجمي[4]، إذ قام بحثهما (الاتساق في اللغة الانجليزية) على الموازاة بين الاتساق في النص والخصائص التي تجعل من عينة لغوية ما نصا[5]، مما حدا بهما إلى عدّ الروابط داخل النص هي النص، أي الخاصية التي تحوّل الخطاب إلى نص،

---

[1] سعد مصلوح، نحو أجرومية النص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول،الهيئة المصرية العامة للكتاب، م1، عدد 10، القاهرة ،1991، ص:153

[2] الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 18.

[3] نيلس اريك انكفيست، الأسلوبية اللسانية، ترجمة أحمد مومن، معهد اللغات الأجنبية، د ط، مطبوعات منتوري، قسنطينة، 2001، ص:113

[4] عمر أبو خرمة، نحو النص، نقد نظرية وبناء أخرى، ص :83

[5] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص : 12

لأنّ الخطاب من وجهة نظرها هو ما فوق الجملة، في حين النص هو الروابط التي تسمح بالحكم على الخطاب بأنه متّسق، فالنصّ ميزة من ميزات الخطاب، ويؤدي هذا الفهم بالضرورة إلى عدّ كل عمل كتابي نصّا، إذ لا يخلو عمل كتابي من الجملة، مهما كان جنسه أو نوعه من تلك الروابط أو أدوات الاتساق على ما يسميانها كلها أو بعضها[1].

ومفهوم النصّانية يعدّ من المفاهيم التي جاء بها دي بوجراند وزميله دريسلر، فقد رأينا أن محاولات هاريس والتحويليين في إيجاد قواعد لإنشاء النصوص آلت جميعها إلى الفشل، لأنّها لم تستطع أن تحدّد موقفا واضحا من النصوص غير النحوية، لذا اقترحا بعض المبادئ العامة التي تصلح أساسا للنصّانية دون أن تكتسب هذه المبادئ صفة القوانين الصارمة[2]، أي هي مجرد مؤشرات في بناء النصوص، كما وضّح كل من "روبرت دي بوجراند وديسلر " ستة نصوص متنوعة لدراسة النصّية وتوضيحها:أوّل هذه النصوص يمثل إحدى علامات الطريق، والثاني شعر خاص بالأطفال، والثالث يمثل مقتطفات من مقالات صحيفة، والرابع نص من كتاب علمي منهجي، والخامس محادثة بين شخصين، والأخير عبارة عن قصيدة شعر، وخلصا إلى أنّ الوسائل التي تربط بين الأحداث الكلامية والتي تحدد العلاقات بينها في سياق الحال أو المقام تتمثل في روابط الوصل والفصل والربط، ويقترحان العديد من المعايير لجعل النصية أساسا مشروعا لإيجاد النصوص واستعمالها، ويمكن تصنيف هذه المعايير السبعة في الآتي ذكره :

- ✓ ما يتصل بالنص في ذاته، وهما معيارا السبك والحبك .
- ✓ ما يتصل بمستعملي النص سواء أكان المستعمل منتجا أم متلقيا، وهما معيارا القصد والقبول.
- ✓ ما يتصل بالسياق المادي والثقافي المحيط بالنص، وهي معايير الإعلام والمقامية والتناص.

[1] عمر أبو خرمة، مرجع نفسه، ص: 84

[2] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص:13

لا شك أن أعمال تلك المعايير السبعة في تحديد ما به يكون الكلام نصا، إنّما يعدل من نظرتنا إلى التقابل المفترض بين مفهومي الجملة والنص[1].

فهذه المعايير من شأنها أن تحقق النصية، حيث تتنافى النصية، إذا تنافت هذه المعايير من المقطع اللغوي أو المتتالية الجملية، وتتمثل هذه المعايير في :

1-**الاتساق**:Cohésion: يختص هذا المعيار بالوسائل التي تتحقق بها خصيصة الاستمرارية في ظاهر النص، ونعني بظاهر النص الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نخطها أو نراها بما هي حكم متصل على صفحة الورق، وهذه الأحداث أو المكوّنات التي ينتظم بعضها مع بعض تبعا للمباني النحوية، ولكنّها لا تشكّل نصا إلاّ إذا تحقق لها من وسائل السبك مما يجعل النص محتفظا بكينونته واستمراريته، ويجمع هذه الوسائل مصطلح عام هو الاعتماد النحوي، ويتحقق الاعتماد في شبكة هرمية متداخلة من الأنواع هي:[2]

- الاعتماد في الجملة .
- الاعتماد في ما بين الجمل .
- الاعتماد في الفقرة والمقطوعة .
- الاعتماد في ما بين الفقرات والمقطوعات .
- الاعتماد في جملة النص .

2- **الانسجام** Cohérence:ويعني الطريقة التي يتم بها ربط الأفكار داخل النص، وهو بذلك وجود منطق للأفكار مبني على الخبرة، وما يتوقعه الناس من النصوص في هذا المجال، ويتعلق هذا العنصر أيضا بالنص في حد ذاته، والالتحام يتطلب من الإجراءات ما

[1] محمد خطابي، المرجع نفسه، ص : 13.

[2] سعد مصلوح، نحو أجرومية النص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، ص: 154.

تتنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه، وتشتمل وسائل الالتحام على:

- ✓ العناصر المنطقية كالعموم والخصوص.
- ✓ معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف .

3- الموقفية أو المقامية Situationalité: يمثل هذا المصطلح تسمية عامة للعوامل التي تقيم صلة بين النص وبين موقف واقعة ما، سواء أكان موقفا حاضرا أم قابلا للاسترجاع.[1]

والموقفية مناسبة النص للموقف، ذلك أن الخروج على الأنماط والأعراف يذهب بمصداقية الكلام، ويخرج النص عن مقتضى الحال، ويخرجه إلى اللانص، ويتطابق هذا المعيار مع المقولة التراثية البلاغية " لكل مقام مقال "، ذلك أن النص يجب أن يكون مطابقا لمقتضى الحال، ويتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطا بموقف سائد يمكن استرجاعه، وقد لا يوجد إلا القليل من الوساطة في عناصر الموقف كما في حالة يمكن الاتصال بالمواجهة في شأن أمور تخضع للإدراك المباشر وربما توجد وساطة جوهرية، كما في قراءة نص قديم ذي طبيعة أدبية يدور حول أمور تنتمي إلى عالم آخر.[2]

والمقام يتعلق بالسياق الثقافي والاجتماعي للنص، ويعني أن يكون النص موجها للتلاؤم مع حالة أو مقام معين، بغرض كشفه أو تغييره، وقد يكون الموقف الذي يحمله النص مباشرا، يمكن إدراكه بسهولة، أو غير مباشر يمكن استنتاجه، ويفترض هذا العنصر وجود مرسل ومرسل إليه .

4-الإعلامية أو الإخبارية Infirmativité: وتتعلق بإمكانية توقع المعلومات الواردة في النص أو عدم توقعها على سبيل الجدة، فالنص لا بد أن يحمل دلالات تحمل مضمونا

[1] الهام أبو غزالة، علي خليل محمد، مدخل إلى علم لغة النص، ص : 12.

[2] روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص : 104.

إعلاميا يتنوع بتنوع النصوص، ولا يتحقق الانسجام في البنية النحوية الصحيحة للنص، إذا خلت من المحتوى الإعلامي، إذ لا يكون النص نصا بدونه، لذا اهتمت الدراسات الحديثة بمصطلح الإعلام، وحظي بجملة من التعاريف تنوّعت بتنوع المجالات التي بحث فيها كل من نظرية الإعلام وعلم النفس المعرفي والتداولية وتحليل الخطاب، فنجد أن كل نص من النصوص يهدف إلى تقديم بعض المعلومات في النص بحسب نوع النص، والملاحظ أن الإخبارية تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار الفعلي البديل من خارج الاحتمال، حيث يجب على الناص المتحدث توزيع معلوماته في النص، بحيث لا يكون فيها قصور أو زيادة تخلّ بالتماسك العام للنص[1] .

5-**المقبولية L'acceptabilité:** ترتبط المقبولية بالمتلقي وحكمه على النص بالقبول والتماسك، ويعني ذلك أن القبول مرتبط بمجموع الدلالات التي يطرحها النص بشرط تماسكها والتحامها، وتحديدها بعيدا عن الاحتمالية الدلالية، أو عن جواز أكثر من وجه إعرابي، ومن هنا تكون المقبولية في نحو النص في مقابل مطابقة القاعدة في نحو الجملة[2] غير أنّها مع الجملة قد تسمح بالاحتمال الدلالي وتعدّد الأوجه الإجرائية، لكنها مع النص تنخفض درجة الاحتمال إلى الصفر، ويرجع الوجه الإعرابي المناسب مع النصوص العادية بصفة خاصة، والقبول يتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام، وللقبول أيضا مدى من التغاضي في حالات تؤدي فيها المواقف إلى ارتباك، أو حيث لا توجد شركة في الغايات بين المستقبل والمنتج[3]، ولا يعني القبول أن تكون الجملة موافقة للنظام اللغوي فقط، بل

[1] محمد محمد صاجي، لسانيات النصوص ما هي؟ مجلة دفاتر الترجمة، عدد1، جامعة الجزائر، 1993، ص 90.

[2] روبرت دي بوجراند ،النص والخطاب والإجراء، ص: 104

[3] روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء، ص: 104

تأتي حسب هذا النظام ولا تظفر بهذا المبدأ، إنما القبول أن تأتي الجملة بحسب النظام اللغوي المفروض، كما يجب أن تتلاءم مع الواقع الخارجي للغة.

6- القصد أوالمقصدية L'intentionalité: يعد أحد المقومات الأساسية للنص باعتبار أن لكل منتج خطاب غاية يسعى إلى بلوغها، أو نية يريد تجسيدها، ويستمد مفهوم القصد شرعية وجوده في الدراسات اللسانية من أن كل فعل كلامي يفترض فيه وجود نية للتوصيل والإبلاغ، فلا يتكلم المتكلم مع غيره إلا إذا كان كلامه قصد، ويتضمن مجموعة صور الأحداث اللغوية المعبّرة عن اعتقاد منشئ النص وموقفه ومقاصده التي يهدف إبلاغها إلى المتلقي[1]، وبذلك يمكننا القول بأن القصد يرتبط بأول عنصر أساسي في عملية التبليغ المتمثل في المبلّغ أو المرسل منتج النص، الذي قد يكون شخصا عاديا أو أديبا لا ينتج النص مجانا، وإنما ينتجه لينقل من خلاله إلى المتلقي موقفه ووجهة نظره حول الموضوع الذي يطرحه نصه، ولذلك تنتفي صفة النصية عن النصوص التي لا ينوي منتجها إيصال أية فكرة أو غرض إلى المتلقي، فهذا الأخير يتفاعل في الغالب تفاعلا ايجابيا أو سلبيا مع المقاصد التي يستخلصها بصورة مباشرة أو غير مباشرة من الأفعال اللغوية المختلفة المكونة لبنية النص، باعتبارها بنية كبرى، أو فعل خطاب عام[2]. **و**يرتكز دور المقاصد بوجه عام على بلورة المعنى كما هو عند المرسل، إذ يستلزم منه مراعاة كيفية التعبير عن قصده وانتخاب الإستراتيجية التي تتكفل بنقله مع مراعاة العناصر السياقية الأخرى، لأنه لا وجود لأي تواصل عن طريق العلامات دون وجود قصدية وراء فعل التواصل، ودون وجود إبداع، أو على الأقل دون وجود توليف للعلامات.[3]

[1] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص:183

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري،المرجع نفسه ص:183

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص:183

ويمكن أن نمثل لمعايير النصية بالمخطط التالي :[1]

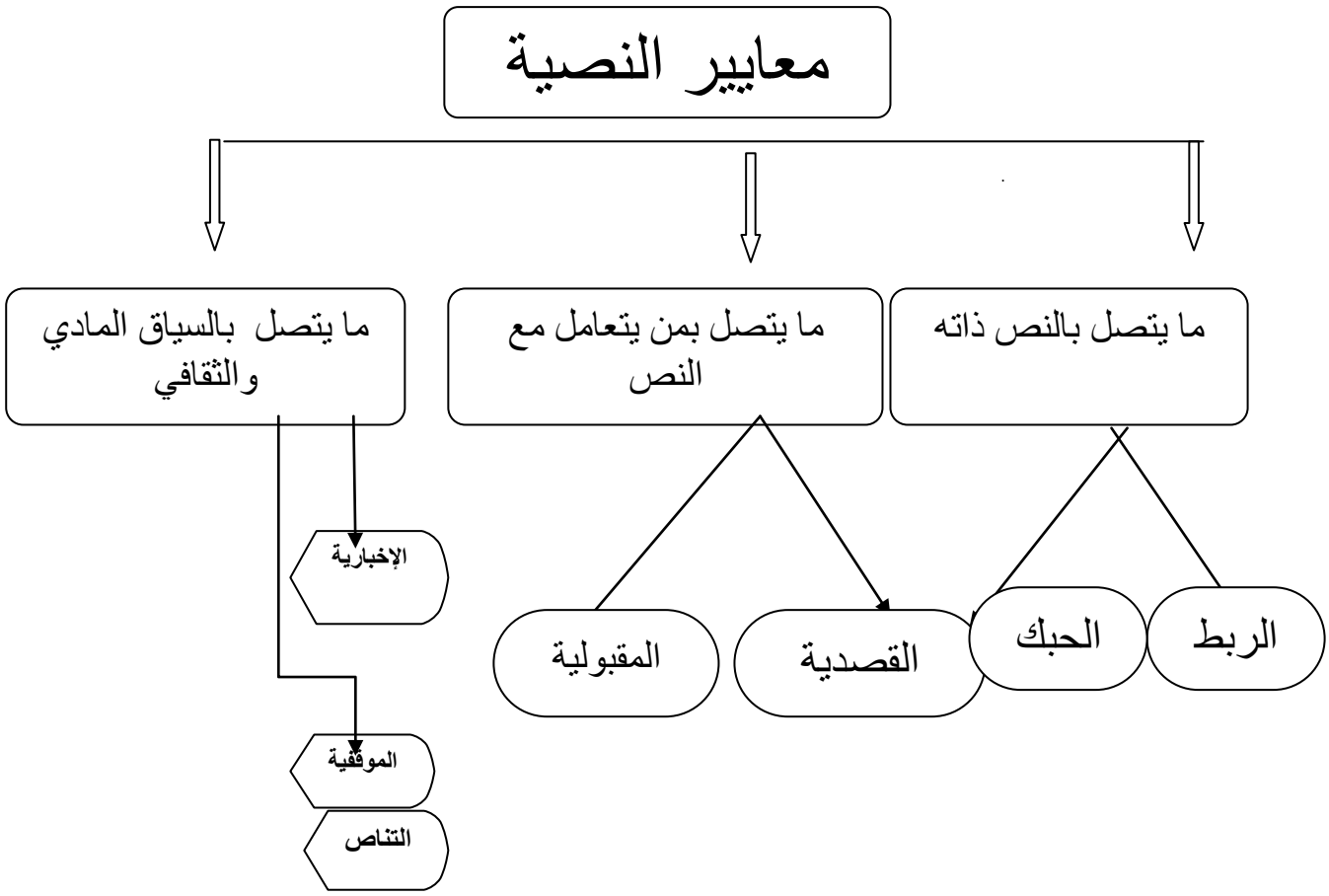

مقاربات لسانيات النص :

يمكن الحديث عن مجموعة من المقاربات المختلفة التي اشتغلت على النص والخطاب ويمكن حصرها فما يلي:

❖ **أولا : المقاربة المعجمية :** تعاملت هذه المقاربة مع النص في ضوء رؤية دلالية ومعجمية، مستعينة بالإحصائيات والمعطيات الكمية، يعني هذا أن هذه المقاربة كانت تدرس معاني الكلمات، وتهتم بالحقول الدلالية والمعجمية داخل السياق النصي، وقد اهتمت هذه المقاربة المعجمية بتتبع دلالات الكلمات داخل النصوص بصفة عامة، والخطابات السياسية بصفة خاصة، وقد اتكأت هذه المقاربة على التناول الإحصائي للكلمات المكررة،

[1] بشرى حمدي البستاني، وسن عبد الغني :في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم ، دراسة نظرية، مجلة أبحاث، كلية التربية الأساسية ، جامعة الموصل، م 11 ، العدد (1)، ص : 181.

واستجلاء نسبة تواردها في النص، واهتمت أيضا بالتحليل بالمقومات أو السيمات ودراسة العلاقات البنيوية بين الكلمات النصية، والتمييز بين الكلمات الحرفية والكلمات الإيحائية[1].

❖ **ثانيا : المقاربة اللسانية التركيبية :** ارتبطت بالتوزيعي الأمريكي هاريس Harris الذي حاول أن يدرس النص أو الخطاب وفق المنهج اللساني التوزيعي، باستعمال المكونات المباشرة وغير المباشرة، ويعني هذا أنّ هاريس كان يدعو إلى تجاوز الجملة نحو النص أو الخطاب المقاطع التي يتكون منها ذلك النص، وقد اعتبر النص جملة كبرى تخضع للمقاييس اللسانية والنحوية نفسها التي تخضع لها الجملة الصغرى، ويعني هذا أنّ النص يتميز بمستويات عدة:صوتية، فونولوجية، وصرفية، وتركيبية[2].

بيد أنّ هذه المقاربة لم تدرس إلا بعض الظواهر النصية وفق البنيوية التوزيعية، بمعنى أنها كانت مقاربة انتقائية تجزيئية، ولم تكن مقاربة نصية كلية، فاللسانيات الأوروبية تشكلت مبدئيا بناء على المسلمة السوسرية المحتفية باللّغة والتي كانت نتيجتها إلى حدود السبعينات، إبعاد النصوص والخطابات أي الوحدات الأكبر من الجملة، إذ يعود الإعداد النظري الأكثر اكتمالا في اللسانيات حول مفهوم النص إلى سويسرا مع جان ميشال آدم (Jen-Michel Adam) الذي تعد أبحاثه العديدة والمتطورة مرجعا في اللسانيات النصية[3].

ويبقى هاريس أول من تناول لسانيات الخطاب من منظور توزيعي لساني تركيبي، في حين يبقى بروب أول من تناولها من زاوية سيميائية وأدبية.

❖ **ثالثا: المقاربة التلفظية:** ارتبطت هذه المقاربة بميخائيل باختين، واميل بنفينيست، وتشارلز بالي، ورومان جاكبسون.

وتتعامل هذه المقاربة مع النص على أساس أنه ملفوظ سياقي، وقد اهتمت هذه النظرية بأطراف التواصل، وعملية التلفظ وبالمؤشرات أو المعينات اللسانية التي تعبر عن حضور

[1] جميل الحمداوي، محاضرات في لسانيات النص، ط1، مكتبة المثقف، 2015م،ص،22

[2] المرجع نفسه ، ص : 22

[3] المرجع نفسه، ص : 23

الأطراف التواصلية أو غيابها، كما اهتمت بالمشكلات التلفظية من جهة، والأسلوب غير المباشر الحر من جهة أخرى، بمعنى أن هذه المقاربة لم تهتم باللغة باعتبارها مظهرا اجتماعيا ثابتا، بل اهتمت بالملفوظ وعملية التلفظ أي:بالكلام بدل اللغة .[1]

وقد ارتبطت نظرية التلفظ بالذات المتكلمة التي استبعدتها اللسانيات البنيوية(باختين) وإشارات التلفظ وعلاماته (بنفينيست) والسياق المرجعي الاجتماعي، ومفهوم التواصل (جاكبسون)، والتقويم الذاتي والموضوعي والبوليفونية التلفظية (دورو–أوتيي)، والتلفظ المشترك (كوليولي) والجماعة التلفظية (جاك فرنسيس)، والاندماج واللااندماج دومنيك مانغونو) والعمليات التلفظية (كوليولي)...[2]

وعليه لم يدرس بنفينيست Émile Benveniste التلفظ في إطاره الخطابي، بل كان يقف عند حدود الجملة، ولم يتعداها إلى الملفوظ النصي أو الخطابي، بمعنى أن مقاربة بنفينيست للجملة مقاربة تلفظية نحوية ودلالية، أما دراسة الخطاب، فلم تتحقق إلا مع لسانيات النص في سبعينات القرن الماضي بتجاوز الملفوظ نحو النص أو الخطاب لكن لسانيات النص قد استفادت بطبيعة الحال، من نتائج نظريات التلفظ بشكل كبير[3].

❖ **رابعا: المقاربة التداولية**: ليس النص الأدبي –حسب هذه المقاربة – مجرد خطاب لتبادل الأخبار والأقوال والأحاديث، بل يهدف عبر مجموعة من الأقوال والأفعال الانجازية إلى تغيير وضع المتلقي، وتغيير نظام معتقداته، أو تغيير موقفه السلوكي من خلال ثنائية افعل ولا تفعل[4].

ويعني هذا أن الخطاب أو النص الأدبي، في مفهوم التداوليات التحليلية عبارة عن أفعال كلامية تتجاوز الأقوال والملفوظات إلى الفعل الانجازي، والتأثير الذي يتركه ذلك الانجاز،

[1] جميل الحمداوي، محاضرات في لسانيات النص، ص: 27.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه، ص : 28

[4] المرجع نفسه، ص :29

ويعني هذا أن الفعل الكلامي ينقسم إلى ثلاثة أنواع: فعل القول، والفعل المتضمن في القول، والفعل الناتج عن القول، وقد لا يدل الفعل المتضمن في القول على دلالته المباشرة بل يفيد معنى انجازيا آخر غير مباشر يحدده سياق القول.

ومن هنا يمكن تقسيم أفعال الكلام حسب ما يقصد بها من أغراض انجازية إلى :[1]

- **1/ التقريريات:**وتفيد تأكيد المتكلم بعض الوقائع والأحداث في الواقع الخارجي مثل: إنني كاتب وفيلسوف وناقد .
- **2/الطلبيات أوالأمريات:** وتحضر في توجيه المتكلم طلبا للمخاطب لانجاز فعل ما مثل: "هل سيسافر أحمد غدا ؟ " و " اخرجوا كلكم من مدرج الكلية ".
- **3/ البوحيات أو الافصاحيات:** تعبر عن الحالة النفسية للمتكلم مثل " أحب أن أراك سعيدا"**و** " مللت الانتظار "
- **4/الوعديات:** تفيد التزام المتكلم بانجاز فعل في الزمان المستقبل مثل: " أعدك بسفر رائع إلى مصر ".
- **5/ التصريحيات:** ويقصد بها إعلان المتكلم عن انجاز فعل يفيد تغييرا مرتقبا على مستوى العالم الخارجي مثل: " أعلن أيها الحضور الكريم عن برنامجي الانتخابي قريبا ".[2]

❖ **<u>خامسا: البلاغة الجديدة أوالمقاربة الحجاجية :</u>** تأسّست البلاغة الجديدة أو البلاغة الحجاجية منذ 1958م مع رجل القانون الشيكي: شايم بيرلمان (Chaim Perelman) وقد ارتبطت البلاغة الجديدة بالحجاج ارتباطا وثيقا، فاستعملت تقنيات البلاغة في عملية الفهم والإفهام، وركز بيرلمان كثيرا على مبدأين رئيسين هما:القصد والمقام.

وكما هو معروف أن الغرض من الحجاج هو الاقتناع، ومن ثم فالحجاج فعالية تداولية جدلية ديناميكية فعالة، تستلزم وجود أطراف تواصلية بينها قواسم حجاجية مشتركة، إذ

[1] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[2] جميل الحمداوي، محاضرات في لسانيات النص، ص : 29

يمتلك المرسل الخطيب مؤهلات معرفية وأخلاقية كفائية، ويستعمل في حجاجه اللوغس الاستدلالي بغية إقناع الآخر، ولو باستعمال خطاب الأهواء والانفعالات[1]، ولا يعتمد الحجاج عند بيرلمان على العنف أو التضليل أو التوهيم، بل غرضه هو بناء الحقيقة عن طريق الحوار البناء والاستدلال الذي قد يكون ذهنيا وهويا انفعاليا، بمعنى أنّ الحجاج عند بيرلمان ليس قائما على الإقناع بالفرض والقوة والعنف,بل هو قائم على الاقتناع الذاتي .

وعليه فقد ارتبطت لسانيات النص بدراسة شروط إنتاج النص أو الخطاب، وتحديد سياقات التواصل، ومعرفة أنواع النصوص وأنماطها وأصنافها .[2]

❖ **سادسا: المقاربة الرافضة للسانيات النص:**هناك مجموعة من اللسانيين الذين ينتقدون لسانيات النص موضوعا، وعلما، ومنهجا، وتخصصا، ولا يرون فرقا بين لسانيات النص ولسانيات الجملة أو الملفوظ، إذ تستعمل لسانيات النص الأدوات نفسها التي تستعملها لسانيات الجملة في فهم الخطاب وتأويله وتفسيره، ومن ثم ليس هناك ما يميزها أو يخصصها عن لسانيات الجملة، ومن القائلين بهذا الرأي الانتقادي الرافض والعدمي، آن ريبول (Anne Reboul) وجاك موشلير (Jacques Moeshler) ودان سبيربر (Dan Sperber) ودايرد ويلسون (Deirde Wilson)..[3]

❖ **سابعا : المقاربة الحاسوبية :** تتعامل هذه النظرية مع النص على أساس رقمي وحاسوبي، مستلهمة نظرية الذكاء الاصطناعي، بمعنى أنها تتوسل باللسانيات الحاسوبية لمعرفة الكيفية التي تتولد بها النصوص عمقا وسطحا، وكيف تبني خطابيا مقارنة بالنصوص الآلية والرقمية والذكائية، وهنا يمكن التعامل مع النص على أنه" جهاز يتوفر

[1] جميل الحمداوي، محاضرات في لسانيات النص، المرجع نفسه، ص: 32

[2] المرجع نفسه، ص :33

[3] جميل الحمداوي، محاضرات في لسانيات النص، ص:42.

على عمليات وأوليات الفهم، قابل لأن يتلقى معطيات، ويعالجها وفق تلك العمليات والأوليات، ومن ثم قد يكون نظام الفهم إنسانا أو حاسوبا أو إنسانا ....[1]

والنص بما فيه من مرتكزات وتوقعات ومعارف وإيديولوجيات تمثل سياق الموقف، وتركيب داخلي للنص، يعتبر وحدة مركبة موظفة للاتصال، وعليه إذا كانت اللسانيات تتعامل مع الجملة باعتبارها منطلقا للدراسة والتحليل، فان ثمة مقاربات منهجية أخرى تتجاوز الجملة لدراسة الخطاب والنص، وخاصة لسانيات النص واللسانيات الوظيفية كما عند فان دايك مثلا في كتابه(النص والسياق) وهاليداي ورقية حسن في كتابهما (الاتساق في اللغة الانجليزية) ويعني هذا أن التداوليات النصية بصفة خاصة، قد تعاملت مع الخطاب باعتباره كلية عضوية متسقة ومنسجمة, بل اعتبرته جملة نصية كبرى.

وبناء على ما سبق تتعامل لسانيات النص مع النص الأدبي باعتباره خطابا وملفوظا لغويا ذا كلية عضوية، سواء أكان ذلك الخطاب شفويا أم كتابيا، حيث تربط ملفوظاته بالوظيفة، والسياق المقامي، والأداء الانجازي، وتدرس مكوناته التلفظية السياقية، وروابطه الحجاجية المنطقية وغير المنطقية، وتربطه أيضا بالحوارية، والمقصدية والإحالة، والتفاعل والتخاطب التداولي[2].

[1] جميل الحمداوي، المرجع نفسه، ص:42.

[2] جميل الحمداوي، محاضرات في لسانيات النص، ص : 44

الفصل الأول

الاتساق والانسجام في نظم الدرر للبقاعي

المبحث الأول : الاتساق في كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي

- ❖ 1/مفهوم الاتساق
- ❖ 2/آليات الاتساق في نظم الدرر
  - الإحالة
  - الوصل والفصل
  - *الحذف*

المبحث الثاني : الانسجام في كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي

- ❖ 1/ مفهوم الانسجام لغة – اصطلاحا
- ❖ 2/ آليات الانسجام :
  - السياق
  - المناسبة

مفهوم الاتساق:

مفهوم الاتساق:لغة:

ورد مصطلح الاتساق بكثرة في القواميس، وأمهات الكتب العربية، فقد جاء في لسان العرب لا بن منظور في الجذر (و س ق): وسقت النخلة إذا حملت فإذا كثر حملها قيل:أو سقت أي حملت وسقا، وسقت الناقة وغيرها تسق أي حملت وأغلقت وحملها على الماء، فهي واسق، وذوق وساق، وسقت عيني على الماء،أي ما حملته، والوسوق ما دخل فيه الليل وما ضم، وقد وسق الليل واتسق.

والطريق يتسق، ينظم.

واتساق القمر امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة وأربع عشرة .

واستو سقت الإبل :اجتمعت. والاتساق : الانتظام.[1]

أما الفيروز آبادي فقد عرفه في كتابه القاموس المحيط بقوله: وسقهُ يسقه أي جمعه وحمله ومنه قوله تعالى: «والليل وما وسق» وطرده ومنه الوسيقة وهي من الإبل كالرفقة من الناس فإذا سرفت طردت معا.[2]

والناقة حملت وأغلقت على الماء رحمها فهي واسق.

و استو سقت الإبل : اجتمعت .واتسق بمعنى انتظم

مفهوم الاتساق اصطلاحا :

ترى اللسانيات النصية أنّ الصفة الأساسية القارة في النص هي صفة الاطّراد أو الاستمرارية وهي صفة تعني الترابط بين أجزاء النص، وتتجسد هذه الاستمرارية في سطح أو ظاهر النص ولعل الاتساق هو المعيار الأمثل لتجسيدها. [3]

[1] ابن منظور.لسان العرب، مادة (و س ق) ج 10، دار صادر، بيروت 1994، ص:378.

[2] الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (و س ق)، ج 3.دار الكتاب العربي، ص :289.

[3] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص:05

ويحتل اتساق النص وانسجامه موقعا مركزيا في الأبحاث والدراسات التي تندرج في مجالات تحليل الخطاب، ولسانيات الخطاب/النص، حتى أننا لا نكاد نجد مؤلفا ينتمي إلى هذه المجالات، خاليا من هذين المفهومين أو من أحدهما أو من المفاهيم المرتبطة بهما كالترابط والتعالق وما شاكلهما. [1]

أما إذا رجعنا إلى هذه القضية من منظور لساني حداثي، فان المختصين أنفقوا كثيرا من أوقاتهم ومن جهودهم من أجل أن يحددوا مفهوم الاتساق والانسجام أو السبك أو الترابط، فقد كثرت المصطلحات وتعددت المفاهيم، ولعل مرجع ذلك إلى أن كل واحد من هؤلاء نظر إلى القضية من الزاوية التي يريد الغوص من خلالها إلى الدرس اللغوي.[2]

وتعود أول محاولة جادة لوصف التنظيم الذاتي الداخلي للنصوص إلى هارفج Harweg وذلك من خلال الحديث على بعض العلاقات التي تسودها مثل علاقة الإحالة والاستبدال مشيرا إلى التكرار والحذف والترادف والعطف، والتفريع والترتيب، وذكر النتيجة بعد السبب والجزء بعد الكل أو العكس وهذا كله ممّا يقع في دائرة الترابط والاتساق الدلالي للنص. [3]

ولقد عرف الاتّساق تعريفات متعدّدة ولعلّ أبرز تعريف له هو ذلك الذي أطلقه عليه الباحثان هاليداي ورقية حسن في قولهما:«إنّ مفهوم الاتّساق مفهوم دلالي.انّه يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص والتي تحدّده كنص.

كما يذهبان إلى القول: «بأنّ الاتساق يبرز في تلك المواضع التي يتعلق فيها تأويل عنصر من العناصر بتأويل العنصر الآخر، يفترض كل منهما الآخر مسبقا، إذ لا يمكن أن يحل الثاني إلا [4] بالرجوع إلى الأول، وعندما يحدث هذا تتأسس علاقة اتساق....»

---

[1] إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، ص :187.

[2] سليمان بوراس، النص واتساقه في سورة القلم، ص: 7

[3] ينظر جميل عبد المجيد، بلاغة النص، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة 1999، ص: 15 .

[4] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ص : 05

وقد عدّه أغلب الباحثين متصلا بالبنية السطحية الشكلية للنص لاشتماله على الإجراءات المستعملة في توفير الترابط بين عناصر ظاهر النص, كبناء العبارات والجمل واستعمال الضمائر وغيرها من الأشكال البديلة[1]

ويقصد عادة بالاتّساق ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة للنص/ خطاب ما ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته.[2] وقد نقل المسلمون مفهوم الاتساق إلى النص القرآني المقدس الذي كان منطلق كل الدراسات عندهم، فإذا عنايتهم تنصب على دراسته، وإذا به كأنه سبيكة واحدة تأخذ آياته وسوره بعضها برقاب بعض بحيث لا يوجد بين أجزائه تفكك ولا ضعف[3]

وقد اهتم أسامة بن منقذ بهذا الموضوع وخصّص له بابا بعنوان :"باب الفك والسبك" في كتابه:«البديع في نقد الشعر» تناول فيه تعريف السبك بقوله: وأما السبك فهو أن تتعلق كلمات البيت بعضها برقاب بعض، من أوّله إلى آخره، كقول زهير.

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا طعنوا ضارب حتى إذا ما ضربوا اعتنقا

ولهذا قال : خير الكلام المحبوك المسبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض.[4]

وحقيقة الأمر أن التماسك النصي بالصورة العملية التطبيقية لم تحفل لم تحفل به الدراسات النقدية العربية بالقدر الذي اهتمت به الدراسات القرآنية في تبريرها بلاغة القرآن، وعلو كعبه في هذا الشأن فكان أن ظهر من أمور التماسك ما يعرف بالمناسبة، التكرار، الترادف، المقابلة، وهي أمور لم ترقى للحد الذي يجعل منها نظرية لغوية، غير أن إحياءها

[1] الطيب الغزالي قرارة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، عدد 4–جامعة الوادي– مطبعة منصور، مارس 2012م، ص:194

[2] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ص:05.

[3] سليمان بوراس، القرائن النحوية اللفظية والاتساق النصي، بحث لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة باتنة 2014، ص:26.

[4] الطيب الغزالي قرارة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، ص:192

وإعادة بعثها هو الذي سينفخ فيها روحا قد يجعلها في مرحلة ما في مقابل ما توصل إليه الدرس اللغوي الحديث. [1]

الاتساق بالإحالة:

مفهوم الإحـالة:

يقصد بالإحالة وجود عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لا بد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، وتسمى هذه العناصر عناصر محيلة وهي الضمائر وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة.[2]

لا شك أن مصطلح الإحالة قد حضي بتعريفات متعددة من قبل علماء اللغة، لذلك لا يمكن التوقف عند تعريف واحد ونهائي لها.

والإحالة في علم اللغة النصي كما يعرفها الأستاذ احمد عفيفي في كتابه الإحالة في نحو النص هي: ‹وسيلة من وسائل الاتساق وربط أجزاء النص وتماسكها، فهي تأخذ بعين الاعتبار العلاقات بين أجزاء النص وتجسيدها وخلق علاقات معنوية من خلال تلك العناصر الإحالية › [3]

ويرى كذلك أن ذلك يتم من خلال طريقين:

- **طريق مباشر:** وهو القصد الدلالي إلى ما يشير إليه اللفظ مباشرة، فالعنصر المحيل والمحال إليه لا بد أن يكونا بارزين دون حاجة إلى التأويل، ويرتبط ذلك بالإحالات داخل النص قبلية أو بعدية .
- **التأويل:** وذلك في حالة عدم وجود المحال إليه بشكل مباشر داخل النص.

ويعرفها دي بوجراند في كتابه – النص والخطاب والإجراء – بقوله: ‹هي العلاقة بين العبارات والأشياء، والأحداث والمواقف في العالم الذي يدل عليه بالعبارات ذات الطابع

[1] بلخير أرفيس، بلاغة النص بين الموروث البلاغي والدرس اللساني في حدود التأثير،ص: 33

[2] سليمان بوراس، النص والإحالة دراسة في المفاهيم والأدوات والأشكال، مجلة تاريخ العلوم،عدد8، ج2،2017 ص: 16

[3] أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة– د ط– د ت، مصر،ص:15

البدائي في نص ما، إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النص أمكن أن يقال عن هذه العبارات أنها ذات إحالة مشتركة. [1]

وعرفها كلماير بأنها: العلاقة القائمة بين عنصر لغوي يطلق عليه (عنصر علاقة) وضمائر يطلق عليها (صيغ الإحالة).[2] من هذا المنطلق تتأسس الإحالة في شكل علاقة تربط بين العبارات في اللغة والأشياء الموجودة في العالم، كما تعكسها سيرورات التنظيم الإدراكي، أي كما تعكسها البنية التصورية بوصفها مستوى تمثيليا للواقع الخارجي.[3]

هي كلها تعريفات اختلفت في طريقة نسجها للكلمات إلا أنها تصب في نبع واحد ومعنى واحد، فهذا أحمد عفيفي في كتابه – نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي – يقول أن اللغوي جون ليونز في سياق حديثه عن المفهوم التقليدي للإحالة عرفها بأنها: ‹العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات، فالأسماء تحيل إلى المسميات وهي علاقة دلالية تخضع لقيد أساسي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية من العنصر المحيل والعنصر المحال إليه›.[4]

والإحالة في النحو الوظيفي فعل تداولي لأنها ترتبط بموقف تواصلي معين, أي لأنها وبعبارة أدق كما يقول الأستاذ احمد المتوكل في كتابه– قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية – ترتبط بمحزون المخاطب كما يتصوره المتكلم أثناء الخطاب ثم يذهب إلى القول بأن "الإحالة عملية تعاونية نسبة لمبدأ التعاون كما يحدده غرايس، لأنها تستهدف تمكين المخاطب من التعرف على الذات المقصودة ويتم ذلك عن طريق إمداد المخاطب

[1] دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، مرجع سابق ص:320

[2] نائل إسماعيل،الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني، مقال في مجلة جامعة الأزهر، سلسلة العلوم الإنسانية، مجلد 13، عدد1، غزة ,2011ص:1063

[3] خليفة عوشاش، المرجع والإحالة في النص الروائي، مجلة الممارسات اللغوية ،المجلد5،العدد2، 2014،ص:123

[4] أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، ط1، القاهرة 2001، ص، 116

بكل المعلومات التي يملكها المتكلم عن الذات المقصودة والتي تمكن المخاطب من الانتقاء من بين مجموعة من الذوات".[1]

أما في نظر لينده قياس:"تقوم الإحالة بوظيفة الربط بين الكلمات في المقامة الواحدة، وما يميز هذا النوع من الإحالة هو خضوعها لقيود دلالية من خلال وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه" [2]

ويمكن أن نمثل للإحالة بالمخطط التالي :

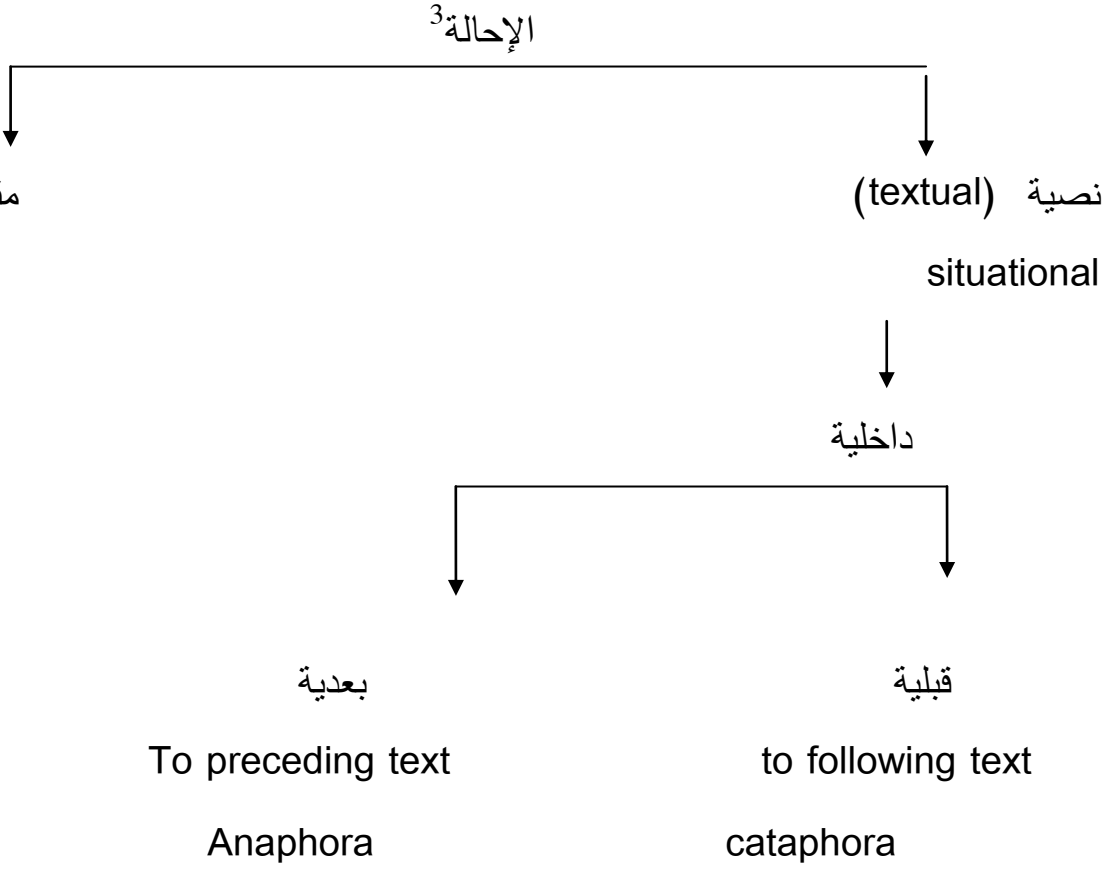

[1] أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمار للنشر والتوزيع، الرباط 2001ص137

[2] لينده قياس، لسانيات النص النظرية والتطبيق، مقامات الهمذاني نموذجا، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة 2009، ص 98.

[3] أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص118

عناصر الإحالة: تتنوع عناصر الإحالة كما يلي :

- **المتكلم:** أو الكاتب صانع النص، وبقصده المعنوي تتم الإحالة إلى ما أراد، حيث يشير علماء النص إلى أن الإحالة عمل إنساني.
- **اللفظ المحيل:** وهذا العنصر الاحالي ينبغي أن يتجسد إما ظاهرا أو مقدرا كالضمير أو الإشارة، وهو الذي سيحولنا ويغيرنا من اتجاه خارج النص إلى داخله. [1]
- **المحال إليه:** وهو موجود إما خارج النص أو داخله من كلمات أو عبارات أو دلالات وتفيد معرفة القارئ بالنص وفهمه في الوصول إلى المحال إليه.
- **العلاقة بين اللفظ المحيل والمحال إليه:** والمفروض أن يكون التطابق مجسدا بين اللفظ المحيل والمحال إليه، وبمعنى أن الإحالة تأتي عن طريق ألفاظ واجبة الصدق بوصف المحال إليه شيئا موجودا في عالم الواقع والحقيقة.

وقد أشار البقاعي إلى مصطلح الإحالة مرات عديدة في كتابه نظم الدرر في تناسب الآيات والسور منها على سبيل المثال في تفسيره لقوله تعالى:﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون﴾(الأنعام:10) ثم قال تعالى: ﴿قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾(الأنعام:11) ثم قال تعالى: ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا﴾(الأنعام:34) وقال تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي﴾(الأنعام:13) فوقعت الإحالة في هذه الآي على الاعتبار بالأمم السالفة وما كان منهم حين كذبوا أنبياءهم وهلاك تلك القرون بتكذيبهم وعتوهم وتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم بجريان ما جرى له بمن تقدمه من الرسل، فاستدعت الإحالة والتسلية بسط أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية،ولم يقع في السور الأربع قبل سورة الأنعام مثل هذه الإحالة والتسلية وقد تكررت في سورة الأنعام.[2]

---

[1] نائل إسماعيل، الإحالة بالضمائر، مرجع سابق ، ص:1066

[2] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، ج3، ص:5

أنــواع الإحالة :

تنقسم الإحالة كما أشار علماء اللغة إلى :

<u>أولا</u> : إحالة داخلية : والمقصود بها أن يكون العنصر المحال إليه موجودا داخل النص، سواء كانت إحالة قبلية تحيل إلى ما ذكر سابقا، أو إحالة بعدية تحيل إلى عنصر سيذكر لاحقا في الخطاب.

والإحالة– كما يرى إبراهيم الفقي – هو مصطلح استخدمه بعض اللغويين للإشارة إلى علاقات التماسك التي تساعد على تحديد تركيب النص وتقسم إلى anaphora و cataphora [1]

إحالة داخلية

✓ **الإحالة القبلية :** هي الرجوع إلى ما سبق ذكره في النص، وهي الإحالة السابقة أو الخلفية التي تستخدم فيها كلمة كبديل لكلمة أو مجموعة من الكلمات السابقة لها في النص، وفي تعريف مقارب لما سبق نقول هي:"التي تعود على مفسر سبق التلفظ به"[2]

[1] ميلود نزار، نحو نظرية عربية للإحالة الضميرية–دراسة تداولية– مقال بمجلة علوم إنسانية، باتنة، الجزائر 2009 ص:07

[2] نور بنت خالد الهندي، الإحالة في علم لغة النص، بحث في اللغة، كلية اللغات، جامعة المدينة العالمية –شاه العلم– ماليزيا.ص:02

وفي نفس السياق يقول دي بوجراند:"وتأخر الألفاظ الكنائية عن مراجعها أي ورودها بعد الألفاظ المشتركة معها في الإحالة أكثر احتمالا من ورودها متقدمة عليها، فرجوع اللفظ الكنائي إلى متقدم عليه يهيئ مركز ضبط أن تضاف إليه المادة المتعلقة باللفظ الكنائي.[1]

فالإحالة في هذه الحالة تقتضي منا العودة إلى الوراء لمعرفة العنصر المحال إليه مما يؤدي إلى الربط بين أجزاء النص وبالتالي تحقق له سمة الاتساق كما في قوله تعالى:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (4) يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (5) ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (6) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (7) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (8) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (9) ﴾ السجدة {4 – 9 }

فالمتأمل لهذا النص القرآني يجد لفظ الجلالة (الله) في أوله هو المحال عليه، وقد ارتبط النص بمجموعة من الإحالات المتنوعة وأكثرها الضمائر، بارزة أو مستترة، كما في قوله خلق – استوى – دون– يدبر– أحسن – خلقه– بدأ– جعل – سواه – نفخ، كما ورد اسم الإشارة في قوله {ذلك عالم الغيب} إشارة إلى المولى عز وجل، وورد كذلك اسم الموصول في قوله {الذي أحسن} .

أدوات الاتساق الاحالي :

وهي تلك الألفاظ التي نعتمد عليها لتحديد المحال إليه داخل النص أو خارجه وقد أطلق عليها هاليداي " أدوات" ولا نعتمد في فهمنا لها على معناها الخاص، بل على إسنادها إلى شيء آخر، وأطلق عليها روبرت دي بوجراند " الألفاظ الكنائية" ووضع لا سمات، وأطلق الأزهر زناد عليها " العناصر الاحالية " في اللغة وعدّها من قبيل المعوضات، وأشار إلى أنها تأتي تعويضا عن وحدات معجمية يمكن أن نطلق عليها

3دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص:327

مصطلح العنصر الاشاري، و تشمل كل ما يشير إلى ذات أو موقع أو زمن و تتمثل هذه الأدوات في: الضمائر، أسماء الإشارة، الأسماء الموصولة . [1]

الإحالة بالضمير :

الضمائر هي الأصل في الربط بين الأسماء، و قد رأى البعض أن الربط من الضمائر البارزة فحسب، ذلك أن الضمير المستتر في نظرهم يُعد قرينه معنوية تستنبط بالعقل، ولايشير إليها لفظ، والحقيقة أنّ الضمير يعتبر رابطا من الروابط الاسمية سواءً كان بارزًا أم مستترًا.[2]

ويرى الأستاذ تمام حسان في كتابه – اللغة العربية معناها ومبناها – أنّ الضمير لا يدل على مسمى كالاسم ولا على موصوف بالحدث كالصفة ولا على حدث وزمن كالفعل لأن دلالة الضمير تتجه إلى المعاني الصرفية العامة، والمعنى الصرفي العام الذي يعبر عنه الضمير هو عموم الحاضر أو الغائب، والحضور قد يكون حضور تكلم كأنا ونحن وقد يكون حضور خطاب ك(أنت) و فروعها، أو حضور إشارة كهذا، والغيبية قد تكون شخصية كما في (هو) وفروعه وقد تكون موصولية.[3]

[1] نائل إسماعيل، الإحالة بالضمائر، ص:1067.

[2] نائل إسماعيل، الإحالة بالضمائر ص:1068.

[3] تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء 1994، ص:108

و تتبين العلاقة بين الضمائر من خلال المخطط التالي: [1]

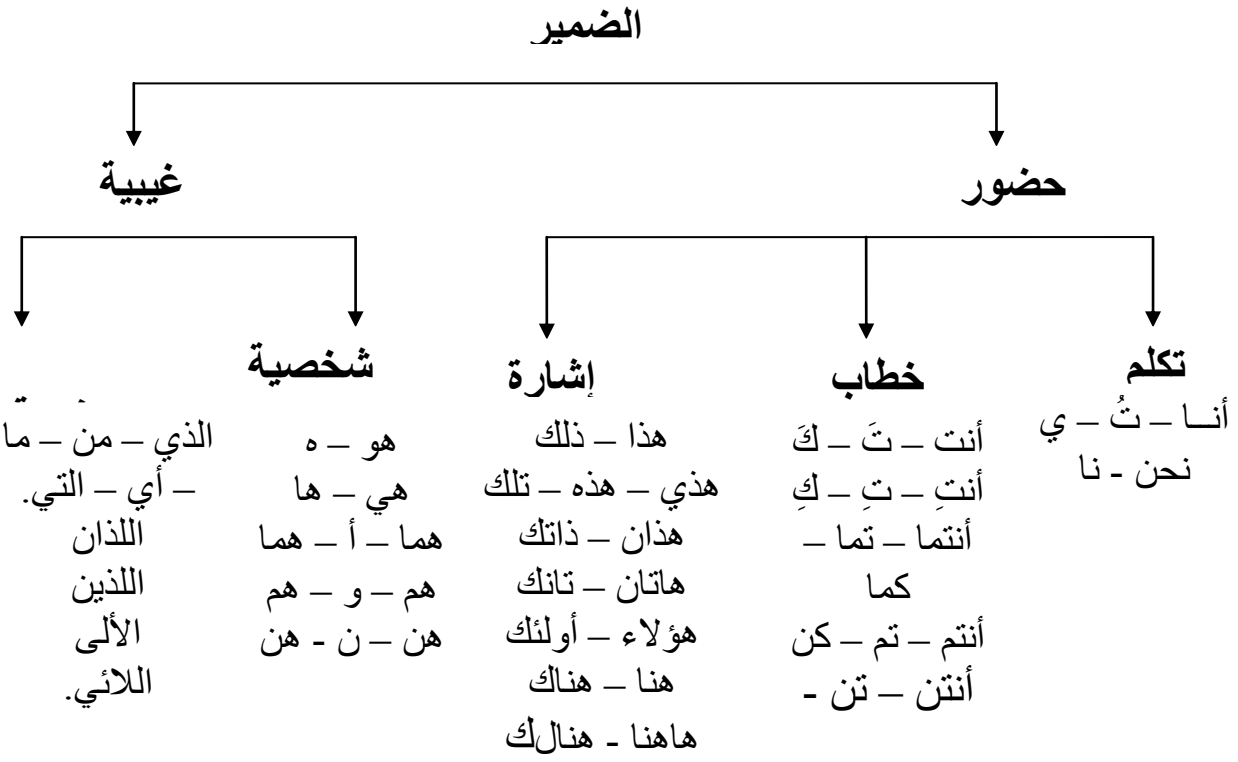

وقد تحدث البقاعي عن الضمير ودوره في التحام الكلام وانتظامه ومثال ذلك قوله في تفسيره لسورة البقرة:ولما كان ذكر الأجر لكل واحد بعينه أنص على المقصود وأنفى للتعنت، أفرد الضمير فقال: ﴿وهو محسن ﴾ في جانب الحق، بإذعان القلب، وفي جانب الخلق بما يرضي الرب فصلو يعبد الله كأنه يراه، فطابق سره علنه، ولما نفوا الأجر عن

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ص:109.

غيرهم وأثبته سبحانه للمتصف بالإسلام منهم وممن سواهم وكان ربما قيل انه أعطى غيرهم لكونه الملك المطلق بغير سبب ربط الأجر بالفاء دليلا على أن إسلامهم هو السبب فقال: ﴿**فله**﴾خاصة ﴿**أجره عند ربه**﴾ إحسانا إليه بإثبات نفعه على حسب ما ربّه به في كل شريعة.[1]

ولما كان ربما أدعى انه ما أفرد الضمير إلا لأنّ المراد واحد بعينه فلا يقدح ذلك في دعوى أنه لن يدخل الجنة إلا اليهود أو النصارى جمع فقال: ﴿ ولا خوف عليهم﴾ من آت ﴿ **ولا هم يحزنون**﴾على شيء فات دفعا لضرهم، وهذا كما أثبت سبحانه خلاف دعواهم في مس النار بقوله: ﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته﴾ فالتحم الكلام بذلك أشد التحام وانتظم أي انتظام.[2]

وفي تفسيره لسورة النساء نجد قوله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا﴾ فيقول ولما كان الحشر عاما للمستكبر وغيره كان الضمير في﴿ **فسيحشرهم**﴾ عائدا على العباد المشار إليهم بعبدا وعبادته، ولا يستحسن عوده على "من " لأن التفصيل يأباه، والتقدير حينئذ:فسيذلهم لأنه سيحشر العباد﴿ **إليه جميعا**﴾أي المستكبرين وغيرهم بوعد لا خلف فيه لان الكل يموتون، ومن مات كان مخلوقا محدثا قطعا.[3]

كما نجد قوله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزّروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا**﴾ ولما كان المعنى يحتمل الإزالة كما ذكر، خلص المراد بقوله ﴿**ويوقروه**﴾أي يجتهدوا في حسن إتباعه في تبجيله وإجلاله بأن يحملوا عنه جميع الأثقال، ليلزم السكينة باجتماع همه وكبر عزمه لزوال ما كان يشعب فكره من كل ما يهمه﴿ **ويسبحوه**﴾أي ينزهوه عن كل وصمة من إخلاف الوعد بدخول مكة والطواف بالبيت الحرام ونحو ذلك،

---

[1] برهان الدين البقاعي: نظم الدرر .ج2.ص:114

[2] المصدر نفسه .ج2.ص:114

[3] المصدر نفسه.ج2.ص:378

والأفعال الثلاثة يحتمل أن يراد بها الله تعالى، لأن من سعى في قمع الكفار فقد فعل، فيكون إما عائدا على المذكور وإما أن يكون جعل الاسمين واحدا إشارة إلى المسميين، في الأمر فلما اتحد أمرهما وحد الضمير إشارة إلى ذلك.[1]

إنّ مجيء عدد كبير من ضمائر الغائب في نص واحد إنما يدل على هيمنة الضمير بوصفه أداة مهيمنة في الترابط النصي، أسهم توظيفها في تحقيق الإيجاز والاختصار في النص بدلا من تكرار المحال إليه في كل موضع، مما كان سيؤدي إلى حشو في النص يخل باتساقه.

وفي هذا نستذكر قول ابن يعيش: " وإنما أوتي بالمضمرات كلها لضرب من الإيجاز .....لأنك تستغني بالحرف الواحد عن الاسم بكامله فيكون ذلك الحرف كجزء من الاسم."[2]

أسماء الإشارة :

اسم الإشارة هو ذلك اللفظ الذي يستعمله المتكلم للدلالة على الشخص المتحدث عنه المشار إليه [3] وهي مفهوم لساني يجمع كل العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام من حيث (المتكلم،الزمان،المكان،)وتعد الوسيلة الثانية من وسائل الاتساق. [4] وإذا كانت الضمائر تحدد مشاركة الشخوص في التواصل أو غيابها عنه، فانّ أسماء الإشارة تحدد مواقعها في الزمان والمكان داخل المقام الإرشادي، وهي تماما مثلها لا تفهم إلاّ إذا ربطت بما تشير إليه.[5]

---

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، ج7.ص:193

[2] نعمان بوقرة ، دراسات في علم اللغة النصي مقاربة تطبيقية على مدونة صحيفة الجزيرة، مكتبة ملك فهد الوطنية،ط1،الرياض 2013 ص: 238

[3] سليمان بوراس، مفهوم الاتساق والانسجام وأشكالهما، دراسات أدبية، العدد4، الخلدونية، دط، الجزائر، 2008، ص:88

[4] غيلوس صالح،الانسجام النصي في قصيدة جميلة للشاعر عقاب بلخير، مجلة المعيار، المجلد3، العدد5، 2012،ص: 97

[5] سليمان بوراس، مفهوم الاتساق والانسجام وأشكالهما.ص : 89

اسم الإشارة هو اسم يدل على مسمى وإشارة إليه فان قلت:هذا سعيد، دلّ لفظ (هذا)على ذات سعيد وعلى الإشارة إلى هذه الذات، واقترنت الدلالة بالإشارة .

والإشارة عمل حسي، أما المشار إليه– أي مدلول اسم الإشارة – فقد يكون حسيا كالمثال السابق، وقد يكون معنويا كقولك: هذه فكرة جيدة .[1]

يشير الأستاذ محمد خطابي إلى أنّ أسماء الإشارة تقوم بالربط القبلي والبعدي، وإذا كانت أسماء الإشارة بشتّى أنواعها محيلة إحالة قبلية، بمعنى أنها تربط جزءا لاحقا بجزء سابق، ومن ثم تساهم في اتساق النص، فان اسم الإشارة المفرد يتميز بما يسميه المؤلفان هاليداي ورقية حسن " الإحالة الموسعة " أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل [2]

ويتضح ذلك من خلال قوله تعالى:(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون.) (الروم 21) حيث أحال اسم الإشارة (ذلك) إلى ما تقدم من خلق الأزواج و ما جعل بينهم من مودة ورحمة

ويذهب الباحثان هاليداي ورقية حسن إلى أن هناك عدة إمكانيات لتصنيفها: إما حسب الظرفية: الزمان (الآن – غدا ....) والمكان (هناك– هنا...)أو حسب الحياد (the) أو الانتقاء (هذا –هؤلاء ...) أو حسب البعد (ذلك– تلك ..)والقرب (هذه – هذا ...) .[3]

وهذه العناصر تلتقي في مفهوم التعيين أو توجيه الانتباه إلى موضوعها بالإشارة إليه، وهي تنظم فضاء انطلاقا من نقطة مركزية هي الذات المتكلمة أو "الأنا " ويجري هذا التنظيم وفق عدد من المعايير أو المقولات، هي المسافة الفاصلة بين المتكلم أو المخاطب من جهة وبيت المشار إليه من جهة أخرى، وهي موقع المشار إليه من المركز، كان يكون

[1] محمد أسعد النادري ، نحو اللغة العربية ، المكتبة العصرية، دط، سيدا ، بيروت، ص: 24

[2] محمد خطابي ، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 19

[3] المرجع نفسه، ص : 19

إلى الوراء أو الأمام أو الفوق أو اليمين أو الشمال ... وهي حضور المشار إليه أو غيابه.[1]

وينحصر دور هذه العناصر في تعيين المرجع الذي تشير إليه، وهي بذلك تضبط المقام الاشاري، وتتعلق دلالة هذه العناصر بالمقام الاشاري لأنها من دون معنى – ما لم يتعين ما تشير إليه – فهي أشكال فارغة في المعجم الذي يمثل المقام الصفر، وهي تقوم بوظيفة تعويض الأسماء وتتخذ محتوى مما تشير إليه .[2]

وقد تفطن البقاعي إلى أهمية اسم الإشارة في الربط ومن ذلك نجد قوله في تفسيره لسورة البقرة في قوله تعالى:﴿الم (1) ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين(2) الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون(2)﴾ولما كان معنى ﴿الم﴾ هذا كتاب من جنس حروفكم التي قد فقتم في التكلم بها سائر الخلق فما عجزتم عن الإتيان بسورة من مثله إلا لأنه كلام الله أنتج ذلك كماله، فأشير إليه بأداة البعد ولام الكمال في قوله﴿ذلك الكتاب﴾ لعلو مقدار بجلالة أثاره وبعد رتبته في نيل المطرودين.[3]

ومن هنا فأسماء الإشارة لا تقل أهميتها في الإحالة عن أهمية الضمائر، فمثلما تقوم هذه الأخيرة بالربط بين الكلمات والجمل، تقوم أسماء الإشارة كذلك بهذه الوظيفة، حيث ربطت أول النص بآخره محققة بذلك سمة اختزال النص واختصاره.

دور الإحالة :

يمكن أن نلخص الدور الذي تقوم به الإحالة في عملية التخاطب فيما يلي :

- تسهم الإحالة مع العناصر الأخرى في خلق اتساق الخطاب وضمان استمراره ويتم ذلك بربط الخطاب بنموذج ذهني واحد متماسك من بداية الخطاب إلى نهايته.

[1] الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 116

[2] الأزهر الزناد، نسيج النص ص: 116

[3] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، ج1.ص:33

- إضافة إلى دورها في خلق اتساق الخطاب وألفاظ على استمراره تسم الإحالة في ضمان عملية التواصل ذاتها، فمن شروط الخطاب الناجح أن يكون المتخاطبان متفقين صراحة (في التخاطب المباشر)أو ضمنا (في التخاطب غير المباشر)على مجال واحد للخطاب.
- وتتبين أهمية الإحالة في ضمان التواصل، حيث يختل هذا الشرط ونكون أمام خطاب مرجعية المتكلم فيه غير مرجعية المتلقي. [1]

الوصل والفصل:

تمهيد:

ممّا لا شك فيه أن كل خطاب تجمع بين وحداته مجموعة من العلاقات الداخلية التي تحقق له سمة التماسك والترابط وتختلف هذه العلاقات وتتعدد بتعدد أنواع النصوص فمنها ما يرتبط بالجانب النحوي كالوصل والفصل والاستبدال والحذف ومنها ما يرتبط بالجانب المعجمي كالتكرار والتضام والتوازي، فالعلم بمواقع الجمل والوقوف على ما ينبغي أن يضع فيها من العطف والاستئناف والتهدّي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها أو تركها عند عدم الحاجة إليها صعب المسلك لا يوقف للصواب فيه إلاّ من أوتي قسطًا وافرًا من البلاغة، وطبع على إدراك محاسنها ورزق حظًا من المعرفة في ذوق الكلام.... و ذلك لغموض هذا الباب ودقة مسلكه وعظيم خطره وكثير فائدته.[2]

والوصل والفصل ظاهرتان متقابلتان أطال البلاغيون الوقوف إزاءهما وأولوهما عناية فائقة في ميدان علم المعاني، وقد كان وراء ذلك دون شك إحساسهم بغموض المسلك

[1] أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص: 145

[2] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في (المعاني، والبيان، والبديع) ، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، المكتبة العصرية، د.ط ، صيدا، بيروت، د ت، ص: 179.

إليهما ودقة الفروق بين المواضع المقتضية لكل منهما من جهة، ثم إيمانهم بوظيفتهما في اللغة الفنية .[1]

وذلك لكونهما يشملان علاقة توسيع داخل النص وفي الوقت ذاته وسيلة اقتصاد لغوي دون إحداث أي خلّل بين الجمل والفقرات المكونة للنصوص.

وقد نال هذا الباب– باب الفصل والوصل– منزلة عالية في البلاغة وخاض علماء البلاغة بالبحث في أهميته ومحسناته في كثير من الآيات القرآنية الكريمة، والكلام المنظوم والمنثور، ومن هؤلاء الجاحظ وأبوا هلال العسكري وعبد القاهر الجرجاني، والسكاكي والقزويني الزمخشري وغيرهم، ومن حسن المقطع عندهم : جودة الفاصلة وحسن مواقعها وتمكنها في موضعها. [2]

فأسلوب الوصل والفصل من أدق أبواب علم المعاني ولهما مساس في بعض الجوانب بأبواب من النحو العربي، ولكنه مساس ظاهري، إذ العناية في باب الوصل متجهة إلى ربط المعاني في شكل تعبيري[3]، أداة الوصل فيه تقتصر على الواو دون بقية حروف العطف، لأنها الوحيدة من حروف العطف التي لا تفيد إلاّ مجرد الربط وتشريك ما بعدها لِما قبلها في الحكم بخلاف بقية الحروف. [4]

مفهوم الوصل :

[1] حسن طبل، علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل و تقييم، مكتبة الإيمان ط 2، مصر 2004. ص: 182.

[2] يوسف أبو العدوس، البلاغة والأسلوبية، مقدمات عامة، مكتبة الأهلية للنشر والتوزيع ط 1،عمان الأردن 1999. ص:85

[3] مصطفى الصاوي الجويني، البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشاة المعارف مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية 1985 ص:43

[4] حسن نور الدين، الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل، دار العلوم العربية، ط1، لبنان، 1990ص :89

تفرض خطية الخطاب سلسلة متتابعة من الكلمات والجمل تربط بينها وسائل وأدوات لغوية نذكر من بينها الوصل الذي أسهمت فيه أدوات العطف بأنواعها في تحقيق ربط أجزاء النص على مستويين :

أ/ ربط خطي يقوم على الجمع بين جملة سابقة وأخرى تلحقها، فيفيد مجرد الترتيب في الذكر، مثل الواو في العربية .

ب / ربط خطي يقوم على الجمع كذلك، ولكنه يدخل معنى آخر يتعين به نوع العلاقة بين الجملة والأخرى مثل : " الفاء " "ثم " "أو " وغيرها في العربية، حيث تربط وتعبر عن علاقة منطقية بين العنصرين المربوطين. [1]

ويعرف المعجميون الوصل بأنه الضم والجمع، وينظر إليه النحويون على أنه العطف بين جملتين في مواضع معينة[2] والوصل كما يعرفه عبد المتعال الصعيدي في كتابه البلاغة العربية هو:" عطف جملة فأكثر على أخرى بالواو خاصة لصلة بينهما في المبنى والمعنى أو دفعا للبس يمكن أن يحصل "[3] وحروف العطف عشرة : الواو،الفاء، ثم، أو،أم، إما، بل، لا ، لكن، حتى. [4]

أما من منظور اللسانيات النصية فهو علاقة توسيع في الفقرة وهو في الوقت ذاته وسيلة من وسائل الاقتصاد، فهو من جهة وظيفته في الفقرة يسمح لها بالاتساع، أما من جهة شكله وبنائه ما هو إلا حرف يرمز بالاتفاق إلى أن الناص أراد العطف، أي انه أراد أن يلفت المتلقي إلى اشتراك التركيب الحالي مع سابقه في الحكم، فهو من هذه الجهة فقط داخل في

---

[1] لينده قياس، لسانيات النص بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق .ص: 110

[2] صالح بلعيد ، نظرية النظم، دار هومة للنشر والتوزيع، د ط، الجزائر 2004,ص: 5

[3] عبد المتعال الصعيدي، البلاغة العربية، مكتبة الآداب، ط2، القاهرة 1991, ص:104

[4] محمد بن صالح العثيمين، شرح الأجرومية، مكتبة الرشد، ط1، الرباط، المملكة العربية السعودية،2005، ص:315

الاقتصاد اللغوي[1] وعلى اعتبار أن الوصل واحدا من العلاقات الاتساقية التي تسهم في تماسك النصوص بشكل منظم وذلك من خلال ربط السابق باللاحق فانه – الوصل – لا يحتاج إلى قرائن أو إشارات تدفعنا نحو البحث عن المفترض، وكمثال لذلك نأخذ قوله تعالى في سورة الغاشية: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴿17﴾ والى السماء كيف رفعت ﴿18﴾ والى الجبال كيف نصبت ﴿19﴾ والى الأرض كيف سطحت ﴿20﴾﴾(سورة الغاشية : 18 – 20) فالمطلوب في الآيات التأمل في ما خلق الله، ليصلوا بهذا التأمل إلى الإيمان بالبعث الذي ينبني عليه أساس الدين والتناسب هنا بين الجمل واضح، فقد بدأ حديثه سبحانه وتعالى بالإبل التي هي عنصر أساسي في حياة البدوي في صحرائه وانتقل من الإبل إلى ما يرونه أمامهم في كل حين من سماء رفعت بلا عمد، وللسماء عند البدوي مكانة خاصة يتجه إليها ببصره يستنزل منها الغيث ويهتدي بنجومها في سراه بالليل، فإذا هبط ببصره قليلا رأى هذه الجبال الشامخة منصوبة تناطح السماء بقممها، وترسو في ثبات واطمئنان على أرض مهدت له وسطحت أمامه، أولا ترى أن تنقل البصر بين هذه المخلوقات تنقل هادئ طبيعي لا قفز فيه، وأن ارتباط بعضها ببعض في طبيعة البدوي مهد للربط بينها، وعطف بعضها على بعض.[2]

ومن محسنات الوصل تناسب الجملتين في الاسمية والفعلي، وفي المضي والمضارعة إلا لمانع، كما إذا أريد بإحداهما التجدد وبالأخرى الثبوت–كما إذا كان زيد وعمرو قاعدين– ثم قام زيد دون عمرو وقلت : قام زيد وعمرو قاعد. [3]

<u>أدوات الوصل :</u>

تسهم حروف العطف في الربط بين الكلمات داخل الجملة محققة بذلك استمرارية للنص وذلك من خلال ربط السابق باللاحق، وتتنوع أدوات العطف داخل النص الواحد وتتعدد

[1] عمر محمد أبو خرمة، نحو النص نقد النظرية وبناءأخرى، عالم الكتب الحديث، ط1،الأردن 2004, ص:184

[2] أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، مارس 2005، ص:135

[3] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، د ط ، لبنان، ص:167

فبالإضافة إلى الحروف"الواو" نجد "الفاء" "ثم"..... و غيرها، إلا أن علماء المعاني حصروا باب الوصل في العطف بحرف الواو فقط دون غيرها، فإذا كانت وظيفة هذه الأنواع المختلفة من الوصل.

حـــروف العطـــف

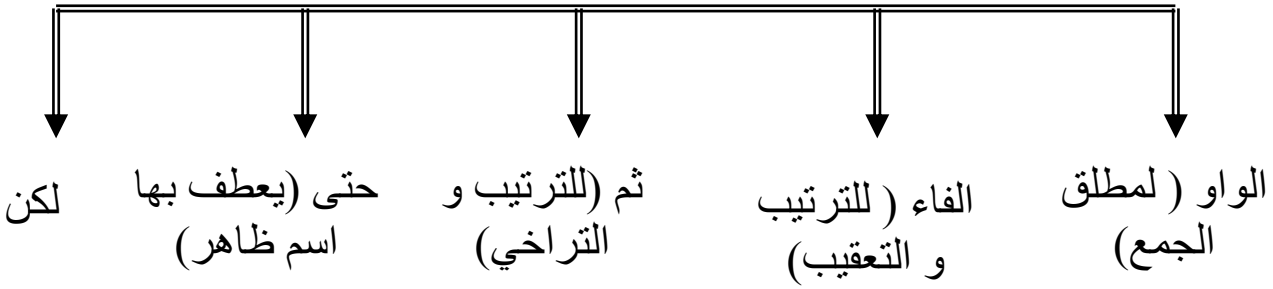

(نقصد بالوظيفة هنا الربط بين المواضيع المشكلة للنص) فإن معانيها داخل النص مختلفة، فقد يعني الوصل تارة معلومات مضافة إلى معلومات سابقة أو معلومات مغايرة للسابقة أو معلومات (نتيجة) مترتبة عن السابقة (السبب)، إلى غير ذلك من المعاني ولأن وظيفة الوصل هي تقوية الأسباب بين الجمل وجعل المتواليات مترابطة متماسكة فانه لا محالة يعتبر علاقة اتساق أساسية في النص.[1]

ويرى فان ديك في كتابة " النص والسياق" أنه من إحدى المسائل في سيمونطيقا الروابط الطبيعية هو وجود الالتباس والغموض فيها ذلك أن رابطا واحدًا بعينه يجوز أن يعبر عن مختلف أنواع الربط، وأن نوعًا واحدًا من الربط يمكن أن يعبر عنه بروابط مختلفة، والشاهد على ذلك هو الربط (التشريكي) لحرف الواو.[2] ولما كانت وسائل الربط في إطار الوصل متنوعة، فقد فرّع الباحثان (هاليداي ورقية حسن) هذا المظهر إلى إضافي وعكسي وسببي وزمني [3]محاولة لتصنيف أدوات الربط اعتمادًا على أبعادها الدلالية :

[1] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص :24

[2] فان ديك، النص والسياق، ترجمة عبد القادر قنيني – إفريقيا الشرق– د ط ، المغرب 2000، ص:90.

[3] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص :23.

* صنف يفيد الإضافة مثل : "الواو"، "أو" ، "أيضا" ،" بالإضافة".

* صنف يفيد التعداد مثل : "أولا"، "ثانيًا"،"أخيرًا"،"في النهاية"،"بعد ذلك".

* صنف يفيد التوضيح : "مثلاً"،"خاصة".

* صنف يفيد التمثيل :"على غرار"،"نحو"،"مثلاً".

* صنف يفيد الربط العكسي :"لكن" ،"غير ذلك"،"عكس ذلك".

* صنف يفيد السبب:"إذا"،"وعليه"،"وفعلاً"،"نتيجة لذلك"،"بناءًا على ذلك".....

* صنف يفيد الاختصار:"بإيجاز"،" باختصار"،"على العموم"،"أخيرًا".....

* صنف يفيد التعاقب الزمني:" قبل ذلك"،"بعد ذلك"،"ثم"،"اثر ذلك".

و تجدر الإشارة هنا إلى أن هذا التصنيف تقريبي فقط، خاصة وأن العديد من الروابط تتداخل في معانيها.[1]

فحرف الوصل وأداته الأصلية (الواو) من خلال جملة لها محل من الإعراب على جملة لها محل من الإعراب أو عطف جملة لا محل لها من الإعراب على جملة ليس لها محل من الإعراب بغرض إشراك الجملتين في الحكم الإعرابي وهنا يتضح معنى الوصل.

وللوصل مواضع ثلاثة:

❖ **الأول:** وضابطه أن يكون بين الجملتين انقطاع تام فتوصلان دفعاً للفهم الخاطئ فقولنا: " لا، وأيدك الله " وصلٌ واجبٌ لكي لا يُفهم الدعاء بالسوء إذ من المعروف أن (لا) إذا دَخلت على الماضي أعطت معنى الدعاء والكلام ليس بذلك فهو واجِبٌ لسائل (هل الأمر كذلك) فنجيب (لا، وأيدك الله) فالجملة الأولى خبرية (لا ليس الأمر كذلك) والثانية إنشائية لأنها أخذت معنى الدعاء (أيدك الله)[2].

[1] محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص، ص: 95.

[2] احمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها،ج3، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1987م ص:553 .

❖ **الثاني**: وضابطه أن تكون الجملتان متفقتين خبراً وإنشاءً لفظاً ومعنىً ومنه قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً) (البقرة:83) عطف قوله: (**قُولُوا**) على قوله: (**لا تَعْبُدُونَ**) لأنه بمعنى (**لا تَعْبُدُونَ**) [1]. قال البقاعي: " ولمّا لم يكن وسع الناس عامة بالإحسان بالفعل ممكناً أمر بجعل ذلك بالقول عطفاً على الخبر الذي معناهُ الإنشاء وقولوا للناس حُسناً "[2]، فالبقاعي يذهب في تفسيره للآية عطفاً على الخبر الذي معناهُ الإنشاء إذ الجملتين اتفقتا خبراً وإنشاءً .

❖ **الثالث**: وضابطه أن يكون للجملة الأولى محل من الإعراب وقصد إشراك الجملة الثانية لها في الحكم الإعرابي، وهذا كعطف المفرد على المفرد لأنَّ الجملة لا يكون لها محل من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد، وينبغي هنا أن تكون مناسبة بين الجملتين[3]، كقوله تعالى:(يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ)(سبأ:2)

ومنه قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أولادهم مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وأولئك هُمْ وَقُودُ النَّارِ) (آل عمران:10)، فجملة (وأولئك هُمْ وَقُودُ النَّار) جملة معطوفة على جملة الخبر(**لَنْ تُغْنِيَ**) واتى بلفظ (**هُمْ**) لإحاطتها مبالغة في الإحراق.[4]

---

[1] ينظر، احمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها،ج3، ص:553 .

[2] برهان الدين البقاعي ، نظم الدرر: 443/15 .

[3] احمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها،ج3 ص:553. و الميسر في البلاغة العربية، لأبي عبد الله ابن شعيب الجزائري، دار الهدى للطباعة والنشر ط1، الجزائر، 1992م ص: 182 .

[4] احمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها،ج4.ص:254 – 258. و برهان الدين البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، دار جدة للنشر، ط1، المملكة العربية السعودية، 1987م، 435/1 – 436 .

مفهوم الفصل:

ويسميه البعض القطع [1] وهو في علم المعاني ترك العطف إما لأن الجملتين متحدتان مبني ومعنى وإما لأنه لا صلة بينهما في المبنى والمعنى ومثال ذلك قوله تعالى :" وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون. الله يستهزئ بهم" إذا لم تعطف جملة [الله يستهزئ بهم] على جملة [إن معكم] لأنها ليست من مقولهم. [2]

أنواع الفصل: يمكن التمييز بين نوعين من الفصل.

1/ نوع يكون فيه الكلام السابق بمثابة سؤال، وما يأتي بعده يطلب منه أن يتنزل منزلة الإحالة دون رابط ظاهر كقولك :كم صديق أحببته، وفارقته وهذه سنة الحياة، فالواو هنا استئنافية لا غير، ومن خلال هذين النوعين نعلم أن الفصل يقوم على أسرار فنية، ونكت بيانية لا تصلح في الوصل.[3]

2/ نوع يكون فيه الكلام السابق حكما، و اللاحق (المعطوف) غير مشترك مع الحكم فلا يشترك الثاني في الأول، فيقطع كأن نقول: المحاضرة صعبة، وأنت راكب رأسك، وهنا نلاحظ أنه لا يوجد في الكلام السابق ما يجعل الثاني مرتبطًا به، الواو هنا قطيعة لا غير.[4]

أدوات الفصل :

أدوات الفصل كثيرة ونظرا لانعدامها في الديوان سنكتفي بأداتين فقط هما: أو– إما.

أو:لأحد الشيئين أو الأشياء، وهي مفيدة بعد الطلب، التخيير أو الإباحة وبعد الخبر الشك أو التشكيك كقوله تعالى: [لبثنا يوما أو بعض يوم]وقوله أيضا :[فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتكم أو تحرير رقبة] ولكونها لأحد الشيئين أو الأشياء امتنع أن يقال: [سواء علي أقمت أو قعدت] لأن سواء لابد فيها من شيئين,لأنك لا

---

[1] صالح بلعيد، نطرية النظم .ص: 55.

[2] عيسى علي العاكوب، الكافي في علوم البلاغية(المعاني– البيان– البديع) منشورات الجامعة المفتوحة – ط1 ، 1993، ص: 298.

[3] صالح بلعيد ، نظرية النظم، ص:56.

[4]المرجع نفسه، ص:56.

تقول: سواء علي هذا الشيء، ويرى النحاة أن لها أربعة معان، معنيان بعد الطلب وهما:التخيير والإباحة، ومعنيان بعد الخبر وهما: الشك والتشكيك. [1]

لو عدنا إلى كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ومعنا النظر في مواضع الفصل والوصل التي تطرق إليها البقاعي في تفسيره لوجدناها كالتالي:

مواضع الفصل خمسة:

❖ **الأول:** وضابطهُ أن يكون بين الجملتين كمال التآلف وتمام الاتحاد ؛ إذ تنزل الثانية من الأولى المنزلة نفسها وهو(كمال الاتصال) وذلك أن تكون الجملة الثانية تأكيداً للأولى والمقتضى للتأكيد رفع توهم التجوز والغلط، وهو قسمان:

1. أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد المعنوي من متبوعه في إفادة التقرير مع الاختلاف في المعنى كقوله تعالى: (**ألم ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيه**) (البقرة:1-2) وقد تناول البقاعي الاثنين بالتفسير قال: " فالمنفي كونه متعلقاً للريب ومظنّة له، ولم يقَدّمَ الظرف لأنه كان يفيد الاختصاص فيفهم أن غيره من الكتاب محل الريب...و(ذا) اسم مدلوله المشار إليه، واللام مدلوله معها بعد ما (**الْكِتَاب**) من الكتاب" [2]. فالبقاعي في تفسيره الآتيين إنما يشير إلى معنى القطع والفصل من خلال قوله: (ذا) اسم مدلوله المشار إليه و(ما الكتاب) من الكتاب وهو وصل الشيء المنفصل بوصله خفية من أصله[3]، فـ(**ذَلِكَ الْكِتَابُ**) جملة مستقلة فيوقف عليه (**لا رَيْبَ فِيه**) أي لاشك في أنه من عند الله وهذا تأكيد على فصل الجملتين لأن أحداهما تؤكد الأخرى وفي معنى (**لا رَيْبَ فِيه**) لاشك فيه تأكيد وهو للتعظيم[4].

---

[1] جمال الدين بن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، مكتبة طيبة، دار الخير ط1، 1990، ص:306.

[2] برهان الدين البقاعي، نظم الدر، 80/1 و168/5.

[3] المصدر نفسه80/1 .

[4] المصدر نفسه: 79/1 .

2/أن تنزل الثانية من الأولى منزلة التأكيد اللفظي من متبوعه في اتحاد المعنى لقوله تعالى: (الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ) (البقرة: 1-2) فإن هدىً للمتقين معناه: أنه في الهداية بالغ درجة لا يدرك كنهها حتى كأنه هداية محضة، فالجملة المؤلفة من المبتدأ المحذوف والخبر هدىً مفصولةً لأنها جاءت بمعنى التأكيد لعدم الريب فاتّحد المعنيان لذلك وجب الفصل وقد نص البقاعي على الهداية المحضة فهي للمتقين وخص المتقين الذين جبلوا في أصل الخلقة على التقوى، فافهم من ذلك أن غيرهم لا يهتدي به بل يرتاب وان كان ليس موضعاً أصلاً[1].

❖ **الثاني:** وهو أن يكون بين الجملتين (كمال الانقطاع) أي تباين تام وليس في الفصل إيهام خلاف المقصود، وذلك أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاء لفظاً ومعنىً فمن وجوب الفصل لاختلاف الخبر والإنشاء قوله تعالى: (**وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**) (الحجرات:9)، فلما أمر بالقسط بأسلوب إنشائي أخبر بحب الله للقسط بأسلوب خبري فالتباين التام اوجب الفصل، قال البقاعي: " (**وَأَقْسِطُوا**) أي وأزيلوا القسط – بالفتح وهو الجور – بأن تفعلوا القِسط بالكسر وهو العدل العظيم الذي لا جور فيه ، ثم علله ترغيبا فيه بقوله مؤكداً تنبيهاً على أنه من أعظم ما يتمادح به ... (**يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**) أي يفعل مع أهل العدل من الإكرام فعل المحب "[2] فالجملتان متباينتان في الخبر والإنشاء والفظ والمعنى وسياق اللفظ ودلالة معنى التفسير.

❖ **الثالث:** وضابطهُ أن تكون الجملة الأولى مورد السؤال الذي قد تضمنته والمقدر فيها فجاءت الثانية جواباً لها أو جواباً لسؤال قدر في الجملة الأولى وإذ ذاك يجب فصل الثانية عن الأولى لوقوعها جواباً عن السؤال المقدر فيها ,ويسمى هذا (شبه كمال الاتصال) أو (الاستئناف) كقوله تعالى: (**قَالُوا سَلاماً قَالَ سَلامٌ ...**) (هود:69)، كأنه قيل: فماذا قال

[1] ينظر، برهان الدين البقاعي، نظم الدرر: 81/1 .

[2] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر: 372/18 .

إبراهيم ؈؟ فقيل: (**قَالَ سَلامٌ**)[1]، قال البقاعي: " (**قَالَ سَلامٌ**) أي ثابت دائم عليكم لا زوال لهُ أبداً، فللرفع مزية على النصب لأنهُ إخبار عن ثابت، والنصب تجديد ما لم يكن فصار مندرجاً في (**فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا**) {النساء:86} "[2].

❖ **الرابع:** وضابطهُ أن تكون الجملة الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولى لأنَّ الكلام قد يوهم أن الجملتين معطوفتان، لذلك يجب القطع لئلا يظن القارئ العطف وهو (شبه كمال الانقطاع) وهذا لم أجد شواهد له في تفسير البقاعي ذكرناها إكمالاً للفائدة .

❖ **الخامس:** وضابطه أن تكون الجملتان متوسطتين بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع مع قيام المانع من الوصول كأن يكون للأولى حكم يقصد إعطاؤه للثانية كقوله تعالى: (**وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِم**) (البقرة: 14-15) لا يصح عطفها على جملة (**قَالُوا**) لئلا يلزم من ذلك أن تكون من مقول المنافقين مع أنها من مقول الله تعالى[3].

قال البقاعي:" (**قَالُوا آمَنَّا**) معبرين بالجملة الفعلية الماضية التي يكفي في إفادتها لما سيقت لهُ أدنى الحدوث... (**قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ**) معبرين بالجملة الاسمية الدالة على الثبات مؤكدين لها ، دلالة على نشاطهم لهذا الإخبار ولمزيد حبهم ... ثم استأنفوا في موضع الجواب لمن قال: ما بالكم تلينون للمؤمنين"[4].

إنَّ تحليل البقاعي اعتمد على النحو في افتتاح الجملة ومعاني اللغة من خلال التجدد في صيغة المضارع التي تفيد التجدد قال: " ويذيقهم في الدارين أعلى هوان مُجدداً لهم ذلك

---

[1] دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، ت 471هـ، تعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مصر، ص: 182، ينظر، شرف الدين الحسين بن محمد الطيبي، التبيان في البيان، تحقيق د. توفيق الفيل، وعبد اللطيف لطف الله، الكويت، 1986م .ص:142

[2] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 329/9. وقرا حمزة (سِلم) بكر السين، قال الفراء: وهو في معنى سلام كما قالوا . حل وحلال وحرم وحرام لان التفسير جاء بأنهم سلموا عليه فرد

[3] احمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها،ج3، ص:552 .

[4] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر:ج1 ص:114- 115 .

بحسب استهزائهم وذلك أنكأ من شيء دائم توطن النفس عليه، فلذلك عبر بالفعلية دون الاسمية ، مع أنها تفيد صحة التوبة لمن تاب دون الاسمية "[1].

فالبقاعي يعتمد في معنى الآية على العطف وسياق المناسبة ومما سبق نستنتج أن البقاعي ذكر قسماً من مواضع الوصل وبين أحياناً المعنى الدلالي لهذا الوصل معتمداً على النحو وترابط الآيات وسياق مناسباتها .

ومن هنا فالفصل يقع في خمسة مواضع هي كمال الاتصال وكمال الانقطاع وشبه كمال الاتصال وشبه كمال الانقطاع والتوسط بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع مع قيام المانع من الفصل.

أما الوصل فيقع في ثلاثة مواضع وهي كمال الانقطاع مع الإيهام والثاني أن تكون الجملتان متفقتين خبراً وإنشاءً لفظاً ومعنىً والثالث أن يكون للجملة الأولى محل من الإعراب وقصد إشراك الثانية لها في الحكم الإعرابي .

ومن المواضع التي تحدث فيها البقاعي عن الفصل بالمفرد .

- **<u>الفصل بين الصفة والموصوف بالفاعل جائز:</u>**

وقد ورد هذا الأسلوب في قوله تعالى: :(يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أو كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً) (الأنعام:158)، فقد جاز الفصل بالفاعل بين الموصوف وصفته كما نص على ذلك البقاعي إذ قال: " ولا ينفع نفساً كافرة إيمانها أي إذ ذاك ولا نفساً مؤمنة كسبها الخير إذ ذاك في إيمانها المتقَدّمَ على تلك الآية ... ولذلك بينه بقوله واصفاً نفساً لم تكن أي كافرة فيكون فاعل الفعل المقدر في كسبت محذوفاً والتقدير لا ينفع نفساً لم تكن آمنت من قبل أو لم كسبت في إيمانها خيراً إيمانها وكسبها "[2].

- **<u>الفصل بين الصفة والموصوف:</u>**

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر،ج1 ص:116.

[2] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، ج7 ص:332 – 333 .

وقد ورد هذا الأسلوب في قوله تعالى: (اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ) {البقرة:255}، قال البقاعي فـ(**الْحَيُّ**) أي الذي لهُ الحياة وهي صفة توجب العلم والقدرة ... ولما عبر بالأخذ الذي هو بمعنى القهر والغلبة وجب تقديم السِنة ... ثم بين هذه الجملة بقوله (**لَهُ**) أي بيده وفي تصرفه واختصاصهِ"[1] فالمعنى البلاغي الذي يؤديه الفصل هنا بين لفظ الجلالة وصفته (**الْحَيُّ**) على الاختصاص كما نص على ذلك البقاعي.

الحذف :

الحذف ظاهرة لغوية تشترك فيها اللغات الإنسانية، وتبدوا مظاهرها في بعض اللغات أكثر وضوحا ونحن نرى أن ثبات هذه الظاهرة في العربية ووضوحها –كما يقول الأستاذ طاهر سليمان حمودة – يفوق غيرها من اللغات لما جبلت عليه العربية في خصائصها الأصلية من ميل إلى الإيجاز.[2]وهو من الأساليب التي تلجا إليها اللغة لتحقيق التطابق بين التركيب وما يقصد به الحذف بعض عناصر صيغ التركيب نفسه,وقد تناول النحاة هذا الأسلوب بالدرس في أبواب شتى من أبواب النحو، ومن أم هذه الأبواب: المفعول به وما يلحق به، والإغراء والتحذير، والمبتدأ ..... [3]

مفهوم الحذف :

الحذف هو طريقة في الربط أفضل من الاعتماد على الذكر، يقول عبد القاهر في تعليل ذلك وتفسيره: " الحذف باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فانك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد من الإفادة، وقد اطرد حذف المبتدأ مع القطع والاستئناف، يبدؤون بذكر الرجل أو الرجال، ويقدمون بعض أمورهم

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر:ج7 ص:31 .

[2] طاهر سليمان حمودة ، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية، د ط، الإسكندرية 1988ص:9

[3] علي أبو المكارم، الظواهر اللغوية في التراث النحوي، دار غريب.ط1، القاهرة 2007،.ص:149

أو أمره، ثم يدعون الكلام ويستأنفون آخر، وإذا فعلوا ذلك أتو في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ." [1] والحذف باعتباره وسيلة من وسائل التماسك لا يختلف دلالة عن الاستدلال وهما متشاركان جدا ومتشابهان– كما يرى احمد عفيفي– غير أن الحذف استبدال من الصفر،لان الحذف لا اثر له إلا الدلالة فلا يحل شيء محل المحذوف، أما الاستبدال فيترك أثرا يسترشد به المتلقي وهو كلمة من الكلمات المشار إليها في الاستبدال.[2]

والحذف لا بد له من دليل وأدلته كثيرة منها :

- أن يدل العقل عليه –أي على الحذف والمقصود على تعيين المحذوف–مثل قوله تعالى:"حرّمت عليكم الميتة "(المائدة 03) [3]
- أن يدل العقل عليهما –أي على الحذف وتعيين المحذوف –مثل قوله تعالى :"وجاء ربّك" فالعقل يدل على امتناع مجيء الرب تعالى ويدل أيضا على تعيين المراد أي أمره . [4]
- أن يدل العقل عليه والعادة على التعين مثل: قوله تعالى :"فذلكنّ الذي لمتّنني فيه " يوسف 32 فان العقل دلّ على أن فيه حذفا، إذ لا معنى للوم، وإما تعيين المحذوف فيقدر ب : " في حبّه" [5]
- الاقتران: كقولك للمعرس "بالرفاء والبنين"فان مقارنة هذا الكلام لإعراس كلام المخاطب دلّ على تعيين المحذوف أي: أعرست بالرفاء والبنين . [6]

[1] إبراهيم خليل ، في نظرية الأدب وعلم النص، ص:241

[2] احمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص:126

[3] الفاضل اللبيب مسعود بن عمر التفتازاني، مختصر المعاني، م1، مكتبةالبشرى، ط1، كراتشي، باكستان، ص:536

[4] المرجع نفسه ص:537

[5] المرجع نفسه ص :538

[6] المرجع نفسه ص : 539

الأغراض البلاغية للحذف :

إذا كان الذكر هو الأصل فان الحذف إنما يكون لغرض بلاغي والأغراض البلاغية للحذف كثيرة منها : [1]

- الاختصار والاحتراز عن العبث لظهورهما في حذف مفعول المشيئة بعد أداة شرط لأنه مذكور في جوابها.
- التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام، أو يقصد به تعديد أشياء فيكون في تعدادها طول وسآمة فيحذف ويكتفي بدلالة الحال وترك النفس تجول في الأشياء المكتفي بالحال عن ذكرها.
- التخفيف لكثرة دورانه في الكلام كما حذف حرف النداء نحو قوله تعالى:"يوسف اعرض عن هذا ".
- شهرته حتى يكون ذكره وعدمه سواء ومثال ذلك قوله تعالى:" تساءلون به والأرحام " (النساء:الآية 1)لان هذا مكان شهر بتكرير الجار فقامت الشهرة مقام الذكر.
- قصد العموم مثل قوله تعالى:" وإياك نستعين " الفاتحة 5 أي على العبادة وعلى أمورنا كّلها.[2]
- رعاية الفاصلة نحو قوله تعالى :" ما ودّعك ربك وما قلى " أي وما قلاك .
- قصد البيان بعد الإبهام، كما في فعل المشيئة نحو قوله تعالى: " فلو شاء لهداكم " الأنعام 149 أي فلو شاء هدايتكم .

صور الحذف :

للحذف أربعة صور تتمثل في :

[1] مصطفى عبد السلام أبو شادي: الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن، د ط، القاهرة، د ت.ص:149

[2] مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، ص :150

❖ **حذف بمؤشر لغوي:** أي انه –اعتمادا على الجملة السابقة واللاحقة – يمكن تقدير المحذوف. [1]

❖ **حذف بالاعتماد على المؤشر الكتابي:** بمعنى أن النص يكتفي أحيانا بالنقط عن الكتابة مثل: " لم نجد خيلا .....لم نجد غير ثلاثة أطفال".

❖ **حذف بالاعتماد على المؤشر البياضي:** ويتجلى ذلك في كيفية توزيع فقرات النص.

❖**حذف بالاعتماد على الإطار:** وتقدير هذا المحذوف يحتاج إلى تفكير واحتياط واستحضار لجميع عناصر الإطار بخلاف أنواع الحذف السابقة التي تقدر بالاعتماد على الجملة السابقة واللاحقة، إذ أن هذا الحذف يعتمد أساسا على قراءة البياض، فمثلا حين تذكر الغاية يتوقع الناس الحديث عن الأشجار والأحجار .... ولكن هذه البنية لها ما يوازيها في الواقع وهو المجتمع بفئاته الاجتماعية ونظام الحكم ومؤسساته المختلفة .....وحينما نوازن بين عناصر البنيتين نهتدي إلى دلالة ذلك التركيب وتعالقه مع المعنى الحرفي والمعنى المجازي.

غاية الحذف : (الهدف) :

للحذف غايتان هما :

أولا : أنه وسيلة من الوسائل الفنية في التعبير الأدبي يلجأ إليهما الأديب بوحي من ذوقه الرّهيف وحسه اللغوي للإيحاء بما لديه من معان وأغراض لا تتحقق إلاّ بهذا الأسلوب.

ثانيهما: في الحذف تنشيط لخيال المتلقي ودعوة غير مباشرة له للحدس بهذا المحذوف، واكتشاف ما وراء حذفه من أسرار، وتلك إحدى غايات الفن، فالأدب الجيد ليس بثا مباشرا

[1] محمد مفتاح، دينامية النص (تنظير وإيجاز)، المركز الثقافي العربي، ط3،الدار البيضاء، المغرب، 2006،ص:168

أو إفضاء صريحا بالمعنى الكامن فيه، ولكنه لون من التظليل والغموض الذي يثير ذهن المتلقي ويحرك خياله. [1]

لقد تطرق البقاعي لموضوع الحذف في تفسيره، مبيناً المحذوف والمواضع التي يحدث فيها الحذف وقد اصطبغت دراسته بالصبغة النحوية تارة والبلاغية تارة أخرى، لهذا فأن لأسلوب الحذف مجالاته وأسبابه التي تتعلق بالمتكلم والمتلقي أو ما يعرف عند البلاغيين بمقتضى الحال.[2]

❖ **حذف المفعول:**

تناول البقاعي هذا النوع من الحذف في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ (القصص:23) .

قال البقاعي: " ﴿ **يَسْقُون** ﴾ أي مواشيهم، وحذف المفعول لأنهُ غير مراد، والمراد الفعل ... " [3]، إذ حذف المفعول بهِ في ثلاثة مواضع قبل الأفعال:﴿ **يَسْقُونَ** ﴾،﴿ **تَذُودَانِ**﴾ ﴿ **نَسْقِي** ﴾،ومنه قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِين وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ ... ﴾ (البقرة:132). قال البقاعي: " أي لاحسان ربك إليك، وحذف المفعول ليتناول كل ما يصح إسلامه إلى المسلم إليه وقصره عليه ... قالت: ﴿ **أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِين** ﴾،

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخرة مِنْ خَلاقٍ﴾ (البقرة:200)

---

[1] حسن طبل، علم المعاني في الموروث البلاغي، ص:105

[2] عقيد خالد العزاوي، الأساليب البلاغية في نظم الدرر، ص:147

[3] برهان الدين البقاعي:نظم الدرر: 264/41. ينظر: النيسابوري: الوسيط في تفسير القرآن المجيد،ج3 تحقيق نخبة من العلماء، دار الكتب العلمية، ط1 لبنان، 1994م. ص:393 .

قال البقاعي: " ... أفرد الضمير رعاية للفظ من بشارة بأن الهالك من هذه الأمة قليل... (**آتِنَا فِي الدُّنْيَا**) ومفعوله محذوف تقديره ما نريد ويجوز أن يكون عطفاً على تقديره: فيعطيه ما شاء الله سبحانه منها ... ".[1]

فالبقاعي يذكر مواضع حذف المفعول في هذه النصوص وهو يشير إلى حذف المفعول صراحة ونراه يبين الغرض منه في قسم من الأحيان مثل لرعاية اللفظ ونراه يتابع الزمخشري في قسم من أمثلته ويحذو حذوه في بيان مواطن الحذف في النص وفي المثال الأخير ينفرد البقاعي في تفسيره للحذف وهذا ما لم نجده عند كثير من المفسرين.[2]

❖ **حذف الصفة :**

وقد ذكرها البقاعي في تفسيره لقوله تعالى: (وَاتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ) (البقرة:48).

قال البقاعي: "ولما كان المتقى إنما هو الجزاء الواقع في يوم القيامة حذفه وأقام اليوم مقامه تفخيماً له وتنبيهاً على أن عقابه لا يدفع كما يدفع ما في غيره بأنواع الحيل فقال:(**يَوْماً**)[3]، فحذف عائد الصفة وهو اقل وروداً، أي لا تجزي فيه، حذف في السياق التحذير الموجه لليهود من تجاهل يوم القيامة لهذا جاءت مقيدة بشروط بأسلوب النهي وسياق النهي والتقييد أنسب للحذف، قال الرازي: " فان قيل فأين العائد منها إلى الموصوف ؟ قلنا هو محذوف

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر :ج2ص: 165-166.

[2] محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في وجوه تأويل آي القرآن، تحقيق محمود محمد شاكر،ج4 دار المعارف ط2، مصر 1954م :ص:201. نظام الدين الحسين محمد بن الحسين النيسابوري :غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض ج2، مطبعة مصطفى البابي وأولاده، مصر، ط1 ، 1967م ص:278 .

[3] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر.ج1ص:348 .

تقديره لا تجزي فيه ومعنى التنكير أن نفساً من الأنفس لا تجزي عن نفس غيرها من الأشياء ..."[1]

❖ **حذف المعطوف عليه:**

تناول البقاعي هذا النوع من الحذف في تفسيره في قوله تعالى:(فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى) (طه:70) قال البقاعي: "وحذف ذكر الإلقاء وما سببه من التلقف لأنّ مقصود السورة القدرة على تليين القلوب القاسية"[2]، لأنّ الأصل ليس إلقاء العصا، وإنما فعل السحرة الذين تحدّوه ثم يستأنف البقاعي القول: "سبحان الله! ما أعظم شأنهم! القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الإلقائيين "[3]، ومن سياقات حذف المعطوف التي ذكرها البقاعي في قوله تعالى: (**فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أو عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَر**) (البقرة:184) أي فافطر فعدة لان السياق يقصد بيان التشريع في عدة الصيام وليس الإفطار، لهذا حذف ذكر المعطوف لأنه المقصود قال البقاعي "ففي إفهامه أنَّ مكتوب المريض والمسافر غير مكتوب الصحيح والمقيم، فبذلك لا يحتاج إلى تقدير: فافطر، لأنّ المقصد معنى الكتب ويبقى ما دون الكتب على حكم تحمله ولهذا حذف المعطوف عليه لدلالة وضوحه"[4]، وأمثلته كثيرة.

❖ **حذف الحروف:**

ومن أساليب الحذف التي تناولها البقاعي:

حذف حرف الجر:

---

[1] فخر الدين الرازي، التفسير الكبير،ج3 بإشراف عبد الرحمن محمد، المطبعة المصرية ط3، 1965. ص:54 .

[2] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر 309/12.

[3] المصدر نفسه:309/12

[4] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر: 48/3 وينظر محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي: البحر المحيط ج2مطابع النصر الحديثة ، ط1 الرياض ، المملكة العربية السعودية 1329هـ . ص:25-26.

في غير موضع من تفسيره ومنه قوله تعالى: (وَلا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَه) (البقرة:235) إذ جاء النفي ليؤكد امتناع حصول العزم والنية السابقة لعقد النكاح للتنبيه على امتناعه أصلا، فحذف حرف الجر ليقتصر النهي على الاسم بعده من اجل تأكيده، قال البقاعي: " (**وَلا تَعْزِمُوا**) ... أي تفعلوا فعلاً بتاً، مقطوعاً به غير متردد فيه، (**عُقْدَةَ النِّكَاحِ**) أي النكاح الذي يصير معقوداً للمعتدة ... ولذلك اسقط (على) وأوقعه على العقدة التي هي من آثاره ولا تتحق بدونه، فكأنه قال: ولا تعزموا على النكاح باقين عقدته ، وهو أبلغ مما لو قيل ولا تعقدوا النكاح، فان النهي عن العزم الذي هو سبب العقد نهي عن العقد بطريق أولى"[1]

ومن حذف حروف الجر التي تناولها البقاعي أيضاً قوله تعالى: (أو جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ) (النساء:90) بتقدير عن أن يقاتلونكم لأجل دينهم،[2] ومعنى (**حَصِرَتْ**) ضاقت وكل من ضاق صدره بأمر فقد حصر، وهذا مما تفرد البقاعي في تفسيره لحذف حرف الجر إذ لم نجده عند الواحدي والزمخشري وابن جزي[3]، وهذا يدل على أنَّ البقاعي يسير على خطى الزمخشري تارة وعلى خطى البيضاوي تارة أخرى ويؤكد مقولته أنّ تفسيره جعله رديفاً لتفسير الكشاف والبيضاوي مع وضوح شخصية البقاعي في قسم كبير من تفسيره. [4]ومن أساليب حذف الحروف التي تناولها في تفسيره:

حذف الواو:

ويحذف بحسب السياق كما في قوله تعالى: (وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ) (الشورى: 24) إذ حذفت الواو منه وهي لام الفعل علامة على سرعة الحق وتأكيداً وبشارة لمحو الباطل وإحقاق الحق، قال البقاعي: " ... إيماء إلى أنه سبحانه يمحق رفعه وعلوه،

---

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 348/3.

[2] ينظر : برهان الدين البقاعي:نظم الدرر:357/5.

[3] علي بن احمد الواحدي النيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق نخبة من العلماء:92/2.

[4] عقيدخالد العزاوي، الأساليب البلاغية في نظم الدرر،مرجع سابق ،ص:157

وغلبته التي دلت عليها الواو مطابقة بين خطه ولفظه ، ومعناه تأكيداً للبشارة ... وفي الحذف أيضاً تشبيه بفعل الأمر إيماء إلى أنَّ إيقاع هذا المحو أمر لا بدَّ من كونه على أتم الوجوه وأحسنها "[1].

ومن حذف الحروف التي تأتي لمسوغات يجري فيها الحذف للتنبيه والتصغير والتحقير والتي ذكرها البقاعي هي :

حذف النون في قوله تعالى: (وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا) (النساء:40)

قال البقاعي: "ولما كان تشوق السامع إلى ذلك عظيماً حذف منه النون بعد حذف المعطوف عليه تقريباً لمرامه فقال **(تَكُ)** أي مثقال الذرة، وأنثه لإضافته إلى مؤنث وتحقيراً له[2]، وهذه من إنفرادات البقاعي على الزمخشري إذ لم يذكر الثاني الحذف[3]،

من خلال كل ما سبق يتبين لنا أن البقاعي قد تناول أسلوب الحذف بتوسع وشمولية وتوسع في القراءات القرآنية وخالف قسماً كبيراً من المفسرين كما تحدث عن حذف الحروف وكان له رأيه الخاص ووضوح شخصيته ومخالفاته لقسم كبير من المفسرين وكان على رأسهم الزمخشري.[4]

والذي توصلنا إليه من خلال هذه الدراسة أن ما تطرق إليه البقاعي هو ما تصبو إليه لسانيات النص النص من خلال البحث في آليات التماسك النصي وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على ثروة تراثنا العربي القديم والمجهودات العربية القديمة المبذولة في هذا المجال.

---

[1] برهان الدين البقاعي:نظم الدرر:357/5.

[2] ينظر، برهان الدين البقاعي، نظم الدرر: 282/5. وينظر ناصر الدين محمد البيضاوي الشيرازي: أنوار التنزيل في أسرار التأويل 215/1.

[3] ينظر: محمود بن عمر الزمخشري :الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 527/1.

[4] عقيد خالد العزاوي، الأساليب البلاغية في نظم الدرر، مرجع سابق، ص:164

مفهوم الانسجـــــام :

1/ لغة :

جاء في لسان العرب مادة (سجم) سجمت العين الدمعة والسحابة الماء تسجمه سجما وسجوما وسجمانا، وهو قطرات الدمع وسيلانه قليلا كان أو كثيرا والعرب تقول دمع ساجم، والدمع مسجوم سجمته العين سجما وكذا عين سجوم وسحاب سجوم، وانسجم الماء والدمع، فهو منسجم، اذا انسجم أي انصب، وشجمت السحابة مطرها شجيما ...وسجم العين والدمع للماء يسجم سجوما وسجاما إذا سال وانسجم، وأشجنت السحابة دام مطرها.[1]

والناضر معاني مادة (سجم) يجد أنها تدور حول الانصباب والصب والسيلان ودوام المطر، حيث انصببنا الماء ودوام المطر يقابل الانصباب معاني النص، لأن تولي قطرات الماء يؤدي إلى تجمعهم، وأيضا تجميع المعاني المستخلصة من النص يؤدي إلى وحدته دلاليا .

2/ اصطلاحا :

يعرف سوفنسكي(sowinski) الانسجام بقوله:" يقضي للجمل والمنطوقات بأنها محبوكة إذا اتصلت بعض المعلومات فيها ببعض، في اذار نصي أوموقف اتصالي اتصالا لا يشعر معه المستمعون أوالقراء بثغرات أوانقطاعات في المعلومات"،[2] فترابط المعلومات وعدم انقطاعها شرط لانسجام النص عنده .

وذهب محمد خطابي إلى أن الانسجام أعم من الاتساق كما أنه يغدو أعمق منه، بحيث يتطلب الانسجام من المتلقي معرفة جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده، أي تجاوز المتحقق فعلا (أو غير المتحقق) أي الاتساق إلى الكامن وهو الانسجام .[3]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب ،ج2، ص 1762-1763

[2] Sowinski,bernhard text linguistik ,vrlage wkohl hammer,stuttgirt-berlin-koeln-mainz(1983).s 8

[3] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص : 6

ثانيا : آليـــــــــــــــات الانسجـــام :

1/ السياق:

للسياق أهمية كبيرة في توجيه كثير من الألفاظ، ومكان متميز في توجيه البحث الدلالي عند علماء اللغويات في العصر الحديث لأنّ: ((اللغويين يصفون المعنى المعجمي للكلمة بأنّه متعدد ويحتمل أكثر من معنى واحد، في حين يصفون المعنى السياقي لها بأنّه واحد لا يحتمل غير معنى واحد))[1] لأن المعاني المعجمية ليست هي كلّ شيء يمكننا من خلاله إدراك معنى الكلام أو النص، لأن ثمة عناصر لغوية وغير لغوية تساهم بشكل كبير في تحديد المعنى، وهذه العناصر جزء من الكلام الذي لا يمكن الوصول إلى معناه من دونها[2]إذ ((تمثّل كل عقدة فيه وحدة معجمية مختلفة))[3].

فإن تحديد معنى الكلام بشكل دقيق يتطلب الاستعانة بوسائل أخرى غير المعجم، منها معرفة نسق الكلام ونظمه، لكي يتبين المعنى المطلوب، لأنّ علاقة السياق بالدلالة علاقة وثيقة لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر ((لأنّ اختلاف الدلالات وإبرازها في قوالب الألفاظ الفائقة والمعاني الرائعة في النظوم المعجزة على وجوه لا تكاد تدخل تحت الحصر))[4] هذا ما يقوم به السياق، لبيان كثير من الكلمات، لأن الكلمة تعطي معاني مختلفة إذا كانت مفردة، أمّا إذا وضعت في نظوم الكلام فإنّها تميّز المعنى المقصود من النص لأنّ: ((النص والسياق يكمل أحدهما الآخر))[5] ومن هنا تتضح لنا أهمية السياق في اللغة وهذا ما أكده ((بالمر)) بقوله: ((إنّ اللغات الحية يجب ألا تعامل مثل اللغات الميتة المقطوعة عن سياق

---

[1] علي زوين منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، مطابع الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، 1986م ص: 185.

[2] محمود السعران علم اللغة (مقدمة القارئ العربي) دار المعارف ، مصر1962م.ص: 288 .

[3] جون لاينز،اللغة والمعنى والسياق، ترجمة: عباس صادق الوهاب،دار الشؤون الثقافية، بغداد1987م ص: 83.

[4] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر: 424/7.

[5] فوزي إبراهيم عبد الرزاق، السياق ودلالته في توجيه المعنى، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد 1992م، ص: 7.

حالها))[1].

إن معنى الكلمة يتعدل تبعاً لتعدد السياقات التي تقع فيها اللغة، فتكون الكلمة فصيحة بملاءمتها لجارتها وتعلقها بأخواتها وارتباطها بهم، ووقوعها في موقعها الذي لا ترضى به بديلاً، ويحدث من ارتباطها وتعلقها بجاراتها صورة تؤدي دورا يزيد المعنى وضوحاً،[2] لأن ((السياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدلّ عليها، والسياق أيضاً هو الذي يخلق لها قيمة حضورية))[3].

وعلى هذا فدراسة معاني الكلمات تحتاج إلى تحليل للسياقات والمواقف المختلفة التي ترد فيها الكلمة، وبهذا فإن السياق هو الذي يحدد معنى الكلمة، فالسياق إذن هو((النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم))[4]

ولقد كانت عناية الأصوليين بالسياق عناية كبيرة، إذ نجدهم يستندون إليه في تحديد الكثير من دلالات الألفاظ، ولا سيما في النصوص القرآنية، فهو الذي يزيل الإبهام عن المجمل ويوضح تخصيص العام، ويقيد المطلق، وهو الذي يحدد الدلالة المقصودة عند تنوع دلالات الألفاظ وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم.[5]

ولعل أول من نصّ على السياق وأهميته في تحديد المعنى هو الإمام الشافعي فقد أشار إلى السياق بقوله: ((وعاماً ظاهراً يراد به العام ويدخله الخاص، فيستدلّ على هذا ببعض ما خوطب به فيه، وعاماً ظاهراً يراد به الخاصّ، وظاهراً يعرف من سياقه إنه يراد به

---

[1] بالمر، علم الدلالة، ترجمة مجيد الماشطة، مطبعة العمال المركزي، بغداد 1985م.ص:61.

[2] عبد العزيز عبد المعطي عرفة، من بلاغة النظم العربي (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني) ج1عالم الكتب ط1، بيروت 1984م، ص:20.

[3] فندريس، اللغة.تعريب، عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة البيان العربي، 1950م ص:231.

[4] دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان،ترجمة: كمال محمد بشر، المطبعة العثمانية، ط1972/3م ص: 55.

[5] الظواهر الدلالية في تفسير أضواء البيان للشنقيطي، قحطان جاسم محمد، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية 2002م: 85.

غير ظاهره، فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره)) وإنّ اختلاف الألفاظ بحيث تغير تلك الأغراض وتغير النظوم بالتقديم والتأخير والإيجاز والتطويل، مع أنّها لا تخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكون فيه القصة، وعلى قدر غموض تلك المناسبات يكون وضوحها وانكشافها، والذي يقوم بكشف معاني تلك الألفاظ هو السياق[1]، فالسياق وحده يكشف لنا التبادل بين المعاني الموضوعية والمعاني العاطفية والانفعالية.

أمّا الإمام الغزالي فلم يبتعد عن السياق، إنما نظر إليه نظرة خاصة في بيان النصوص القرآنية، وتحديد دلالة الكلام عند احتماله لأكثر من معنى، فهو يشير إلى عناصر السياق اللغوي من خلال ما يراه مناسباً لاستحضار جميع ملابسات النص وأسباب نزول النص إذ يقول: ((طريق فهم المراد تقديم المعرفة بوضع اللغة التي بها المخاطبة... وإن تطرق إليه الاحتمال فلا يعرف المراد منه حقيقة إلا بانضمام قرينة اللفظ، والقرينة إما لفظ مكشوف... وإما حالة على دليل عقلي... وإما قرائن أحوال من إشارات ورموز وحركات، وسوابق ولواحق لا تدخل تحت الحصر والتخمين، يختص بإدراكها المشاهد لها من الصحابة والتابعين بألفاظ صريحة أو مع قرائن من ذلك الجنس، أو من جنس آخر حتى توجب علماً ضرورياً بفهم المراد أو توجب ظناً))[2].

ويقتضي علم الدلالة الحديث في الدرس السياقي ضرورة تناول النص ككل واحد ولا يتجزأ عند محاولته تحديد دلالته، أو ينبغي أن تحمل القطعة كلها والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل بوجه من الوجوه كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات[3]، وقد أدرك علماء الأصول هذه الحقيقة، وكانوا على وعي تام بها، إذ يشير البقاعي إلى نظم الكلمات إذ حدد

---

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر: 14/1.

[2] أبو حامد محمد بن محمد ، المستصفى من علم الأصول، الغزالي،ج1 دار العلوم الحديثة ، ط.1لبنان ص:339.

[3] ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، ط1، القاهرة. 1992 ص:55.

طريقتين للإعجاز هما[1]:

1- نظم كل جملة على حيال بحسب التركيب.

2- نظمها مع أختها بالنظر إلى التراكيب.

إذ نظر البقاعي إلى نظم الكلمات في سياقات الكلام سواء أكانت في جملة أم مع أختها، فإن نظمها هو الذي يحدد معاني هذه الكلمات، لأنّه ((كلما دقق النظر في المعنى عظم عنده موقع الإعجاز، ثمّ إذا عبر الفطن من ذلك إلى تأمل ربط كل جملة بما تلته وما تلاها خفي عليه وجه ذلك ورأى أن الجمل متباعدة الأغراض متنائية المقاصد فظن أنّها متنافرة، فحصل له من القبض والكرب أضعاف ما كان حصل له بالسماع من الهز والبسط))[2] إذ نلاحظ البقاعي يشير إلى السياق بطريقة نظم الكلمات، لأن نظم كل كلمة مع أختها في سياق الكلام يظهر لنا المعنى المقصود، لأن مراعاة الترتيب ((السياق)) يعطي معنى محدد للكلمات ذات المعاني المتعددة، ونظم كل جملة في التركيب، هي علاقة إجمال وتفصيل، فهي ليست منقطعة الصلة الدلالية فيما بينها، وإنما تترابط بصلات دلالية، فالسياق يلعب دوراً مهماً في بيان النصوص القرآنية، وبيان المعنى المقصود من تلك النصوص الكريمة.

مفهوم السياق :

يعتبر السياق أداة معرفية حققت نجاحا معتبرا في دراسة النصوص وهذه الأداة مرتبطة ارتباطا قويا بالنص، "وهو إطار عام ينتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية ومقياس تتصل بواسطته الجمل فيما بينها وتترابط وبيئة لغوية وتداولية، ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النص للقارئ"[3].

---

[1] برهان الدين البقاعي:نظم الدرر: 11/1.

[2] المصدر نفسه:11/1.

[3] عبد الرحمن بودرع، أثر السياق في فهم النص القرآني ، ص: 73

ومن بين المدارس التي اهتمت به مدرسة "فيرث " اللغوي الذي وضع نظرية سماها "نظرية السياق " ولهذا يصرح فيرث بقوله :" أن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة ... فمعظم الوحدات الدلالية تقع مجاورة وحدات أخرى، وأن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها ..."[1] بمعنى أن علاقة الكلمة مع بقية الكلمات في النص هي التي تحدد معناها.

أنواع السياق في القرآن الكريم :

- **أولا : سياق الآية :** في هذا النوع يتم النظر والبحث في معنى الآية فإذا اختلف في معنى الآية، فإننا ننظر في سياقها، لأنه يحدث هناك لفظ" الإحصان " الذي يطلق على الحرية والعفاف والتزويج، لكن تحديد المعنى المقصود في آية معينة يكون حسب سياقها.
- **ثانيا :سياق النص:** وهو المقطع المتعدد في الغرض ويتبين هذا كثيرا في سياق القصص، فيكون الترجيح أحيانا بناء على سياق النص.[2]
- **ثالثا :سياق السورة:** حيث أن العلماء نظروا في سياق السورة، و بحثوا عن الغرض العام والمحور الرئيسي الذي تدور حوله كل سورة، فإذا كانت مثلا سورة مكية فان الأمثلة التي تساق في هذه السورة آيات تثبت وحدانية الله تعالى وأنه المستحق للعبادة والحذر من الشرك وبيان عواقبه .

وإذا نظرنا إلى السور القرآنية الكريمة فإننا نجد أنها قد نزلت مفرقة، فالنص القرآني نزل منجما فهناك المكي وهناك المدني، وهناك من السور نزلت متقطعة زمانا ومختلفة مكانا، ولمعرفة الكيفية التي انسجمت بها السورة لابد من النظر إلى عامة السورة وسبب نزولها.

---

[1] أحمد مختار عمر، علم الدلالة،عالم الكتب القاهرة، ط5، 1998،ص : 68-69

[2] فهد الشتوي، دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام(رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى مكة المكرمة 2005م),ص: 43

السياق وأسباب النزول:

لمعرفة أسباب نزول القرآن فوائد جمة، تسهم في فهم نصوص القرآن وتساعد على تفسير وإتقان حفظه، لأنّ ربط الأسباب بالمسببات والأحكام والحوادث والأشخاص والأمكنة والأزمنة، كل ذلك من وسائل فهم الآيات القرآنية على الوجه الصحيح ورسوخها في الأذهان[1].

وقد كان العرب يشترطون في المفسر شروطاً أشبه ما تكون بمراحل التحليل، ومن هذه الشروط التي وضعها العرب في المفسر، منها ما يتصل بالتحليل الصرفي، ومنها ما يتصل بسياق الحال ومعرفة أسباب النزول وجعلوها شروطاً أساسية، بأن يكون المفسر ملماً بها[2]، فأسباب النزول يقصد بها الأحداث التي تحيط النص القرآني، ومعرفتنا بهذه الأحداث تساعدنا على إدراك المعنى المراد من النص، فهي أولى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها لمعرفة تفسير الآية وقصر سبيلها.[3]

وقد عبّر الدكتور صبحي الصالح عن أسباب النزول بالقصة إذ يقول: ((وإن التعبير عن سبب النزول بـ ((القصة، لينمّ عن ذوق رفيع، ويكاد يشي هنا بالغاية الفنية إلى جانب الغرض الديني النبيل: فما سبب النزول إلاّ قصّة تستمد من الواقع عرضها وحلّها، وعقدتها وحبكتها، وأشخاصها وأحداثها، وتجعل آيات القرآن تتلى في كلّ زمان ومكان بشغف وولوع))[4].

---

[1] أكرم عبد الوهاب محمد أمين، البقاعي ومنهجه في التفسير، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد 1992م: 202.

[2] طاهرسليمان حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية ص: 221.

[3] عبد القادر حسين، من علوم القرآن وتحليل نصوصه، دار قطري بن الفجاء للنشر والتوزيع 1987م د.ط، ص: 63.

[4] صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن دار العلم للملايين بيروت، ط1 1977م ص: 130.

وقد كان جهل الناس بأسباب النزول كثيراً ما يوقعهم في اللبس والإبهام، فيفهمون الآيات على غير وجها الصحيح، ولا يصيبون الحكمة الإلهية من تنزيلها.[1]

ومن هنا اتجه المفسرون إلى معرفة أسباب النزول، لأنّها تعدّ طريقاً لبيان معنى النص القرآني، بعبارة أخرى فهم سبب النزول يعين على فهم المعنى، وقد تطرق البقاعي إلى عدد كبير من النصوص القرآنية في بيان معانيها عازياً إياه إلى أسباب النزول، والذي يؤيد ما ذهب إليه البقاعي، ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللّهُ عَنْهَا وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (المائدة: 101). فذكر البقاعي سبب نزولها إذ يقول: ((كما في الصحيحين عن أنس (رض)، أنّهم سألوا النبي(ص) حتى أحفوه بالمسائل، فغضب فصعد المنبر فقال: لا تسألوني اليوم عن شيء إلاّ بينته لكم، وشرع يكرر ذلك، وإذ جاء رجل كان إذا لاحى الرجال يدعى لغير أبيه فقال: يا رسول الله! من أبي؟ قال: أبوك حذافة، ثمّ أنشأ عمر(رض) فقال: رضينا بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ رسولاً، نعوذ بالله من سوء الفتن))[2] فنزلت الآية، وقد فسر البقاعي هذا النص القرآني بناءً على ما ورد من أسباب النزول.

وفي بعض النصوص القرآنية يذكر البقاعي أسماء من نزلت الآية بحقهم من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿... فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ...﴾ (التوبة: 74).ويشير البقاعي إلى سبب نزولها على ما قال: ((نزلت في الجلاس بن سويد، وذلك أنّ رسول الله(ص) خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين فسمّاهم رجساً وعابهم فقال الجلاس: لئن كان محمّد صادقاً لنحن شرّ من الحمير، فسمعه عامر بن قيس، فقال: أجل إنّ محمّداً لصادق وأنتم شر من الحمير، فلما انصرف رسول الله(ص) إلى المدينة أتاه عامر بن قيس فأخبره بما قاله الجلاس، فقال الجلاس: كذب عليّ يا رسول الله!

[1] صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن: 130.

[2] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر: 314312/6.

فأمرهما رسول الله(ص) أن يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي لا إله إلاّ هو ما قاله ولقد كذب عليّ عامر، وقام عامر فحلف بالله الذي لا إله إلاّ هو لقد قاله وما كذبت عليه، ثمّ رفع عامر يديه إلى السماء فقال: اللهم! أنزل علي نبيّك تصديق الصادق منّا! فقال النبي(ص) والمؤمنون: آمين! فنزل جبريل عليه السلام قبل أن يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ ((فإن يتوبوا يك)) فقال الجلاس: يا رسول الله! أسمع الله قد عرض عليّ التوبة، صدق عامر بن قيس فيما قاله، لقد قلته، وأنا استغفر الله وأتوب إليه))[1] وأشار الطبري إلى أسباب نزولها، إذ قال: ((حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: كان الذي قال المقالة؛ فيما بلغني الجلاس بن سويد الصامت، عرفها رجل كان في حجرة، يقال: عمير بن سعيد، فأنكرها فحلف بالله ما قالها، فلما نزل فيه القرآن، تاب وحسنت توبته فيما بلغني))[2] فاستخدم البقاعي أسباب النزول طريقاً في بيان معنى النصوص القرآنية والوقوف على المعنى الذي جاء به الشرع.

وكذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ...﴾ (النحل: 106) أشار البقاع إلى سبب نزول النص القرآني، إذ قال: ((نزلت في عمار بن ياسر(رض) أكرهوه فتابعهم وهو كاره، فأخبر النبي(ص) بأنّه كفر، فقال النبي(ص): كلاّ إن عماراً مليء إيماناً من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بحلمه ودمه، فأتى رسول الله(ص) وهو يبكي فجعل رسول الله(ص) يمسح عينيه ويقول إن عادوا فعد لهم بمثل ما قلت))[3] وقد اتفق أكثر المفسرين على أنها نزلت في عمار بن ياسر(رض) قال الطبري: ((حدثني يعقوب بن إبراهيم قال: ثنا هشيم عن جهين عن أبي مالك قال: نزلت في

---

[1] المصدر نفسه: 552.551/8.

[2] أبو جعفر بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري،ج10مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ط2، مصر 1954م. ص:185.

[3] برهان الدين البقاعي ، نظم الدرر،259/11، وللمزيد من الأمثلة ينظر: 264/2، 242/5، 337/8.

عمار بن ياسر))[1] وقال أيضاً: ((حدّثنا بشر قال: ثنا بزيد قال: ثنا سعيد عن قتاد قال: ذكر لنا أنّها نزلت في عمار بن ياسر))[2]

وعلى وفق ما تقدم يمكننا القول: إنّ البقاعي اتبع خطى الأوائل لأصل التفسير من العلماء الذين تلقوا النص القرآني واستوعبوا مقاصده من خلال معرفتهم بطرق التنزيل ومناسباته وبيان أحكامه ونصوصه.[3]

ويمكن القول أيضا: إن العلماء العرب كانوا من أوائل المهتمين بالسياق، وسبقوا الغرب في تحديد هذا المصطلح والإفادة منه في تحديد دلالات المعاني وبيان أهميته بشقيه اللفظي والحالي، وقد أشار الدكتور أحمد نصيف الجنابي إلى هذا الأمر بقوله: ((ألم يدرِ علماء الدلالة وعلماء اللغة في العالم الغربي أن الدراسات السياقية عند العرب سبقت ما عندهم بأكثر من ألف سنة؟ ألم يعرفوا أنّ الجاحظ ((ت 255هـ))، قد عقد في كتابه ((البيان والتبين)) مبحثاً عن ((سياق المقام)) وأن عبارة ((لكل مقام مقال)) أصبحت من العبارات السائدة في كتبنا البلاغية مسير الأمثال))[4].

بيد أن العرب قد توصلوا إلى نتائج جديدة بالعناية من العلماء، ولكن هذه الدراسة التي بدأها بجهودهم لم تتكّل بنظرية متكاملة في هذا الصدد، لأنّها لم تكن هدفهم الأول ولا مطلوب منهم إطلاقاً، وإنّما كانت دراستهم مصطلح السياق لحاجة ملحة لفهم مدلولات النصوص.[5]

2/المناسبة :

[1] أبو جعفر بن جرير جامع البيان عن تأويل آي القرآن,الطبري،ج14: ص:182.

[2] المصدر نفسه،ج4.ص:182

[3] ينظر، صاحب أبو جناح، السياق في الفكر اللغوي، مجلة الأقلام العدد، 403 آذار نيسان 1992.

[4] . أحمد نصيف، منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية في كتاب العين، بحث في كتاب المعجمية العربية، المجمع العلمي العراقي 1992م.171.

[5] نواس محمد علي عبد عون الخفاجي، البحث الدلالي في كتاب أصول السرخسي، كلية الآداب الجامعة المستنصرية 2001م، 95.

لغةً: يقول ابن فارس (ت 395هـ): "النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيءٍ بشيء، ومنه النَّسب سُمِّي لاتصاله وللاتصال به"[1]، ويقول الزركشي (ت 794هـ) والمناسبة في اللغة: المقاربة، وفلان يُناسب فلانًا أي: يَقرُب منه ويُشاكله ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه، وإن كانا متناسبين بمعنًى رابط بينهما وهو القرابة"[2]، أما الزبيدي (ت 1205هـ) فيقول: "ومن المجاز: المناسبة: المشاكلة يقال: بين الشيئين مناسبة وتناسُب أي: مشاكلة و تشاكُل، وكذا قولهم: لا نسبةَ بينهما، وبينهما نِسبة قريبة"[3].

تعريف علم المناسبة :

عرفه برهان الدين البقاعي في مقدمة تفسيره (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) فقال:" علم المناسبات علم تعرف منه علل الترتيب، وثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء، بسبب ماله بما وراءه وما أمامهم من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب " [4] فعلم المناسبات كما ذهب "البقاعي "علم يعرف به سبب ترتيب النص على الشكل الذي جاء عليه. أما فيما يخص القرآن الكريم، فيردف البقاعي قائلا:" علم مناسبات القرآن:علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة للأداء إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال، تتوقف الإحالة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب فيها، ويفيد ذلك معرفة المفقود من جميع جملها".[5]

---

[1] أحمد ابن فارس ، مقاييس اللغة، تح عبد السلام محمد هارون ، ج 5، دار الفكر، 1979، ص 422.

[2] عبد الله بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، ج1دار المعرفة، لبنان،ص 35.

[3] محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ج 4،ط1، الكويت، ص 265.

[4] برهان الدين البقاعي ، نظم الدرر،ج1,ص:05

[5] برهان الدين البقاعي ، نظم الدرر، ص: 05

ويذهب "محمد خطابي" إلى أن المناسبة أو التناسب بين الآيات يبحث عن علاقة آية بآية من أخرى متقدمة،[1] لكنه يضع شرطا للبحث في موضوع المناسبة حيث يقول " وقد بدا للناس من خلال الاستقراء أن المفسر يشرع في البحث عن المناسبة حيث تنقطع الصلة بين آية وآية أو آيات سابقة، (نعني بانقطاع الصلة أن تكون الآية السابقة كلاما عن القتال والآية اللاحقة لها كلاما عن إنفاق الأموال مثلا) وكأنما يفترض سؤل سائل:ما وجه المناسبة بين هذه وتلك ؟ أو ما وقع هذه الآية من الكلام السابق؟ فعلم المناسبة يبحث عن العلاقة الآية بالآية الأخرى أو آيات متجاورات في الموقع مختلفات تنقطع الصلة بينهما."[2]

فائدة علم المناسبة و أهميته في تماسك النصوص :

إذا كان لمعرفة سبب النزول أثر في فهم المعنى، فمعرفة المناسبة بين الآيات تساعد على حسن التأويل ودقة الفهم، وقد أكد البقاعي أهمية هذا العلم وذكر لمعرفته فوائد كثيرة من بينها أنه يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب وذلك أنه يظهر وجها من وجوه الإعجاز القرآني،كما يبين أسرار التكرار في القصص القرآني،[3] وأن كل سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى ادعي في تلك السورة استدل عليه بتلك القصة، غير المعنى الذي سيقت له في السورة السابقة، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض وتغيرت النظوم بالتقديم والتأخير والإيجاز والتطويل، مع أنها لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت به القصة، وعلى قدر غموض تلك المناسبات يكون وضوحها بعد انكشافها. [4]

ولعلم المناسبة فائدة عظيمة وفائدته كما يقول " الزركشي ":" جعل أجزاء الكلام آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم

[1] محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص : 189

[2] محمد خطابي، المرجع نفسه، ص 190

[3] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر ج1، ص:7

[4] المصدر نفسه ، ج1، ص:8

الأجزاء ...وقال "أبو بكر بن العربي: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة ، مشتقة المعاني، منتظمة المباني علم عظيم ".[1]

وهو بهذا يبحث في كيفية تماسك النصوص وانسجامها وذلك بترابط وتعالق وحداتها وهذا ما تبحث عنه لسانيات النص، وموقعها في الدراسات النصية الحديثة موقع متميز، على الرغم من عدم التطرق إليها من طرف الباحثين والمهتمين بلسانيات النص، يقول صبحي إبراهيم الفقي : "أنهم لم يشيروا إليها على أنها وسيلة من وسائل التماسك النصي ....ولكننا هنا نضيف – يقول الفقي– وسيلة المناسبة، إذ أنها تمثل وسيلة من أهم وسائل التماسك النصي".[2]

ومن هنا تظهر العلاقة القائمة بين المناسبة كعلم كانت لبناته الأولى قد وضعت في القرون الأولى من الهجرة، وبين علم حديث، إذ لا يخفى علينا مدى الارتباط الوثيق والأهمية البالغة للمناسبة، حيث أنها تعمل على تحقيق الارتباط بين عناصر النص، وهي المهمة الأولى والرئيسية التي أقيمت من أجلها لسانيات النص.

أنواع المناسبة في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:

أولا : المناسبة بين الآيات في السورة :

❖ المناسبة بين الآية وما قبلها مباشرة:

وقد ظهر هذا النوع من المناسبة جليًّا عند الإمام البقاعي، فقد كان يعرض للآيات القرآنية واحدة واحدة، وكان يُظهر – مجتهدًا – وجه الارتباط بين الآية وأختها بنوع من الروابط البلاغية المعروفة، ومن ذلك ما تكون فيه المناسبة على أساس من الالتفات الذي يفيد التنكيت والتبكيت، فالالتفات من الأساليب البلاغية الرفيعة التي تُظهر المناسبة أيَّما

[1] الزركشي ، البرهان في علم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة ج1، دت ، دط، لبنان، ص:36

[2] صبحي إبراهيم الفقي، علم لغة النص بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية) ط1.دار قباء،القاهرة ،2000، ج2، ص: 93

ظهور، ومن فوائد هذا الأسلوب وخصوصيته التأثيرية على النفس أن يربط آية بآية أخرى قبلها على سبيل التنكيت والتبكيت، ومن هذا اللون ما يكون على سبيل الاستئناف التبكيتي الممزوج برائحة الالتفات، كما في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ} (البقرة: 159) وذلك بعد قوله تعالى: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ} (البقرة: 158)[1].

فآية:{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ} ناسَبت ما قبلها، وهي آية:{إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ} ذكر البقاعي أنه لَمَّا تقدَّم كِتمان بعض أهل الكتاب للحق، وخَتْمُ ما أتبع ذلك – أي: الصفا والمروة – بصفتي الشكر والعلم، فالشكر لمن نصَح لله واتَّبع شرعه، فالله يعلم خائنةَ الأعين وما تُخفي الصدور، حتى وإن دقَّت الأفعال واستترتْ، وبالَغ القوم في كِتمانها وإخفائها، وبعد ذلك – أي: إتباع شرعه كاملاً، وشُكر من يقوم بذلك – انعطف الكلام لتبكيت المنافقين، وكذلك المصارحين، ولعَنْهم على كِتمانهم ما يعلمون من الحق[2].

وقد يأتي العطف الذي يفيد التشريف والتكريم وسيلةً من وسائل المناسبة بين الآية وما قبلها، ومثال ذلك قوله تعالى: {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} (الأعراف: 19)

فقد جاء قبلها قوله تعالى: {قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ} (الأعراف: 18).

ذكر الإمام البقاعي أن الله عز وجل لَمَّا أوجب للشيطان من الشقاوة لتمادِيه في حسد آدم وذُريته، وما كان من أمره بعد ذلك، وكثرة كلامه في محسوده – التفت الله عز وجل إلى محسوده الذي لم يتكلم فيه كلمة واحدة، بل إنه انشغل بنفسه واكتفى بجزائه، ورضِي بقضاء الله، فقال الله عز وجل – وقد عطف عطفًا تناسبيًّا معجزًا على الآية التي قبلها: {قَالَ اخْرُجْ

[1] مشهور موسى، التناسب القرآني عند البقاعي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2001م.ص 77.

[2] ينظر، برهان الدين البقاعي : نظم الدرر ، ج2، ص 272 – 273 بتصرف .

مِنْهَا مَذْمومًا مَدْحُورًا....}- قال: {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ...} فكان هذا الالتفات الرباني فيه من التشريف والإيناس لآدم وزوجه ما فيه[1].

فالناظر يجد نفسه أمام لوحتين معجزتين، الأولى: خاصة بإبليس اللعين، فالله عز وجل يذمه ويَطرده من رحمته وجنته، جزاء حسده الدائم لآدم، وفي المقابل في اللوحة الثانية التي تختص بآدم وزوجه، وهما قد رَضِيَا بحكم الله وصبَرَا، فوعدهما الله الجنةَ وسُكناها، والمناسبة هنا تتَّضح من العلاقة التي جمعت إبليس وآدمَ، فكلٌّ منهما كان في الجنة، فعصى إبليس وحسَد، ورَضِي آدم وانشغَل بنفسه، فاختلف الجزاء بين اللعن والطرد، وسُكنى الجنة، وأظهر هذا التناسبَ العطفُ والالتفات من قصة إبليس إلى قصة آدم.

❖ **المناسبة بين ختام الآية وصدرها:**

تعرَّض الإمام البقاعي لهذا النوع من المناسبة، ومثَّل لها بقوله تعالى: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ} (البقرة: 158).

يقول الإمام البقاعي: "لَمَّا كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم لم يَقصدوا بترك الطواف بينهما إلا الطاعة، فأُعلِموا أن الطواف بينهما طاعة، ولذلك عبَّر بما يفيد مدحَهم، فقال تعالى: {وَمَنْ تَطَوَّعَ}.يقول الدكتور مشهور موسى في تعليقه على المناسبة في هذه الآية: "إن التناسب في هذا المقام هو على أساس المدح، والفصل كذلك في أمر دار خلاف طويل حوله، يشير إلى ذلك حديث عروة مع أم المؤمنين عائشة، حين قال لها: ما أرى على أحد شيئًا ألا يَطوَّف بهما، فقالت لو كان كما تقول، كان فلا جُناح عليه ألا يَطوَّف بهما"[2].

ومثال آخر لهذا النوع من المناسبة تتحقق فيه هذه المناسبة، وهو قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} (آل عمران: 91).

---

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، ج7، ص 371، بتصرف .

[2] مشهور موسى، التناسب القرآني عند البقاعي، ص 95.

ذكر الإمام البقاعي أن السامع لَمَّا تشوَّق إلى معرفة مصير الذين كفروا وماتوا على كفرهم، وما يحل بهم، أُجيب بقوله تعالى: {أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ}،وبهذا يكون ختامها قد ارتبط برابط مع حُسن أولها[1].

❖ **المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها:**

من الراسخ في الذهن أن فواتح السور القرآنية تَحمل براعة استهلال معجزة، فهي أول شيء يقع على السمع، ومِن ثَمَّ فخاتمة السور كذلك لا تقل عنها إعجازًا، إذ هي آخر ما يسمعه السامع من السورة، وقد ذكر السيوطي أن الخواتم تأتي متضمنة المعاني البديعية مع إيذان السامع بانتهاء الكلام، حتى لا يبقى معه للنفوس تشوُّف إلى نقصٍ يُريد تمامًا[2].

ومن أمثلة هذا المناسبة قوله تعالى في ختام سورة الأنعام:{قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} (الأنعام: 164، 165).

ذكر الإمام البقاعي أن ختام سورة الأنعام جاء في غاية التناسب مع أولها، فالاستفهام في الآية الخاتمة للسورة تعجبُّي استنكاري، يستنكر ممن يتخذ ربًّا غير الله، مع كونه قد خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور، وهذان صنيعان يستوجبان الشكر الدائم لا العصيان، فقال في مطلع السورة: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} (الأنعام: 1).

يقول البقاعي: "يُسرع العالي إلى عقوبة السافل! فأُجيب بأن الله فوق الكل، وهو أسرع عقوبة، فهو قادر على أن يُسلِّط الوضيع أو أحقر منه على الرفيع، فيُهلكه، ثم رغَّب بعد هذا الترهيب في العفو بأنه على غناه عن الكل، أسبل ذيلَ غفرانه ورحمته بإمهاله العُصاة،

[1] ينظر، برهان الدين البقاعي ، نظم الدرر ، ج 4، ص 478 وما بعدها، بتصرف.

[2] ينظر، جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،ج2الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة عام 1394هـ - 1974 م. ص 292

وقَبوله اليسير من الطاعات بأنه خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور منافعَ لهم، ثم هم به يَعدلون، ولولا غفرانه ورحمته لأسرع عقابه لمن عدل به غيره، فأسقط عليهم السموات وخسَف بهم الأرض التي أنعم عليهم بالخلافة فيها، وأذهب عنهم النور، وأدام الظلام، فقد ختم السورة بما به ابتدأها، فإن قوله: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ} [الأنعام: 165] هو المراد بقوله: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ} (الأنعام: 2) وقوله: {أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ} (الأنعام: 164) هو معنى قوله: {خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ}(الأنعام: 1)"[1].

[1] برهان الدين البقاعي : نظم الدرر ، ج 7، ص 346.

ومثال آخر لهذا النوع من المناسبة، وهو قوله تعالى في ختام سورة الروم:{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ} (الروم: 60). فالله سبحانه وتعالى يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر، ويذكر أن وعد الله حق، وهو واقع لامَحالة، ويُحذره من فتنة هؤلاء المنافقين والكافرين، وذلك بحمْلهم النبيَّ على الخفة والقلق جزعًا مما يقولون، فهؤلاء قوم ليس لديهم يقين، منافقون، فهم شاكُّون بطبعهم، يُزلزلهم أيُّ شيء، ويُكذبون نصر الله لأوليائه المؤمنين، ودليل ذلك تكذيبهم وعد الله للمؤمنين بنصر الروم وهزيمة الفرس، فتَراهم كأنهم على بيِّنة وثقة من أمرهم – وهو أن نصر الروم لن يحدث – وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على مدى طمْس الله على قلوبهم وإغلاقها عن الحق، وبهذا يكون قد عطف آخر الآية على أولها: {الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ} (الروم: 1 – 4).

فالله بعد أن ذكر هزيمة الروم وعد المؤمنين بنصرهم على الفرس في بضع سنين، وأن الأمر كله بيد الله عز وجل، وفي آخر السورة أمر الله نبيَّه بالصبر وأكَّد وعده بالنصر – {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} – فالأمر بالصبر يكون على نبأ هزيمة الروم، واستهزاء الكفار والمنافقين بتأخُّر النصر، وذلك جاء آخر السورة،وتأكيد الوعد بنصر الروم، وهزيمة الفرس، يكون متصلاً بإخبار الله النبيَّ بنصر الروم وهزيمة الفرس في أول السورة:{وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ} (الروم: 3). وكما قال البقاعي: "عطف الحبيب على الحبيب، واتصل به اتصال القريب بالقريب، والْتَحَم التحام النسيب بالنسيب"[1].

❖ المناسبة بين أول السورة وخاتمة ما قبلها:

يقول الدكتور مشهور موسى: "من المعلوم أن أوائل السور هو ملخص لها، ودليل لمقصدها، ثم إن ختام السورة التي قبلها دائمًا تكون داعمة وكاشفة لقصد التي تليها، إذ إن القرآن حلقة متصلة الأجزاء، كل جزء يدفع باتجاه الذي يليه"[2].

---

[1] المصدر نفسه، ج 15، ص 139.

[2] مشهور موسى :التناسب القرآني عند البقاعي ، ص 107.

ومثال ذلك قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} (الأنعام: 165)، ثم قال في بداية سورة الأعراف: {المص * كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} (الأعراف: 1، 2).

يقول البقاعي: "أخذ يستدل على ما ختم به تلك من سرعة العقاب وعموم البر والثواب، وما تَقدَّمه، فقال مخبرًا عن مبتدأ تقديره: هو {كتاب}، أي: عظيم أوضح الطريق المستقيم، فلم يدع بها لَبسًا، ولم يَذَر خيرًا إلا أمر به، ولا شرًّا إلا نهى عنه، فإنزاله من عظيم رحمته، ثم وصفه بما أكَّد ما أشار إليه من رحمته بقوله: {أُنْزِلَ إِلَيْكَ}، أي: وأنت أكرم الناس نفسًا وأوسعهم صدرًا، وأجملهم قلبًا وأعرقهم أصالة، وأعرفهم باستعطاف المباعد، واستجلاب المنافر المباغض، وهذا شيء قد خصَّك به، فرفعك على جميع الخلق درجات لا تُحصى ومُراتب لا حدَّ لها"[1].

يقول الدكتور مشهور موسى: "إن الابتلاء الذي ينزله الله على عباده، وما يترتب عليه من عقاب أو ثواب، لا يكون إلا بعد أن تُوضَّح التكاليف الشرعية، ويُبرهن عليها ويُدلل، ولَمَّا كان ذلك في السورة نفسها: {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ} (الأنعام: 155) أعاد سبحانه في مطلع سورة الأعراف التأكيد والتدليل على ما اختتمت به الأنعام من الامتثال والثبات على التكاليف الشرعية التي مصدرها كتاب الله، ولذلك كان الحديث في بدء سورة الأعراف كما تقدَّم عن كتابه ووجوب التزامه، قال تعالى مدللاً على ما تقدَّم: {المص * كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} (الأعراف: 1 – 3)"[2].

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، ج7، ص 348.

[2] مشهور موسى ، التناسب القرآني عند البقاعي ، ص 110.

الفصل الثاني

الإعلامية والمقامية في نظم الدرر للبقاعي

❖ ***المبحث الأول :*** السياق في كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي

- مفهوم المقامية
- مفهوم السياق
- أنواعه
- اهتمام المدارس اللغوية الغربية بدلالة السياق
- الدلالة السياقية في خلال كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور

❖ **المبحث الثاني :** الإعلامية في كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي

- مفهوم الإعلامية
- آلياتها

المقامية :

يتسع المقام ليشمل مجموع الشروط الخارجية المحيطة بعملية إنتاج الخطاب شفويا كان أم مكتوبا، وكثيرا ما ارتبط المقام في البلاغة العربية بزيادة شرح وتحديد وذلك بالحديث عن أقدار السامعين ومقتضى أحوالهم، فيمثل هذا التوضيح ما يرتبط ارتباطا مباشرا بالخطاب الإقناعي، وهو الخطاب المقامي بالمفهوم الضيق والمحدد للمقام [1]. فمن خلال تعريف البلاغة على أنها«مراعاة مقتضى الحال» ومن خلال المقولة البلاغية (لكل مقام مقال)، قدم البلاغيون عبارتين تصطلحان للتطبيق في إطار الثقافات على حد سواء، وعناصر المقام تشمل موضوع الكلام وفي أي مناسبة يقال، وفي أي مكان وأي زمان وكيف يقال، وما الداعي لقوله وغير ذلك من العناصر التي تؤثر تأثيرا مباشرا على كيفية قول الكلام وعلى تركيبه ومعانيه وعلى الغرض من قوله، وقد تنبه المفسرون للظروف التي صاحبت إنتاج النص(القرآني)، وأنه يتحتم على من يتصدى لاستخراج الأحكام من القرآن أمور لا ينبغي أن يغفل عنها، هي في الواقع(مقام) للفهم، منها أن يعرف أسباب النزول، وأنّ القرآن يفسر بعضه بعضا، وأنه لا ينبغي إغفال السنّة في تفسيره...الخ .[2] وقد عني اللغويون والمفسرون بدراسة السياق قصد استنباط الدلالات الحقيقية والمجازية وطبقوا ذلك على القرآن الكريم وغيره من النصوص، كما تنبه المفسرون للظروف التي صاحبت إنتاج النص، وذكر الظروف التي قيل من أجلها النص,ففكرة السياق ودلالته مطروحة في الفكر الإنساني منذ أفلاطون وأرسطو في كتابه(فيدروس) عن مراعاة مقتضى الحال في الخطابة، وكذلك عرض أرسطو في كتابه (فن الشعر) لموضوع مقتضى الحال، والمقامية تشتمل على العوامل التي تجعل النص ذا صلة بموقف حالي، أو بموقف قابل للاسترجاع، ومن قولهم:(احذر أو توقف، أشغال عامة) فالموقف هنا يشير إلى لافتة وضعت على الطريق مع وجود سهم

[1] محمد العمري، نظرية الأدب في القرن العشرين، ط 2أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب،2004 ص: 522

[2] عزة شبل محمد، علم اللغة النص النظرية والتطبيق، ص:.04

موجه إلى أحد الشوارع الجانبية، الذي يفهم منه أن هناك أشغال عامة وقد يجري أحدهم إلى الطريق العام، فيكون المراد إعلام السائقين بوجوب تخفيف السرعة.

ويؤكد جل علماء النص على ضرورة أن نأخذ بعين الاعتبار البعد التداولي للنص وذلك انطلاقا من أن لكل نص رسالة معينة يريد الكاتب إيصالها للمتلقي، وأن ذلك يتم في ظروف معينة، كما يرون أيضا أن أحد معايير الحكم على النص بالقبول هي مدى ملامته للسياق الذي يرد فيه .[1]

ويمثل المقام أحد المقومات الفاعلة في اتساق النص، خاصة من الناحية الدلالية، وعليه فان نصية الخطابات تكتمل ولا تستقيم إلا إذا راعى صاحبه في انجازه الظروف المحيطة التي سيظهر فيها النص، لذا فان خطابا يبتعد كثيرا عن التقاليد الأدبية السائدة، وعن الأعراف الاجتماعية المتعارف عليها لن يلقى قبولا حسنا، ويرى دي بوجراند أنه: "ينبغي للنص أن يتصل بموقف يكون فيه، تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات والتوقعات والمعارف، وهذه البنية الشاسعة تسمى سياق الموقف. "[2] ولمّا كانت ملائمة النص للسياق الذي يرد فيه تمثل أحد مقومات النصية، فان من علماء النص من يدعو إلى ضرورة أن يتجاوز التحليل البنية الداخلية للنص ليشمل بنية السياق والعلاقات القائمة بين البنيتين، وبناء وعلى ذلك، يرى فان دايك ضرورة أن يتسع مجال النحو ليشمل الأبعاد التداولية للنص.[3]

ومن هنا تبرز أهمية المرجعية بوصفها فعلا تواصليا إشكاليا ومسؤولية لغوية تؤدي محاولة طمسها أو إنكارها إلى تقصير في عملية فهم النص أولا، وتقليص لأبعاد النص وفعاليته ثانيا وقد لا تسلم من شائبة التهرب من المسؤولية الاجتماعية ثالثا، فهي قيمة خطابية تكوينية حاسمة، ولا سيما حينما يتعلق الأمر بتصوريه (إدراكية) الحقيقة التي يحيل

---

[1] روبرت دي بوجراند، النص والخطاب و الإجراء، ص91

[2] روبرت دي بوجراند، المرجع نفسه ، ص91

[3] محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، منشورات الاختلاف، ص : 99

عليها الخطاب، ونظرا لكون الخطاب الأدبي خطابا إيحائيا بامتياز فقد تتعدد مرجعياته ممّا يسمح بتعدد معانيه وقراءاته، وبالنسبة للنص القرآني فان معرفة الظروف والأحوال المحيطة بهذا النص المقدّس يكاد يكون شيئا مكمّلا لمجمل التحليل، فمعلوم أن النص القرآني نزل منجما تبعا لتنوع الأحداث والظروف ولم ينزل في مكان ولا زمان ولا حدث واحد، ولهذا يحتاج فهمه ودراسته أحيانا لتسليط الضوء على نزوله وأسباب النزول ليتضح تفسيره[1]، ومعنى هذا أن مبدأ مراعاة السياق قد أصبح شرطا أساسيا في فهم الخطاب، فالسياق – ولاسيما في الدراسات القرآنية – لا يقوم بالوظيفة التفسيرية فحسب، وإنما تعدّاها إلى وظيفة أخرى تختص بترجيح معنى معين على ما سواه وتقوية دلالة مخصوصة على حساب دلالات مرجوحة، وإذا عدّت وظيفة السياق الترجيحية في الدراسات القرآنية إحدى قواعد الترجيح التي على المفسر أن يعلمها وهو يعرض لأقوال المفسرين أو يسعى إلى إدراك دلالة الخطاب .[2]

مفهوم السياق :

اهتمَّ العلماء العرب قديمًا بالسياق عمومًا وبالموقف على وجه الخصوص، فاهتدوا في وقت مبكر من تاريخ العلوم اللغوية والبلاغية إلى تلك التأثيرات الخارجية، وكل ما يحيط بظاهرة الكلام من ملابسات كالسامع والمقام وظروف المقال، وتعتبر دراستهم لأسباب النزول في القرآن الكريم، وأسباب الورود في الحديث الشريف، وأسباب الإنشاء عند الأدباء والنقَّاد دليلًا كافيًا على أنهم فطنوا إلى ظاهرة السياق، وما لها من تأثير في تحديد المعنى، وهكذا اهتدى العلماء العرب إلى فكرة المقام، فقالوا: "لكل مقام مقال" متقدِّمين ألف سنة على زمانهم، "لأن الاعتراف بفكرتَي المقام والمقال باعتبارهما أساسين متميِّزين من أُسُس تحليل

[1] بشرى حمدي البستاني، في مفهوم النص ومعايير نصية القران الكريم دراسة نظرية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 11،العدد 1، جامعة الموصل ،2011،ص:190

[2] بشرى حمدي البستاني، المرجع نفسه، ص: 191

المعنى يُعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة".[1]

المفهوم اللغوي :

ورد في شرح لفظ السياق في المعاجم العربية القديمة والحديثة على السواء معاني كثيرة، غير أن القاسم المشترك الذي يستخلص من بين هذه المعاني جميعا في تناولها مادة السياق بالتفسير والتوضيح معنى واحد تشترك فيه وهو التتابع والسير والملائمة والاتفاق والنظم.[2] ومن خلال استقراء المعاجم التراثية لمادة:(السين، الواو، القاف) يقول ابن فارس أن:(السين، الواو، القاف) أصل واحد، وهو حد الشيء، يقال ساقه يسوقه سوقا، السّسيقة:ما استيق من الدواب، ويقال: سقت امرأتي صداقها، وأسقته، والسوق مشتقة من هذا لما يساق إليها من كل شيء، والجمع سوق، وإنما سميت لذلك لأن الماشي يساق عليه. [3]

فالسياق لغة يعني التتابع والتوالي والتسلسل، يقول ابن منظور"ساق الإبل وغيرها، يسوقها سوقا وسياقا.. وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة، وفي حديث أم معبد:فجاء زوجها يسوق أعنزا ما تساوق، أي: ما تتابع، والمساوقة: المتابعة، كأن بعضها يسوق بعضا...وساق بنفسه سياقا:نزع بها عند الموت تقول:رأيت فلانا يسوق سوقا,أي ينزع نزعا عند الموت.[4] ويقول الزمخشري: تساوقت الإبل:تتابعت وهو يسوق الحديث أحسن سياق، واليها يساق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه:على سرده .[5]

---

[1] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط5، 2006، ص 337.

[2] عز الدين عماري، أثر البلاغة العربية في الدرس اللساني الحديث _نظرية النظم أنموذجا_ مجلة الممارسات اللغوية، 2015،ص: 202

[3] ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق :عبد السلام هارون ، ج3، دار الفكر، ص: 117

[4] ابن منظور، لسان العرب ، مادة (سوق) ج.10 ص:166

[5] محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة،ج1 دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1385هـ – 1965م.ص:484

من هنا نلاحظ معنى التتابع والتوالي والتسلسل في استعمال لفظ السياق، كما في سوق الإبل والدواب، وسوق النفس عند الموت، وتتابع الكلام وتسلسله .

المفهوم الاصطلاحي : تذكر الدراسات اللغوية أن كلمة (السياق) كانت شائعة بين القدماء بمدلولها اللغوي العام، ولم تحمل مفهومها الاصطلاحي المعروف لها الآن عند علماء الدلالة المحدثين إلا بعد استخدام مالينوفسكي وفيرث لها، فالقدماء لم ينصّوا على تعريف اصطلاحي للسياق على الرغم من ممارساتهم له ولأهميته .

يذكر أولمان أن السياق هو:"النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم بأوسع معاني هذه العبارة، إن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة للكلمة فحسب بل القطعة كلها، والكتاب كله كما ينبغي أن يشمل – بوجه من الوجوه – كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات، والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن."[1] أما تمام حسان فيستند في تعريفه للسياق على معناه اللغوي وعلى نوعيه، فهو عنده: "التوالي من ناحيتين، الأولى:توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب، ومن هذه الزاوية يسمى (سياق النص) والثانية: توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي، وكانت ذات علاقة بالاتصال ويسمى(سياق الموقف) [2] أما جمعان عبد الكريم فيرى أن السياق في الدراسات اللغوية الحديثة يعني كل ما يتعلق بأحوال المتتالية اللغوية في ظروف استعمالها داخل النص وخارجه.[3]

أنواع السياق :

---

[1] ستيفن أولمان،دور الكلمة في اللغة،ترجمة كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، ط1، القاهرة 1992.ص:62

[2] تمام حسان،مقال قرينة السياق،الكتاب التذكاري لكلية دار العلوم،مطبعة عبير للكتب،ط1،القاهرة 1993.ص: 375

[3] جمعان عبد الكريم،إشكالات النص، دراسة لسانية نصية،المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، 2009، ص: 400

❖ **السياق اللُّغوي:** وهو "حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة متجاورة وكلمة أخرى"، فمثلًا كلمة "عين" لها دلالات متعددة حسب السياق: فعيني تُؤلمني (العضو)، وعين جارية (الماء)، وعين علينا (جاسوس).[1]

❖ **السياق العاطفي:** وهو الذي يُحدِّد طبيعة استعمال الكلمة بين الاستعمال الموضوعي والعاطفي الذي يرتبط بالعاطفة والإحساس فكلمة "يهودي" مثلًا قد تُستعمل موضوعيًّا في سياق معين، لكن في سياق آخر ترتبط بنوع من الحقد والكراهية والاحتقار....

❖ **السياق الثقافي:** يقتضي هذا السياق "تحديد المحيط الثقافي والاجتماعي الذي يُمكن أن تستخدم فيه الكلمة"، فالكلمة حين تُستعمل تدل على المستوى الثقافي والاجتماعي لمستعملها، فمثلًا كلمة "عَقِيلته" تُعدُّ في العربية المعاصرة علامةً على الطبقة الاجتماعية المتميِّزة بالنسبة لكلمة "زوجته".[2]

❖ **السياق الموقفي:** يعني هذا السياق "الموقف الخارجي الذي يُمكن أن تقع فيه الكلمة"، أو الجملة أو النص عمومًا، فهو يدل على العلاقات الزمانية والمكانية التي يجري فيها الكلام.[3]

السياق وأسباب النزول:

لمعرفة أسباب نزول القرآن فوائد جمة، تسهم في فهم نصوص القرآن، لأنّ ربط الأسباب بالمسبّبات والأحكام والحوادث والأشخاص والأمكنة والأزمنة من وسائل فهم الآيات القرآنية على الوجه الصحيح ورسوخها في الأذهان[4]، وقد كان العرب يشترطون في المفسّر شروطاً أشبه ما تكون بمراحل التحليل، ومن هذه الشروط التي وضعها العرب في المفسر، منها ما

[1] أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3، 2007، ص 355.

[2] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ط5، 1998، ص 71.

[3] أحمد مختار عمر، المرجع نفسه، ص 71.

[4] أكرم عبد الوهاب محمد أمين، البقاعي ومنهجه في التفسير، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد 1992م ص: 202.

يتصل بالتحليل الصرفي، ومنها ما يتصل بسياق الحال ومعرفة أسباب النزول وجعلوها شروطاً أساسية بأن يكون المفسر ملماً بها[1].

وقد كان جهل الناس بأسباب النزول كثيراً ما يوقعهم في اللبس والإبهام، فيفهمون الآيات على غير وجهها الصحيح، ولا يصيبون الحكمة الإلهية من تنزيلها[2]، ومن هنا اتّجه المفسرون إلى معرفة أسباب النزول، لأنّها تعدّ طريقاً لبيان معنى النص القرآني، وقد تطرق البقاعي إلى عدد كبير من النصوص القرآنية في بيان معانيها، والذي يؤيد ما ذهب إليه البقاعي ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللّهُ عَنْهَا وَاللّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (المائدة: 101) فذكر البقاعي سبب نزولها إذ يقول: ((كما في الصحيحين عن أنس أنّهم سألوا النبي(ص) حتى أحفوه بالمسائل، فغضب فصعد المنبر فقال:لا تسألوني اليوم عن شيء إلاّ بينته لكم، وشرع يكرر ذلك، وإذ جاء رجل كان إذا لاحى الرجال يدعى لغير أبيه فقال: يا رسول الله من أبي؟ قال: أبوك حذافة، ثمّ أنشأ عمر فقال: رضينا بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ رسولاً، نعوذ بالله من سوء الفتن))[3] فنزلت الآية، وقد فسّر البقاعي هذا النص القرآني بناءً على ما ورد من أسباب النزول، إذ إن البقاعي اعتمد على أسباب النزول في تفسيره آيات الذكر الحكيم، لأنّ بيان أومعرفة أسباب النزول كفيل بالوصول إلى معاني الكتاب العزيز،[4] وفي بعض النصوص القرآنية يذكر البقاعي أسماء من نزلت الآية بحقهم من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿... فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ عَذَابًا

---

[1] طاهر سليمان حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع . الإسكندرية ، ص: 221.

[2] ينظر: صبحي الصالح ،المرجع نفسه: 130.

[3] برهان الدين البقاعي: نظم الدرر: 6/312،314.

[4] عزيز سليم علي القريشي، البحث الدلالي في نظم الدرر للبقاعي ،أطروحة دكتوراه العراق، ص:213

أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ...﴾ (التوبة: 74) ويشير البقاعي إلى سبب نزولها على ما قال: ((نزلت في الجلاس بن سويد، وذلك أنّ رسول الله(ص) خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين فسمّاهم رجساً وعابهم فقال الجلاس: لئن كان محمّد صادقاً لنحن شرّ من الحمير، فسمعه عامر بن قيس فقال: أجل إنّ محمّداً لصادق وأنتم شر من الحمير، فلمّا انصرف رسول الله(ص) إلى المدينة أتاه عامر بن قيس فأخبره بما قاله الجلاس، فقال الجلاس: كذب عليّ يا رسول الله! فأمرهما رسول الله(ص) أن يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي لا إله إلاّ هو ما قاله ولقد كذب عليّ عامر، وقام عامر فحلف بالله الذي لا إله إلاّ هو لقد قاله وما كذبت عليه، ثمّ رفع عامر يديه إلى السماء فقال: اللهم أنزل على نبيّك تصديق الصادق منّا! فقال النبي(ص) والمؤمنون: آمين! فنزل جبريل عليه السلام قبل أن يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ ((فإن يتوبوا يك)) فقال الجلاس: يا رسول الله! أسمع الله قد عرض عليّ التوبة، صدق عامر بن قيس فيما قاله، لقد قلته وأنا استغفر الله وأتوب إليه))[1] وأشار الطبري إلى أسباب نزولها إذ قال: ((حدثنا ابن حميد قال: ثنا سلمة عن ابن إسحاق قال: كان الذي قال المقالة فيما بلغني الجلاس بن سويد الصامت، عرفها رجل كان في حجرة، يقال: عمير بن سعيد فأنكرها فحلف بالله ما قالها، فلما نزل فيه القرآن تاب وحسنت توبته فيما بلغني))[2] فاستخدم البقاعي أسباب النزول طريقاً في بيان معنى النصوص القرآنية والوقوف على المعنى الذي جاء به الشرع، وكذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ...﴾ النحل: 106. أشار البقاعي إلى سبب نزول النص القرآني إذ قال: ((نزلت في عمار بن ياسر أكرهوه فتابعهم وهو كاره، فأخبر النبي(ص) بأنّه كفر، فقال النبي(ص): كلاّ إن عماراً مليء إيماناً من قرنه

[1] برهان الدين البقاعي: نظم الدرر: 552551/8.

[2] الطبري أبو جعفر بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ط2، مصر، 1954م، ص:185.

إلى قدمه، واختلط الإيمان بحلمه ودمه، فأتى رسول الله(ص) وهو يبكي فجعل رسول الله(ص) يمسح عينيه ويقول إن عادوا فعد لهم بمثل ما قلت))[1] وقد اتفق أكثر المفسرين على أنها نزلت في عمار بن ياسر قال الطبري: ((حدثني يعقوب بن إبراهيم قال: ثنا هشيم عن جهين عن أبي مالك قال: نزلت في عمار بن ياسر))[2] وقال أيضاً: ((حدّثنا بشر قال: ثنا بزيد قال: ثنا سعيد عن قتاد قال: ذكر لنا أنّها نزلت في عمار بن ياسر))[3] لقد بلغ المفسرون ذروة التحقيق العلمي حين أوجبوا بذكر سبب النزول حين يكون وجه المناسبة متوقفاً على معرفة الأسباب، فلولا التحقق من سببها لتعذر على القاري الاعتيادي التماس وجه تناسبها مع السياق القرآني[4].

على وفق ما تقدم يمكننا القول: إنّ البقاعي اتبع خطى الأوائل لأصل التفسير من العلماء الذين تلقوا النص القرآني واستوعبوا مراميه ومقاصده من خلال معرفتهم بطرق التنزيل ومناسباته وبيان أحكامه ونصوصه.[5]

ويمكن القول أيضا: أنّ العلماء العرب كانوا من أوائل المهتمين بالسياق وسبقوا الغرب في تحديد هذا المصطلح والإفادة منه في تحديد دلالات المعاني وبيان أهميته بشقيه اللفظي والحالي، وقد أشار الدكتور أحمد نصيف الجنابي إلى هذا الأمر بقوله: ((ألم يدرِ علماء الدلالة وعلماء اللغة في العالم الغربي أن الدراسات السياقية عند العرب سبقت ما عندهم بأكثر من ألف سنة؟ ألم يعرفوا أنّ الجاحظ ((ت 255هـ))، قد عقد في كتابه ((البيان والتبين)) مبحثاً عن ((سياق المقام)) وأن عبارة ((لكل مقام مقال)) أصبحت من العبارات

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر: 259/11.

[2] الطبري أبو جعفر بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 182/14.

[3] المرجع نفسه: 182/4.

[4] صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن: 150.

[5] صاحب أبو جناح ، السياق في الفكر اللغوي ، مجلة الأقلام العدد/ 403 آذار نيسان 1992.

السائدة في كتبنا البلاغية مسير الأمثال))[1]، بيد أن العرب قد توصلوا إلى نتائج جديرة بالعناية من العلماء، ولكن هذه الدراسة التي بدأها بجهودهم لم تتكّل بنظرية متكاملة في هذا الصدد، لأنّها لم تكن هدفهم الأول ولا مطلوب منهم إطلاقاً، وإنّما كانت دراستهم مصطلح السياق لحاجة ملحة لفهم مدلولات النصوص.[2]

اهتمام المدارس اللغوية الغربية بدلالة السياق:

مع بداية القرن العشرين بدأ علماء اللغة في الغرب يهتمون بفكرة السياق في إطار علم الدلالة الوصفي، وقد تناول هؤلاء السياق في إطار تأكيدهم للوظيفة الاجتماعية للغة، وبيان أثر السياق في البنية ودوره في تنوع الدلالة.[3]

ولذلك ففور سماع كلمة "سياق" تتبادر إلى الذهن بعض الأسماء الغربية مثل: فيرث ومالينوفسكي وبصحبتهما عدد من المصطلحات مثل: السياق اللغوي وسياق الحال، والحقيقة أن مالينوفسكي وهو يصوغ مصطلحه الشهير "سياق الحال" context of situation لم يكن يعلم أنه مسبوق إلى هذا المفهوم بأكثر من ألف سنة كما أسلفنا.

يقول الدكتور تمام حسان: «إنّ الذين عرفوا هذا المفهوم قبله سجلوه في كتب لهم تحت اصطلاح "المقام" ولكن كتبهم هذه لم تجد من الدعاية على المستوى العالمي ما وجده اصطلاح مالينوفسكي من تلك الدعاية بسبب انتشار نفوذ العالم الغربي في كل الاتجاهات وبراعة الدعاية الغربية الذائبة».[4]

---

[1] الجنابي أحمد نصيف، منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية في كتاب العين بحث في كتاب المعجمية العربية، المجمع العلمي العراقي 1992م ص: 171.

[2] محمد عبد الله علي سيف، البحث الدلالي عند الشوكاني في كتابه إرشاد الفحول، رسالة ماجستير، كلية الآداب, جامعة المستنصرية 1999م ص:95.

[3] محمود فهمي حجازي،مدخل إلى علم اللغة ص:23

[4] تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، ص: 372

المقامية في كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور:

أولا : الأمر: البحث في دلالة الأمر وأثر السياق فيها عند الأصوليين يمثل جوهر البحث للدلالات المتعددة للكلمة حين تكون بمعزل عن القرائن، واثر السياق في تحديد دلالة واحدة لها، وكشف ما يطرأ على اللفظ من انتقال من دلالته بأصل الوضع إلى دلالة أخرى[1]، وتناول الأصوليين لموضوع الأمر كان في غاية الأهمية من أجل تحديد صيغة الأمر وبيان الدلالة الأصلية لهذه الصيغة عندما تكون مجردة من القرائن الصارفة لها، ثم بيان كيفية صرف هذه الدلالة إلى دلالات أخرى إذا وردت متحفة بالقرائن.[2]

وقد اختلف الأصوليون في الصيغة الدالة على الأمر حقيقة، فمنهم من يرى أن الأمر حقيقة في صيغة(إفْعَلْ) ومنهم من يرى أنه حقيقة فيها وفي غيرها[3] وكان لكل واحد من الأصوليين وجهة نظر في تعريف دلالة الأمر، فالأمر: هو طلب الشيء على وجه الاستعلاء، فقد عرّفه الغزالي بـ ((القول المقتضي طاعة المأمور بفعل المأمور به))[4] أو((هو السعي نحو المقصود، فان كان سعياً مباشراً كالعطشان يتحرك نحو الماء، فهو طلب تكويني، وإن كان بتحريك الغير وتكليفه فهو طلب تشريعي))[5] وقد أشار البقاعي إلى بيان مصطلح الأمر، إذ يقول: ((الأمر: الإيجاب بصيغة أفعل وهو يتضمن إرادة المأمور به في

---

[1] نواس محمد علي عبد عون الخفاجي، البحث الدلالي في كتاب أصول السرخسي، كلية الآداب الجامعة المستنصرية 2001م ص: 108.

[2] [2] عزيز سليم علي القريشي، البحث الدلالي في نظم الدرر للبقاعي، مرجع سابق، ص:178

[3] أبو بكر محمّد بن أحمد بن سهل، أصول السرخسي، تح: أبي الوفا الأفغاني، ج1،دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت 1973م. ص:11.

[4] أبو حامد محمد بن محمد، المستصفى من علم الأصول، الغزالي، دار العلوم الحديثة، ط1، لبنان، ص:411.

[5] محمد باقر الصدر، دروس في علم الأصول، ص: 76.

الجملة، وقد يراد امتثال عين المأمور))[1]

وتبدو أهمية السياق واضحة في تحديد صيغة الأمر ودلالتها على الوجوب، أو الندب أو الإباحة، وهذا مما أدى إلى وقوع الخلاف بين الأصوليين في دلالة هذه الصيغة، وفي ذلك يقول ابن حزم الأندلسي: ((قال: بعض الحنفيين وبعض المالكيين وبعض الشافعيين إن أوامر القرآن والسنن على الوقف حتى يقوم دليل على حملها، إما على الوجوب في العمل، وإما على الندب، وإمّا على الإباحة))[2].

الأمر يدل بصيغة على طلب الفعل على سبيل الإيجاب والوجوب الملزم، وقد أشار البقاعي إلى هذا الغرض في دلالة الأمر على الوجوب، وجاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ...﴾ النساء: 86.

قال البقاعي: ((وذلك دال على وجوب السلام من الأمر، وعلى الفور، من الفاء، والإجماع موافق لذلك، وترك الجواب إهانة، والإهانة ضرر، والضرر حرام))[3] فإن صيغة الأمر في قوله تعالى: ((فحيوا)) دالة على السلام وعلى الفور وهذا إجماع علماء الإسلام بحسب كلام البقاعي.

وكذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الأعراف: 204. يقول البقاعي: ((ولما كان ظاهر الآية وجوب الإنصات لكل قارئ على كل أحد رغب فيه تعظيماً لشأنه))[4] وجاء في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ...﴾ آل عمران: 194، إذ يقول البقاعي: ((إشارة إلى صدق هذا

---

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر،ج 9/369/370.

[2] ابن حزم الأندلسي، الأحكام في أصول الأحكام، أشرف على طبعها أحمد شاكر، مطبعة العاصمة، القاهرة، دت ص: 259.

[3] برهان الدين البقاعي: نظم الدرر: ج5/351.

[4] المصدر نفسه: 8/209.

الوعد بحرف الاستعلاء الدال على الالتزام والوجوب))[1]، والذي أحبّ أن أشير إليه أن دلالة الأمر عند إطلاقها تدلّ على الوجوب، فأول ما يتبادر إلى الذهن من هذه الصيغة الوجوب، فالسياق يلعب الدور المهم في بيان وتحديد العرض الذي يدلّ عليه[2].

وقد يخرج الأمر إلى أغراض بلاغية أخرى منها

❖ الإباحة

والإباحة هي: ((الأذن بإتيان الفعل كيف يشاء الفاعل))[3] ومن أمثلتها ما جاء في قوله تعالى: ﴿... كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ...﴾ الأنعام: 141. إذ يقول البقاعي: ((ولما كان هذا الأمر للإباحة لا للإرادة قيّده، لئلا يقتضي إيجاد الثمر في كل جنّة في كل وقت))[4] فالنص القرآني صورته صورة الأمر ومعناه الإباحة أو الأذن، وهو الفكر على الأكل، تحقيقاً لرجاء الناس في الخصب وتسكيناً لآمالهم رحمة لهم ورفقاً بهم، إعلاماً فيه أنّه إن وقع جدب كان في ناحية دون أخرى وفي نوع دون آخر، وإباحة للأكل في جميع أحوال الثمرة نضيجة وغير نضيجة.[5]

<u>التهديد:</u>

ومنه ما جاء في قوله تعالى: ﴿... وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ البقرة: 235، إذ فسر البقاعي صيغة الأمر بالتهديد إذ يقول: ((ولما هددهم بعلمه وكان ذلك النهاية في التهديد وكان كل أحد يعلم من نفسه في النقائص ما يجل عن الوصف أخبرهم بما أوجب الإمهال على ذلك من منه بغفرانه وحلمه حثّاً على

---

[1] المصدر نفسه: 160/5.

[2] ينظر المصدر نفسه: 400.107.53/3، 383/5.

[3] عبد القاهر الجرجاني، التعريفات، تح السيد الشريف علي بن محمد بن علي الحسيني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر 1938م، ص: 11.

[4] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر: 291/7.

[5] ينظر المصدر نفسه، 221/1، 84/3-107-108-188.

التوبة وإقامة بين الرجاء والهيبة))[1] فالنص القرآني لما فيه من جلال النظم، وجزالة القول، وحلاوة السبك، وقوة التركيب ورصانته، بين الغرض في صيغة (افعل)) وخروجها إلى غرض التهديد، والحذر من قدرة الله سبحانه وتعالى، ويقول أبو حيان: ولما هددهم بأنّه مطلع على ما في أنفسهم وحذّرهم منه أردف ذلك بالصفتين الجليلتين، ليزيل عنهم بعض روع التهديد والوعيد والتحذير من عقابه، ليعتدل قلب المؤمن في الرجاء والخوف[2], وهذا يدلّ على أن البقاعي قد تابع أبا حيان في خروج هذه الصيغة في هذا النص إلى غرض التهديد[3].

الدعاء:

الدعاء هو: ((طلب الفعل من المدعو وصيغته صيغة الأمر، إلاّ أنّ الدعاء لمن فوقك والأمر لمن دونك))[4] وقد فرق النحاة والبلاغيون بين الأمر والدعاء بحسبان أن مناط الأول هو الاستعلاء، ومناط الثاني هو التضرع والخضوع.[5]

وممّا أشار إليه البقاعي في ضمن هذا الغرض ما جاء في قوله تعالى: ﴿...أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ البقرة: 286، إذ يقول البقاعي: ((ثم جعل ختام توجه المؤمنين إلى ربهم الدعاء بثمرة الولاية))[6] والغرض لهذه الصيغة هو الدعاء توجه المؤمنين إلى ربّهم بالدعاء والمغفرة، فيكون الدعاء لاستدامة فضله،[7] لأنه تعالى مولاهم ومالك

---

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، ج349/3.

[2] أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف، البحر المحيط، تح، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد عوض، وشارك في تحقيقه د/ زكريا عبد المجيد النوني والدكتور أحمد النجولي الجمل، ج2، دار الكتب العلمية، ط1 ، بيروت،2001 ص:230.

[3] ينظر برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 135/3-182، 297/4، 498/8، 52/12 .

[4] المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، ط2، بيروت، د ت، ص:132.

[5] سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح، عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني، ج1، ط3، 1988م، ص:142.

[6] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 186/4.

[7] ينظر برهان الدين البقاعي، نظم الدرر: 40/5، 183/13-145-320.

تدبيرهم.

ثانيا : <u>التقديم والتأخير:</u>

يعدّ التقديم والتأخير في أسلوب القرآن الكريم أداة فعّالة لأداء هذا الأسلوب المعجز، فكل كلمة قدمت لسبب وأخرت أخرى لمسبب، والتقديم والتأخير يعتمد على وضع الكلمات في سياقات مختلفة، لبيان سبب التقديم والتأخير ليخرج النص إلى أغراض دلالية متنوعة، ومن الأغراض الدلالية التي خرج إليها أسلوب التقديم والتأخير هي:[1]

<u>التقديم للاهتمام:</u> ورد هذا النوع من التقديم في قوله تعالى: **{**وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ**}** الأنعام: 66، ولما كان الإنسان ربما حصل له اللوم بسبب قومه، وكان الرسول(ص) في هذا المقام أن يخاف ذلك ((قدم الجار والمجرور للاهتمام به معبراً بالأداة الدالة على القصر والغلبة))[2]

[1] عزيز سليم علي القريشي، البحث الدلالي في نظم الدرر للبقاعي، مرجع سابق، ص:197

[2] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 145/7.

التقديم للعلم به:

ومن الأغراض التي أشار إليها البقاعي في دلالة التقديم هو ما جاء في قوله تعالى: ﴿... وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ ...﴾ الأنعام: 59، وقدّم سبحانه وتعالى لفظة ((البر)) وأخر لفظة ((البحر)) وذلك لعلم الإنسان به، وبجهل كثير من أمور البحار,ويقول البقاعي: ((وقدّمه لأن الإنسان أكثر ملابسة له بما فيه من القرى والنبات والنجم وذي الساق المعادن))[1] أما تأخيره للبحر، فهو أن إحاطة العقل بأحواله أقل، وإن كان الحس يدلّ على أن عجائبها أكثر وطولها وعرضها أعظم، وما فيها من الحيوانات وأجناس المخلوقات أعجب، فكان هذا الأمر المحسوس مقرباً لعظمة ذلك الأمر المعقول.[2]

ثالثا: الذكر:

تعددت أساليب اللغة العربية من تقديم وتأخير وذكر وحذف وغيرها من الأساليب، وأسلوب الذكر والحذف من الأساليب التي تناولها علماء اللغة العربية والأصوليون في القرآن الكريم، فالذّكر هو وجود كلمة على جهة التذكير في المعنى الذي يدلّ عليه، وقد وقف البقاعي في كتابه نظم الدرر على نصوص كثيرة في هذا الجانب، وقد خرّج أسلوب الذكر إلى أغراض دلالية كثيرة منها: [3]

الذكر للاعتناء:

وقد ورد هذا الغرض في قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة: 195، ولمّا كانت النفقة من أعظم دعائم الجهاد، وكان العيش في أول الإسلام ضيقاً والمال قليلاً، فكان ذلك موجباً لكل أحد أن يتمسك بما في يده ظنّا أن في التمسك به النجاة وفي إنفاقه الهلاك، ولكن جاء على خلاف

[1] لمصدر نفسه، 136/7.

[2] المصدر نفسه، ج136/7.

[3]

غرض النفس نظّم به تعالى ما يجيء على خلاف مدرك الحس في الأنفاق الذي يحصل به الزكاة والنماء، وأيضاً لما أسس تعالى حكم الجهاد الذي هو أشق الأعمال على النفس، نظم به أمر الجود والإنفاق وهو اشق منه على النفس[1]، لأنّ الجهاد يتقوّم بالمال والنفس، بل لا يكون الجهاد بالنفس إلاّ بالجهاد بالمال أيضاً فهما متلازمان، فهو سبيل الله لأنّ السبيل هو الطريق فسبيل الله الطريق إلى الله وإلى رحمة الله وثوابه[2]، وقد ((أظهر ولم يضمر إظهاراً للاعتناء بأمر النفقة، ولئلا يقيد بحيثية من الحيثيات))[3] وقيل: المعنى ابذلوا أنفسكم في المجاهدة في سبيل الله، وسمي بذل النفس في سبيل الله إنفاقاً مجازاً واتساعاً كقول الشاعر[4].

الذكر للإحاطة والشمول:

صرّح البقاعي بهذا الغرض في قوله تعالى: ﴿... وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ...﴾ آل عمران: 97، فالمعنى: من عادة العرب زيارة معاهد الأحباب وأطلالهم وأماكنهم، وأعظم ما يعبر عن الزيارة عندهم الحجّ، وعبّر هنا بالبيت، لأنّه في الزيارة، يقول البقاعي: ((فأظهر في موضع الإضمار دلالة على الإحاطة والشمول))[5]

الذكر للتعظيم:

وجاء في قوله تعالى: ﴿... وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ البقرة: 282 ولمّا ختم سبحانه وتعالى آيات المعاملات بصفة العلم بعد الأمر بالتقوى في غاية المناسبة لما يفعله المتعاملون من الحيل التي يجتلب كل منهم بها الحظ لنفسه، والترغيب في امتثال أمرهم، فقد أظهر الاسم العظيم تعظيماً وتعميماً، لإحاطته الكاملة بكل شيء، ويعلّق البقاعي

---

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 119/3.

[2] الطبرسي الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، ح2 دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص:289

[3] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 120/3.

[4] المصدر نفسه، 120/3.

[5] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر ، 8/5.

قائلاً ((وأظهر الاسم الشريف هنا وفي الذي بعده تعظيماً للمقام وتعميماً للتعليم))[1] فالتقدير استئنافاً لبيان فخامة هذه التنبيهات يرشدكم الله إلى مثل هذه المراشد لإصلاح ذات بينكم، لأنّه عزّ وجلّ محيط بكل شيء عالم ما في البر والبحر وما تخفي النفوس والصدور.

الذكر للعموم:

ورد في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ البقرة: 207، إذ يشير البقاعي إلى إظهار الاسم الشريف بقوله: ((وأظهر موضع الإضمار دلالة على العموم وعلى الوصف المقتضي للرحمة والشرف))[2] الذكر للتعميم وتعليق الحكم بالوصف، وقد ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً * بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ النساء: 137.136، ولمّا كان التّمادي موجداً للكفر، مجدداً له، نبّه على إغراقه في البعد بغضبه سبحانه وتعالى لتماديه على الثبات على الكفر، وصوّره بأقبح صورة: ((ولما كانت جميع صور الآية منطبقة على النفاق بعضها حقيقة وبعضها مجازا، قال جواباً لمن كأنّه سأل عن جزائهم متهكماً بهم: ((وبشر المنافقين)) فأظهر موضع الإضمار تعميماً وتعليقاً للحكم بالوصف))[3] فأظهر ((النفاق)) ليعم الكفار والمنافقين المستمرين على العصيان والطغيان بشرهم بعذاب اليم بما حصدت أيديهم، وكذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿... مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ آل عمران: 151، وأشار البقاعي إلى موضع الذكر في قوله: ((و بئس مثوى الظالمين)) بقوله: ((وأظهر موضع الإضمار للتعميم

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 160/4.

[2] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 178/3.

[3] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر ، 437/5.

وتعليق الحكم بالوصف))[1].

الذكر للتنبيه:

ورد في قوله تعالى:﴿... وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ آل عمران: 11، فمعنى النص لمّا كان السبب المقتضي لاستمرار الكفر عادة هؤلاء الكفار في التكذيب بك وبما أنزل إليك، كعادة آل فرعون في التكذيب برسلهم، ولمّا كان التكذيب موجباً للعقوبة ((أظهر الاسم الشريف تنبيهاً على باهر العظمة))[2] فإنّ الله سبحانه وتعالى سوف يعاقبهم بذنوبهم، سمّيت المعاقبة مؤاخذة لأنّها أخذ بالذنب، فالأخذ بالذنب عقوبة، وأظهر الاسم الشريف ولم يضمر للتنبيه على زيادة العظمة في عذابهم لمزيد اجترائهم[3].

الإعلامية:

يتعلَّق هذا المعيار بالمعلومات التي يحملها النصُّ للمتلقي، فهو يدل كما يقول "دي بوجراند " على "الجدة والتنوُّع الذي تُوصَف به المعلومات في بعض المواقف" [4]، فكلُّ نصٍّ يجب أن يُقدِّم شيئًا للمتلقي، وكلما كان هذا الشيء جديدًا وغير متوقَّع بالنسبة للمتلقي زادت درجةُ الإعلامية، وكلما كان العكس انخفضت درجةُ الإعلامية، وهذا ما عبَّر عنه "دي بوجراند" بقوله: " إن إعلامية informativity عنصر ما تكمن في نسبة احتمال وروده في موقع معين (أي: إمكانه وتوقُّعه) بالمقارنة بينه وبين العناصر الأخرى من وجهة النظر الاختيارية وكلما بَعُد احتمال الورود ارتفع مستوى الكفاءة الإعلامية".[5]

---

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 92/5.

[2] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر ، 260/4.

[3] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر ، 260/4.261.

[4] روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، 249.

[5] روبرت دي بوجراند، المرجع نفسه، ص:249.

مفهوم الإعلامية:

إن كلمة إعلام يقابلها في اللغة الفرنسية مصطلح" information" الذي يفيد معنى فعل الإخبار، أما في اللغة العربية فان الإعلام هو الإخبار بالشيء، الأمر الذي يوضح أن مدلول هذين المصطلحين في اللغتين واحد،يتمثل في عملية إخبار غيرنا بمعلومات تتعلق بشيء معين.[1]

وينصب اهتمام الإعلامية على النص إنتاجا وتلقيا،وتتعلق بمدى ما يجده مستعملو النص في عرضه من جدة وعدم توقع.[2]

وقد ورد في لسان العرب، **علِم**: عِلْمت الشيء أعلَمهُ عْلَما:عَرفتُهُ، وقال ابن بري: و تقوُلَ علِم و فَقهَ، أي: تَعلَم وتَفَقّهَ، ويُقال: تَعلَّم في موضِع اْ علَم، وفي حديث الدجال: تعلُّموا أنَ رّبُكم ليس بِأعوَر بمعنى: اْ علَموا، وعلِم بالشيءِ: َ شعَر، يُقال:ماعِلْمت بِخَبِر قُدومِه، أي: ماَ شعرت، وعلِم الأمَر وتَعلَّمهُ:أتْقَنهُ.[3]

وجاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس:**علِم** :العين واللام والميم أصل صحيح واحد، يدل على أثَر بالشيء، يتميُز به عن غيرِه، وكل شيء يكوُنَ معلَما: خلاف الَمجهَل، والِعلُم: نقيض الجهل، وتَعلّمت الشيء إذا أخذتَ علَمهُ، والعرب تقول: تَعلّم أّنهُ كان كذا، بمعنى: اعلم, [4] ليكون بذلك مدار هذه المادة هو: المعرفة بالشيء، والِعلم به، والأخذ والنقل والإخبار.

---

[1] الربيع بوجلال، المعايير النصية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير،جامعة بسكرة،الجزائر،2011،ص:94

[2] الربيع بوجلال، معيار الإعلامية في التراث النقدي والبلاغي، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد18، جوان 2017، ص: 55

[3] ابن منظور، لسان العرب، مادة [ع ل م].

[4] أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ج ،6مادة (ع ل م .

في الاصطلاح:

يعرّف ديبوغراند الإعلامية بأنها :العامل المُؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية في عالم نصي فيُ مقابلة البدائل الممكنة[1]، ويُستعمل مصطلح الإعلامية للدلالة على مدى ما يجدهُ مستقبل النص في عرضه منِ جدة وعدم توقع، وفي العادة نُطبق هذه الفكرة أكثر على المحتوى، ثم النظام اللغوي (الشكل)،[2] ويتمثل عامل الجدّة في اللايقين النصي لوقائع النص بالمقارنة مع الوقائع الأخرى المحتملة الحدوث.[3]

وبذلك يتضح لنا بأن معيار الإعلامية لا يقوم على مجّرد معلومات عامة يحويها النص وإّنما يقوم على المعلومات التي تتضّمن عاملي الجّدة والتنوع، وهي بهذا تُرِّكز بالدرجة الأولى على العناصر التي تفاجئ توقعات التلقي، وتكمن إعلامية عنصر ما في نسبة احتمال وروده في موقع معين، أي إمكانه وتوقعه بالمقارنة بينه وبين العناصر الأخرى من جهة النظر الاختيارية، وكلما بُعد احتمال الورود ارتفع مستوى الكفاءة الإعلامية[4].

وقد وظف التراث اللغوي كثيرا من المصطلحات التي تربط بين المتكلم والمخاطب، لإدراكهم حاجة الإنسان للسان، وحتمية حضور الجانب اللغوي في تعايشهم، ومنها النبأ، الخبر، الحد، الإعلام، الإبلاغ، الإيصال، الإنذار، الإشعار.[5]

درجات الإعلامية:

تصنف الإعلامية كأحد أهم المعايير النصية التي تتخلل البحث في" مدى التوقع الذي

---

[1] روبرت دي بوغراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ص .605

[2] روبرت دي بوغراند ، ولفغانغ دريسلر، مدخل إلى علم لغة النص، ص .661

[3] روبرت دي بوجراند، المرجع نفسه. ص.12

[4] روبرت دي بوغراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ص .211

[5] الربيع بوجلال، معيار الإعلامية في التراث النقدي والبلاغي، ص: 56

تحظى به وقائع النص المعروض في مقابل عدم التوقع، أو المعلوم في مقابل المجهول[1]، أي أنها تبحث في ناحية الجدة، أو التنوع الذي توصف به المعلومات في بعض المواقف[2] من خلال سعيها إلى الكشف عن التفاعل الذي ينشئ عندما يصادف المتلقي في النص عناصر غير المتوقعة وغير المألوفة، إذ عادة ما يبدي المتلقي اهتماما كبيرا بما يجده من جدة وإبداع ومخالفة الواقع على مستوى صياغة النص أو مضمونه، فـ"يستجمع قواه ويستفرغ جهوده للوقوف على ما يكتنفها من طرافة وجدة وغموض،[3] وذلك أن "عاديات الأسلوب تساعد المرء على المعالجة السهلة في حين يؤدي الخروج على المألوف إلى جعل المعالجة تصبح تحديا مثيرا [4] "وإذا كان مستوى الكفاءة الإعلامية لنص ما يحدده مقدار ما يتضمنه هذا النص من عناصر الجدة، وعدم التوقع، فإن المتلقي أمام نصوص ذات كفاءة إعلامية متفاوتة الدرجات، فتكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار الفعلي لبديل من خارج الاحتمال، بينما تنخفض درجة إعلاميتها حينما تحميل عناصر متوقعة[5]، ومن ثم جعل دي بوجراند للإعلامية ثلاثة درجات أو مراتب وهي:

❖ **إعلامية من الدرجة الأولى :**

وهي النصوص ذات المحتوى المحتمل في الهيئة(الصياغة المحتملة)[6] وتتسم هذه النصوص بالصياغة السهلة وبكفاءة إعلامية منخفضة بسبب أنها تحمل معلومات متوقعة من قبل المتلقي، وهي موجودة ماثلة في أي نص كائنا ما كان[1]

---

[1] حسام فرج، نظرية علم النص، مكتبة الآداب، ط2 القاهرة 2009ص .66

[2] إلهام أبو غزالة، علي خليل حمد ،مدخل إلى علم لغة النص، مرجع سابق، ص 33/32.

[3] روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء تر: تمام حسان، ص .249

[4] محمد عبد الرحمن:الإعلامية أبعادها وأثرها في تلقي النص نظرية تاريخية، رسالة دكتوراه، كلية معارف الوحي، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، 2007ص 06.

[5] فولفجانج هاينه مان، ديتر فيهفجر:مدخل إلى علم اللغة النص، تحقيق سعيد حسن بحيري، مكتبة الزهراء، القاهرة2004ص .80

[6] روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء تر: تمام حسان، ص .10

❖ **إعلامية من الدرجة الثانية:**

وهي النصوص ذات المحتوى المحتمل في الهيئة غير المحتملة، أو المحتوى غير وتتسم هذه النصوص بالتحدي، لكنها تكون ذات كفاءة [2]، المحتمل في الهيئة المحتملة إعلامية متوسطة، بسبب أن المعلومات والوقائع اللغوية التي تحملها تتجاوز من حيث احتمالية التوقع الدرجة الأولى، لكنها لا ترقى إلى مرتبة احتمالية مرتفعة.

❖ **إعلامية من الدرجة الثالثة:**

وهي النصوص ذات المحتوى غير المحتمل في الهيئة غير المحتملة[3] وتضم الوقائع التي تبدو لأول وهلة خارجة بعض الشيء على قائمة الاختيارات المحتملة، وتنقسم وقائع الدرجة الثالثة إلى قسمين في العادة هما:الانقطاعات: وفيها تبدو تشكيلة ما خالية المعروضة في النص غير مواكبة لأنماط من المادة، والمفارقات:وفيها تبدو الأنماط بالبحث في الدافعية وهي حالة المعرفة المختزنة، ويستلزم الأمر قيام مستقبلي النص خاصة من حالات حل المشكلات من أجل اكتشاف ما تشير إليه تلك الوقائع، وسبب اختيارها واستيعابها المجدد في إطار الاستمرار الذي يؤلف الاتصال.[4]

آليات الإعلامية في نظم الدرر للبقاعي:

أولا: الكناية عند البقاعي:

عرّف البقاعي الكناية بقوله هي:" ذكر اللازم وإرادة الملزوم "[5]، وقد فرق بين الكناية والتعريض إذ التعريض عند البقاعي " هو تفعيل من العرض والعرض هو إلقاء القول عرضاً،

---

[1] إلهام أبو غزالة، علي خليل حمد ،مدخل إلى علم لغة النص، ص .251

[2] المرجع نفسه، ص .189

[3] المرجع نفسه، ص .251

[4] المرجع نفسه، ص .251

[5] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 345/3 .

أي ناحية على غير قصد إليه "[1]، ثم يتحدث عن الفرق بين الكناية والتعريض إذ يقول:" إنه كلام ظاهر في معنى يقصد به غير معنى الظاهر فلا يفهم المراد إلا بالقرائن"[2] (ويضرب أمثلة لذلك، كقول المحتاج: جئت لأسلم عليك وانظر وجهك الكريم ويسمى التلويح أيضا "، وهذا التعريف هو في الأصل للجرجاني والسكاكي وابن الأثير[3].

فالبقاعي يتابع السكاكي في تعريفه للكناية ويتابع ابن الأثير في تعريفه للتعريض، في حين ووضع حدودا فاصلة فالكناية عنده لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز، ثم بين اشتقاقها اللغوي، ومثّل لها بعدد من الأمثلة[4]، ولانّ دلالة الكناية لفظة وضعية من جهة المجازة، ودلالة التعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي، ولانّ معنى التعريض يفهم من عرضه، أي – جانبه– ولانّ التعريض فيه نوع من الخطأ إذ المعاني فيه تلوح من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي لا المجازي، وانه يختص باللفظ المركب ولا يأتي باللفظ المفرد البتة[5]،

والكناية الاصطلاحية التي عرفت بمعناها البلاغي الذي أشرنا إليه قبل قليل أخذت تتطور بتطور الدرس البلاغي ونضجه مصطلحاً نحوياً جارياً على السنة النحاة واللغويين الأوائل أمثال سيبويه والفراء الأخفش .

أما الكناية اللغوية فقد كانت أقل دورانا في تفسيره، إذ استعملها على معنى الإخفاء والإضمار، وهذا يتصل بمعنى (الضمير/النحوي) سواء أكان مذكوراً أم محذوفاً بما له من

---

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 345/3 .

[2] المصدر نفسه، 345/3

[3] السكاكي أبا يعقوب محمد بن علي، مفتاح العلوم، مطبعة المكتبة العلمية الجديدة، بيروت، دت، ص: 189 .

[4] برهان الدين البقاعي: نظم الدرر: 344/3 .

[5] ابن الأثير ضياء الدين نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي وأولاده، ج2، مصر، 1939م، ص148 .

تحديد للدلالة اللغوية والبنائية[1]. فمن أمثلته للدلالة على الضمير المذكور ما أورده عند تناوله لقوله تعالى (**فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ**) {البقرة: من الآية23} (**مِّنْ مِثْلِهِ**)" الهاء كناية عن القرآن، فأتوا بمثل هذا القرآن"[2]، وقد جاء بالكناية هنا للدلالة على عود الضمير الهاء في قوله (**مِثْلِهِ**) ، وقد وردت الكناية في تفسير البقاعي في مواضع كثيرة ودلّل عليها وذكر أحياناً على الأغراض البلاغية فيها ومنها:

الكناية لغرض ترك اللفظ إلى ما هو أجمل :

نحو قوله تعالى :(**إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَأحدةٌ**) ص: الآية23، فكنى بالنعجة عن المرأة كعادة العرب في ذلك، لأن ترك التصريح بذكر النساء أجمل منه، لهذا لم تذكر في القرآن امرأة باسمها إلا مريم[3] .

وذهب البقاعي بالقول بالكناية وفسرها بالمرأة أو الأنثى بقوله في تفسير الآية هذه حكاية كلام أحد المختصمين والأخوة هنا أخوة الدين والنعجة في اللغة تقع على أنثى بقر الوحش وعلى أنثى الضان وهي عبارة عن المرأة ومعنى (**أَكْفِلْنِيهَا**) أي أعطنيها لأكون كافلا لها وعزني في الخطاب أي غلّبني وقوّي عليّ واشدد وأغلظ بي في الكلام الذي له شان من جدال فسكت عجزا عن التمادي معه[4]، ثم يعلل هذه القصة بالقول "إلا أن هذا الكلام قد لا يراد به معناه ومن هنا كان الحكم في ألفاظ الكنايات انه لا يقع بها شيء إلا أن اقترن بقصد المعنى "[5] ولا نجد البقاعي يسوغ سبب الكناية وإنما فسر معناها بالمرأة أوالأنثى، فالكناية السابقة هي كناية عن موصوف خرجت بلاغيا إلى ما هو أجمل وقد اصطلح البقاعي على

---

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 165/1، و 11/2 .

[2] المصدر نفسه، 165/1 ، برهان الدين ابن عمر البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور،ج1ص:38 .

[3] عبد الله بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 302/2 ، ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن ج2.ص: 789 .

[4] ينظر برهان الدين البقاعي: نظم الدرر:356/16 – 358 .

[5] المصدر نفسه، 361/16 .

الكناية وقاسها على كلام العرب فكان منهجا استدلالياً استنتاجيا يعتمد على ما ورد عن العرب ثم استنباط النتيجة ونجده في بعض الأحيان يذكر نوع الكناية أو غرضها البلاغي والغالب لا يذكر النوع وإنما الغرض ويكتفي بالقول (كناية عن كذا)، ثم يتابع البقاعي كلامه في دفاعه عن هذه القصة وهي من فعل القصاصين ذاكرا قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه نقلا من الكشاف إذ القصة مقصورة على الفتنة لا تعلق لها بالخصومة وهي عتاب للأنبياء لعلو مقاماتهم يعاتبون على مثل هذا وهو من قصر الموصوف على الصفة قلبا،[1]

الكناية عما يستقبح التصريح فيه:

ككناية الله تعالى عن الجماع بالملامسة والمباشرة والإفضاء والرفث والدخول، والسر في قوله تعالى: (**وَلَكِنْ لا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرّاً**) {البقرة: من الآية235} والغشيان في قوله تعالى:(**فَلَمَّا تَغَشَّاهَا**) الأعراف: من الآية189 اخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال المباشرة الجماع ولكن الله يكني[2]، وقد أشار البقاعي إلى هذا النوع من الكناية ففي قوله تعالى: (... **وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أو عَلَى سَفَرٍ أو جَاءَ أحد مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أو لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّبا**) {النساء: من الآية43} .

فالآية السابقة تضمنت كناية عن خروج الإنسان في لفظ (**مِنَ الْغَائِطِ**) وهي كناية عن صفة وقد صرح الله عز وجل بهذا اللفظ تأديباً للمسلمين وبعدا عن التصريح بما يستقبح وقد ذكر البقاعي الكناية في تفسيره الآية فقال: " (**مِنَ الْغَائِطِ**) أي المكان المطمئن من الأرض الواسع الذي يقصد للتخلي أي أوجاء من التخلي فقضى حاجته التي لابد له منها وهو كناية عن الحدث الخارج من المخرجين" [3].

[1] ينظر برهان الدين البقاعي: نظم الدرر:361/16 .

[2] عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص:790.

[3] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر،5,287-288 .

البقاعي في تفسيره فسر معنى الكناية (**الْغَائِطِ**) واصلها اللغوي والذي قال به أكثر المفسرين،[1] ولم يفسر الزمخشري الآية ولم يقف عليها ولا ندري ما علة ذلك[2].

ومن البلاغة القرآنية التي ارتبطت بكثير من الآيات بالأحكام الفقهية التي استكنهت من الأنواع البلاغية وفي هذا الموضع نلاحظ أن تفسير الكناية في الآية السابقة جعلنا نفهم تعاليم ديننا وتشريعه وردت فيها الكناية لغرض ترك اللفظ إلى ما هو أجمل قوله تعالى: (وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ) {النساء:21} فالإفضاء كناية عن الجماع وهي كناية عن موصوف فعلاقة اللازمية والملزومية حملها اللفظ (أَفْضَى) لأنه اللازم أما الملزوم فهو الجماع وقد فسر البقاعي هذه الآية وكان هدفه استخراج الأحكام الشرعية فقال: (وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ) والحال انّه قد أفضى أي بالملامسة وهو كناية عن الجماع(بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ) أي فكدتم أن تصيروا جسدا وأحدا (أخذن) أي النساء **(مِنْكُم)** أي بالإفضاء والاتحاد لان مبنى النكاح على ذلك وان لم يصرح به فيه[3].

<u>الكناية بغرض التنبيه على المصير :</u>

نلاحظ في هذا الموطن من الكناية أن البقاعي أشار إلى نوع الكناية بلاغياً بما يؤول إليه لكنه لم يذكر كل الكنايات، ومن الآيات التي حملت على الكناية وسببها البلاغي للمآل قوله تعالى: (وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُس) {البقرة: من الآية253} فهي كناية صفة ما آل إليه سيدنا عيسى υ من المباركة والتأييد بقدرة الله Y، وذهب البقاعي في تفسيره بروح القدس

---

[1] ينظر معاني القرآن للفراء،1/ 302و6/3 .

[2] محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،ج1 مطبعة مصطفى البابي وأولاده ، مصر، 1968م، ص:528.

[3] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر،227/5 ، وينظر:برهان الدين البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السورج1.ص: 493 .

جبريل υ وقيل الإنجيل والأول هو الأرجح[1] لقوله : (**قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ**)}النحل: من الآية102} ولقوله لحسان ابن ثابت: [اللهم أيده بروح القدس] [2].

والممحص في كلام البقاعي يستنتج انه ناقش آراء المفسرين ورجح رأياً على الآراء الأخرى معتمدا في تفسيره وترجيحه آيات قرآنية وأحاديث شريفة .

والكناية هنا هي كناية عن الصفة المباركة لسيدنا عيسى بجبريل "**عليهما السلام**" وخرجت إلى معنى المدح والتقوية، وهكذا رأينا كيف تعرض البقاعي للكناية ويبدو انّه فصلها عن المجاز لأنه لم يذكر في تفسيره للآيات التي احتوت على الكناية لفظ المجاز وانّه اكتفى بعبارة هي كناية عن كذا أي المراد أو عبارة كذا، أما فيما يتعلق بأنواع الكناية فوجدناه لا يذكر نوع الكناية عندما يشير إليها وإنما يفسرها أويحللها أويقوم بذلك المعنى معا، وطورا نجده يفعل ذلك من غير أن يذكر الكناية في الآية .

إن الملاحظ والمقارن لأقوال المفسرين يستنتج أن البقاعي اصطلح على الكناية ومقتضاها البلاغي بينما لم يفعل الزمخشري والقرطبي وابن جزي فلم يذكروها صراحة وإنما ذكروا مقتضاها البلاغي فقط وهذا يدلنا إلى أن البقاعي أدرك قيمة المصطلح الكنائي وطبقه في تفسيره لبيان جماليات هذا الأسلوب وأمثلته كثيرة في تفسيره [3] .

ثانيا: <u>الاستعارة عند البقاعي :</u>

كانت الدراسات السابقة تنحو نحو التفريق بين أنواع الكلام وأساليبه وكان المنهج المتبع منهجاً تقليا في الغالب، فالأقدمون مهدّوا طريق البلاغة للاحقين وقد رأينا كيف تطورت الاستعارة حتى استتبت قوانينها ذات الاتجاه الفلسفي عند السكاكي والقزويني لذا نجد البقاعي استعمل تسميات السابقين ولعل ذلك يرجع إلى التطور النهائي الذي استقر في القرن السابع لدى السكاكي والقزويني وكان البقاعي على علم بهذه المصطلحات مستعملاً لها، والاستعارة

---

[1] ينظر برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 4/ 6-7 .

[2] المصدر نفسه، 11/ 255.

[3] ينظر على سبيل التمثيل، 12/2، و184 ، و345/3 .

فن بلاغي تناوله البقاعي وذكره في تفسيره وكتبه[1]، وفصّل في مواضع وأوجز في مواضع أخرى ومن هذه الاستعارات .

❖ **الاستعارة الاحتمالية:**

عرّف السكاكي الاستعارة الاحتمالية فقال: " هي أن يكون المشبه المتروك صالح الحمل تارة على ماله تحقق وأخرى على ما لا تحقق له "[2].

وقال في التحقيقية: " أن يكون المشبه المتروك شيئاً متحققاً إما حسيّاً وإما عقليّاً "[3].

فالاستعارة الاحتمالية مصطلح اعتمده السكاكي وهو يمعن النظر في طبيعة المشبه المحذوف فإذا التبس الأمر فيه بين الواقع والخيال سميت استعارة احتمالية، والبقاعي فسّر هذه الاستعارة بقوله[4]: " ... لباس الجوع والخوف حتى صار لهم ذلك بشموله لهم لباساً، وبشدة عركهم ذواقاً ، فكأن النظر إلى المستعار له، واعتماداً على ما سبق فرق البقاعي بين نوعين من أنواع الاستعارة معتمداً على رأي الزمخشري الذي تبناه ونقل غالبية النص منه [5] .

الأول: إرساء المعنى للمستعار له وهذا ما جاءت عليه الآية الكريمة فالجوع والخوف استعير لهما لفظ اللباس ولم يقصد اللباس بنفسه لغرض تصوير فداحة خسران القرية الظالمة، فالمراد بلاغياً تصوير أهل القرية الظالمة والإبلاغ عن حالهم، فالحديث يدور حول المستعار له وليس المستعار، وأكد كلامه بقياسه الآية على أشعار قالها أصحابها يقصدون في

---

[1] ذكر البقاعي الاستعارة في تفسيره وفي كتبه المطبوعة منها والمخطوطة ذكرها في كتابه مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور وسيأتي بيانه في الأمثلة، وكذلك في مخطوطة الجواهر والدرر في مناسبة الآي والسور برقم (2143) في (38) ورقة ص 21 – 25 .

[2] السكاكي أبا يعقوب محمد بن علي، مفتاح العلوم، 176 .

[3] المرجع نفسه: 176 .

[4] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 265/11 .

[5] ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:ج2 ص:431 – 432.

استعاراتهم الشعرية المستعار له كبيت كثير الشعري حينما استعمل الرداء وأراد المعروف وكذلك استعمل في الآية اللبس وأريد به العذاب .

والآخر: استعمال الاستعارة لغرض الحديث عن المستعار وليس المستعار له ويؤيد كلامه ببيتين من الشعر، فالآية جاءت بقصد الحديث عن عظمة العذاب الذي صار كاللباس الملازم الشامل لكل أجزاء الجسد الذي لا يستطيع الإنسان أن يبعده عنه فلو كان الحديث في الآية عن المستعار لقيل :"فكساهم لباس الجوع والخوف وهدفه في ذلك توضيح أن الاستعارة وقعت لغرض بيان حال أهل القرية وليس اللباس [1] .

والبقاعي يذهب في تفسيره للآية على مبدأ الإقناع والمقابلة والإفهام، فعندما فرق بين المعنيين أظهر بلاغة الاستعارة ومقتضاها البلاغي في إظهار مدى عذاب أهل القرية حتى أصبحوا أسرى لهذا العذاب كالإنسان عندما يصبح أسير لباسه، فالبقاعي يذهب لإظهار جمال الصورة القرآنية وهذا ما ذهب إليه الزمخشري وأبو حيان في تفسيرهما للآية الكريمة[2]

❖ **<u>الإستعارة الأصلية :</u>**

وهي الاستعارة التي يكون فيها اللفظ المستعار اسماً جامداً غير مشتق وقد عرفها السكاكي فقال: " هي أن يكون المستعار اسم جنس كرجل وكقيام وقعود، ووجه كونها أصلية هو أنّ الاستعارة مبناها على تشبيه المستعار بالمستعار منه " [3].

ومن هذا النوع نجد قوله تعالى: (**لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّور**)}ابراهيم:1{

ف(**الظُّلُمَات**) و (**النُّور**) اسمان جامدان استعيرا للكفر والإيمان فالاستعارتان أصليتان،

---

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 264/11 – 265، أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف، البحر المحيط: 543/5 .

[2] ينظر: الزمخشري، المرجع نفسه، 431/2 – 432، وأبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف، البحر المحيط، 543/5 .

[3] السكاكي أبا يعقوب محمد بن علي، مفتاح العلوم، 179 .

قال البقاعي في تفسيرها : (**مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**) أي من ظلمات الكفر والضلال والجهل إلى نور الإيمان والعلم وشبه الإيمان وما ارشد إليه بالنور لأنه عصمة العقل من الخطأ كما أن النور عصمة البصر من الضلال عن الطريق الحسي[1] .

فالاستعارة المتضمنة في الآية هي استعارة تصريحية فقد حذف المشبه وهو الكفر وصرح بالمشبه به وهو النور، وهاتان الصورتان بصريتان فقد اعتمد فيهما حاسة البصر وشبه فيهما المعقول بالمحسوس فالإيمان والكفر شيئان معنويان ندركهما بالعقل والقلب، والظلمات والنور شيئان محسوسان ندركهما بالبصر وهذا الذي ذهب إليه البقاعي ولم نجده عند غيره من المفسرين[2].

وقد قال الجرجاني في استعارة المحسوس للمعقول: " هو الصميم الخالص من الاستعارة، وحده أن يكون الشبه مأخوذاً من الصورة العقلية وذلك كاستعارة النور للبيان والحجة الكاشفة عن الحق المزيلة للشك النافية للريب"[3] وأورد الجرجاني كلاماً عن الصورة الذوقية والبصرية والشمية[4]، وهذه الاستعارة الأصلية لم يصرح بها أكثر المفسرين[5] ووجدنا البقاعي قد صرح بها متابعاً الجرجاني في هذا التفسير .

❖ **<u>الاستعارة بالكناية:</u>**

ومن أنواع الاستعارة التي ذكرها البقاعي :

---

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 370/10 – 371 .

[2] محمد بن احمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،ج9 مطبعة دار الكتب المصرية ، ط1 ، 1387 هـ – 1967م ص:295 ، محمد بن احمد ابن جزي الكلبي: التسهيل في علوم التنزيل ، ج2، ص:137 .

[3] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، صححها السيد محمد رشيد رضا دار المعرفة، بيروت، ص: 49 .

[4] المصدر نفسه: 50 – 53 .

[5] أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف، البحر المحيط: 403/5، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي الشيرازي، أنوار التنزيل في أسرار التأويل، ج1، ص:512 .

1/الاستعارة التبعية : ويقصد بالتبعية أنها تتبع استعارة أصلية تقدمتها وهي تختلف عن الاستعارة الأصلية بكونها تتضمن مستعاراً يكون فعلا، أو اسم فعل، أو اسماً مشتقاً، أو اسماً مبهماً أوحرفاً في حين كنا قد ذكرنا أنَّ الاستعارةَ الأصلية يكون فيها المستعار اسماً جامداً، وقد عرفها السكاكي بقوله: " ما تقع في غير أسماء الأجناس كالأفعال والصفات المشتقة منها وكالحروف " [1] .

ومنه قوله تعالى: (**يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ** {يّس:52}، فالأصل في المرقد يستعمل لمكان النوم ثم استعير للموت ، والمرقد اسم مكان للموت وهو مشتق فالاستعارة تبعية .

أشار البقاعي إلى الاستعارة وفسر معناها، فقال :(**مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا** ...) المرقد يحتمل أن يكون اسم مصدر أو اسم مكان(**مِنْ مَرْقَدِنَا**) فهي استعارة وتشبيه به يعني أنَّ قبورهم شبهت بالمضاجع لكونهم فيها على هيئة الرقاد ... أو عدوا مكانهم الذي كانوا به مع ما كانوا فيه من عذاب البرزخ – مرقداً هنيئاً بالنسبة لما انكشف لهم من العذاب الأكبر "[2].

فالبقاعي نص على أن (**مَرْقَد**) مشتق ثم ذكر أصل الاستعارة فذكر أركانها وبيّنَ أنَّ القبور شبهت بالمرقد ثم صار المرقد اسماً للقبر من خلال سياق النص .

ومن الاستعارة في الحروف قوله تعالى: (**أولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ**) {البقرة: من الآية5} وهذا النوع من الاستعارة كان الزمخشري من اسبق البلاغيين الذين أشاروا إليه إذ يقول: " ومعنى الاستعلاء قوله:(**عَلَى هُدىً**) مثل لتمكنهم على الهدى، واستقرارهم عليه، وتمسكهم به، شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه، ونحو: "هو على الحق " و"على الباطل "[3].

---

[1] السكاكي أبا يعقوب محمد بن علي، مفتاح العلوم: 180 .

[2] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 143/16، برهان الدين ابن عمر البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ج3ص:98 – 99 .

[3] الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، /142 – 143 .

وهذا التفسير ذهب إليه البقاعي بقوله : " فأثمر لهم التمسك بأوثق العرى من الأعمال استحقوا الوصف بالاستعلاء الذي معناه التمكن ... من ربهم أي المحسن إليهم بتمكينهم منه ولزومهم له تمكين من علا الشيء ... (**عَلَى هُدىً**) تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه " [1] .

فقد شبه السائر على طريق الهداية بالممتطي الجواد " فاستعيرت هذه الهيئة للدلالة على حال المؤمنين واكتفى التعبير القرآني باستعمال الحرف(**عَلَى**) الذي يوحي بالتمكن من الشيء والثبات عليه فالحرف هنا هو الذي يكوّن الصورة المرسومة في المخيّلة "[2].

3/الاستعارة التصريحية :

ومن أمثلتها قوله تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) {البقرة:214} .

والبأساء هو الفقر والشدّة، فشبه الفقر بالبأساء وحذف المشبه وهو الفقر وصرح بالبأساء على سبيل التصريحية إذ شبه الشيء بنفسه، والبقاعي لم يشر إلى الاستعارة التصريحية في الآية السابقة[3]، واعتمادا على ما سبق نجد أن البقاعي لم يشر إلى الاستعارة التصريحية على الرغم من أنَّ السيوطي قرر الاستعارة التصريحية في الآية السابقة [4].

إنّ عرضنا مفهوم الاستعارة عند البقاعي يوضح فهمه الدقيق لها فعند تناوله الاستعارة بالشرح والتحليل وجدناه قد تعمق في المعاني واصل الاستعارة .

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 89/1 – 90 .

[2] الصورة الفنية في القرآن الكريم، 55 – 56 .

[3] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، ج3، ص:208 – 209 .

[4] عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 785/2 .

الفصل الثالث

القصدية و المقبولية في نظم الدرر للبقاعي

❖ ***المبحث الأول :*** القصدية في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي

- مفهوم القصد في التراث النقدي البلاغي
- مفهوم القصد في الدراسات اللسانية الحديثة
- القصدية والمتلقي
- آليات القصدية في نظم الدرر للبقاعي

❖ **المبحث الثاني :** المقبولية في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي

- مفهوم المقبولية في التراث النقدي والبلاغي
- مفهوم المقبولية في الدراسات اللسانية الحديثة
- المقبولية والسياق
- المقبولية وإستراتيجية التلقي

القصد لغة:

ارتبطت دلالة الجذر(ق ص د) في معاجم اللغة بمعنى الدلالة على المعنى وتأديته، فقد جاء لفظ"قصد" أهم المرادفات للفظ "معنى"، حيث ذكر الزمخشري في أساس البلاغة:"عنيت بكلامي كذا أي:أردته وقصدته، ومنه:المعنى "،[1]وقال ابن منظور في لسان العرب:" لا يقال عنيت بحاجتك إلا على معنى قصدتها، ومن قولك عنيت الشيء أعنيه، إذا كنت قاصدا له، وعنيت بالقول كذا:أردت، ومعنى كل كلام ومعناته ومعنيته:مقصده."[2]

كما يدور معنى القصد في معجم لسان العرب حول دلالات عدة منها:"استقامة الطريق...والقصد من الأمور في القول والفعل وهو الوسط بين الطرفين، والقصد إتيان الشيء قصدته وقصدت إليه، والقصد في الشيء خلاف الإفراط، وهو مابين الإسراف والتقتير، والقصد في المعيشة أن لا يسرف ولا يقتر"[3]، وإذا كان المدلول اللغوي للفظ "قصد"مرادف له "المعنى"، وكان المعنى هو كل ما تؤديه الألفاظ من دلالات تومئ إلى أشياء محسوسة موجودة في الخارج، أوالى أفكار وقيم ومبادئ وأحاسيس نفسية، فان "القصد"هو الغاية أو الهدف أو الغرض أو الفحوى والمضمون والدلالة التي يستدل عليها بالألفاظ الدالة وغيرها.

مفهوم القصدية في التراث النقدي والبلاغي:

يتعدد المعنى اللغوي للقصد الذي هو معنى الحجِّ، وهو معنى التيمّم، وبمعنى النية أيضا، ويعني في اللغة الاعتزام والتوجه والنهوض نحو الشيء.[4] اتفق البلاغيون القدامى على ضرورة توافر القصد في النص أو الكلام، لذلك فمتى خلى النص أو الكلام من القصد أصبح بلا قيمة وخرج من دائرة اهتماماتهم، "فأهل العربية يشترطون القصد في الدلالة فما

[1] الزمخشري، أساس البلاغة، ج2، ص:80

[2] ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص:106

[3] المرجع نفسه، ج3، ص:353

[4] الربيع بوجلال، القصد في التراث العربي وفي البحث النصي، مجلة العربية، المجلد4، العدد8، 2017، ص: 184

يفهم من غير قصد من المتكلم لا يكون مدلولا للفظ عندهم"[1]، أي أن دلالة النص مرتبطة بإرادة صاحب النص ومقصده، وبحسب ابن القيم فان:"الألفاظ لم تقصد لذواتها، وإنما يستدل بها على مراد المتكلم، والعبرة بإرادة المتكلم لا بلفظه"[2].

وقد أشار أبو هلال العسكري إلى ارتباط معنى النص بالقصد إلي أراده منتج النص، قائلا:القصد هو المعنى الذي يقع به القول على وجه دون وجه، فيكون معنى الكلام ما تعلّق به القصد"، أي المعنى الذي قصد إليه المتكلم، لذلك فالمعنى والغرض والهدف عنده مرادفات للقصد، حيث يقول:"المعنى هو القصد...والغرض هو المقصود بالقول...وسمي غرضا تشبيها بالغرض الذي يقصده الرّامي بسهمه وهو الهدف"[3]

أما الجاحظ فيقول في كتابه "البيان التبيين" فقد أوضح أن:"مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"،[4]وهذا دليل على إدراكه أن النتيجة الحتمية لنجاح العملية التواصلية، هي تحقق الفهم وإدراك المتلقي لقصد المتكلم، ويفهم من كلام الجاحظ أن الإفهام هو البيان، وإذا كان من المسلّم ب هان الأصل في الكلام هو القصد، فان هذا يدل على أن الجاحظ أراد أن يقرر مبدأ توافر"القصدية" في نجاح العملية التواصلية بين القائل والسامع.

ومن جهة أخرى يلتقي القصد من الشعر بمفهوم الغرض في التراث النقدي، فبحسب حازم القرطاجني، فالقصد من الشعر مرادف للغرض، فمثلا يقول متحدثا عن مطالع القصائد الشعرية:"فملاك الآمر في كل ذلك أن يكون المفتتح مناسبا لمقصد المتكلم من جميع جهاته،

---

[1] التهاوني، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج1، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت1996، ص:793

[2] ابن القيم محمد، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، ج1،دار الكتب العلمية ط1، بيروت،1991،ص:167

[3] أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق محمد إبراهيم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة ص:33

[4] الجاحظ عمرو بن عمر،البيان والتبيين، تحقيق موفق شهاب الدين، ج1، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1998،ص:60

فإذا كان مقصده الفخر كان الوجه أن يعتمد من الألفاظ والنظم والمعاني والأسلوب ما يكون فيه رقية وعذوبة، وكذلك سائر المقاصد."[1] وبحسب مصادر التراث الأدبي والنقدي، فان النقاد العب القدماء:"شاع في تآليفهم اصطلاح الغرض للتعبير عن القصد"[2]، ومن أجل ذلك كان النقاد وشراح الشعر العربي القدامى، يستحضرون مناسبة القصيدة وأسباب نظمها، والظروف التي تتعلق بالشاعر ونسبه ومكانته، للوقوف على غرض القصيدة، والوصول إلى قدر أكبر من الثقة في تحقيق معنى النص، ولذلك يمكن القول أن مفهوم القصدية في التراث النقدي والبلاغي، كان حاضرا في مظهرين رئيسين:

- أولهما:النية، حيث "سمي الشعر التام قصيدا لان قائله جعله من باله فقصد له قصدا"[3]، إضافة إلى تعريفهم للشعر بأنه "يقوم بعد النية على أربعة أشياء هي: اللفظ، والوزن، والمعنى، والقافية، فهذا هو حد الشعر، لأن من اللام موزونا مقفى وليس بشعر، لعدم القصد والنية"[4]، بل اشترط بعضهم في الشعر أن يكون أكثر من بيت، احترازا عمّا يقع في سطر واحد بوزن الشعر دون قصد.[5]
- أما المفهوم الثاني للقصد، فيتمثل في المصطلحات التي استعملها القدامى للدلالة على المراد من النص أو الكلام، مثل:المعنى والغرض والهدف والحاجة والغاية التي يريد أن يبلغ إليها المتكلم، بل لعل تعريفهم للبلاغة يتضمن جانبا من القصدية، حيث

---

[1] حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق،محمد الحبيب،الدار العربية للكتاب، ط2، تونس، ص:279

[2] محمد العبسي، بنية الاستجابة في شروح حسن كامل الصيرفي، مجلة المنارة ، مجلد15، العدد1، 2009 ص:191

[3] ابن منظور، لسان العرب،ج3،ص:353

[4] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، ج1، دار الجبل، ط3، بيروت، 1981.ص:119

[5] احمد بن زكريا ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق، احمد بسج دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، ص: 1997.ص:211

يشترطون لتحقق بلاغة النص أو الكلام وضوح القصد للسامع.[1] وتجدر الإشارة إلى أن النقاد القدامى قد فطنوا للارتباط القائم بين معياري القصدية والمقبولية، فإذا كان مفهوم القصدية في الدراسات الحديثة يعني قصد منتج النص للتأثير في المتلقي، فان القرطاجني يقترب من هذا المفهوم، بقوله:"القصد من الشعر هو أن يحبّب إلى النفس ما قصد تحبيبه، ويكرّ خاليها ما قصد تكريهه، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه"[2]، كذلك شخّص القرطاجني علاقة القصد المتكلم بالقبول عند المتلقي، حيث قال:"إن القصد من الشعر تحريك النفس لمقتضى الكلام بإيقاعه منها بمحل القبول'' والقصد هنا بمعنى الغاية بمعنى الغاية المتمثلة في إحداث الأثر في نفس المتلقي، وقد جاءت الدراسات اللسانية الحديثة لتقر ذلك، وتؤكد على أن نجاح العملية التواصلية يقتضي"توافر القصد من قبل المرسل والقبول من قبل المتلقي".[3]

مفهوم القصدية في الدراسات اللسانية االحديثة:

القصدية هي المصطلح العام لجميع الأشكال المختلفة التي يمكن أن يتوجها بها العقل أو يتعلق، نحو الأشياء أو الحالات الفعلية في العالم.[4]وتعد القصدية معيارا من معايير تحقق النصية، وشرطا أساسيا في كل أنواع التواصل الإنساني، وقصدية أي نص بحسب دي بوجراند ودريسلر تتمثل في: "اتجاه منتج النص إلى أن تؤلف مجموعة الوقائع نصا متضامنا متقارنا ذا نفع عملي في تحقيق مقاصده، أي نشر معرفة أو بلوغ هدف يتعين من خلال خطة ما"[5]، ويتركز القصد في تحقيق مقاصد منتج النص ويؤثر في بنية النص وأسلوبه،لذلك

[1] أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق علي البحاوي ومحمد أبو الفضل، ج1، المكتبة العصرية، ط1،ص: 68

[2] حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق، محمد الحبيب، ص63

[3] عزة شبل، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ص:28

[4] الربيع بوجلال، القصد في التراث العربي وفي البحث النصي، ص: 183

[5] روبرت دي بوجراند، مدخل إلى علم النص، ص:30

فان الكاتب يبني نصه بناء معينا، ويختار من الوسائل اللغوية ما يلائم ويضمن تحقيق مقاصده.[1] لذلك يشترط بعض الباحثين ثلاثة شروط في تحقق قصدية النص هي:

- **الأول:** وجود المنتج أو المبدع الذي يعد نصا متماسكا مترابطا له أهداف محددة ومقاصد معينة ورسالة موجهة.
- **الثاني:** وجود متلق يجيد فك شفرات النص ويحلل معانيه وصولا إلى الأهداف الخفية غير المعلنة.
- **الثالث:** قناة تواصلية تربط منتج النص بمتلقيه.

وبحسب محمد مفتاح، فان القصدية تعني" الدلالة والفهم، فالدلالة تعني ضرورة توافر قصد التواصل من قبل المرسل، والفهم يعني الاعتراف من قبل المتلقي بقصد تواصل المتلقي"[2]، لذلك فان علماء اللسانيات يؤكدون ضرورة إحراز النص للمقبولية على المستوى الفعلي للعملية التواصلية، ولذلك يتساهلون في الإخلال بتحقيق التماسك والانسجام النصي في حال كان ذلك يحقق مقبولية النص ويؤدي قصدا أو هدفا ابتغاه المنتج،[3] فمن مميزات النص الأدبي عموما والشعري بشكل خاص قابليته للتأويل وتعدد المعنى مما يجعل من الحكم على معنى النص أمرا نسبيا لا يمكن الجزم به، مما يعني تعدد المعنى بتعدد القراءة للنص، وقد شاع في الدراسات النقدية مصطلح النص المفتوح والنص المغلق، ويعد الايطالي امبرتو ايكو من أوائل من استعمل هذا المصطلح في كتاباته حول النص والمعنى والتأويل، وجدير بالذكر :أن هناك إشارات كثيرة في التراث النقدي تدل على وعي النقاد القدامى بتعدد المعنى في النص، لعل من أبرزها قولهم:" المعنى في بطن الشاعر، حيث كانت تلحق الجملة

[1] الربيع بوجلال، القصد في التراث العربي وفي البحث النصي، ص:184

[2] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناص، المركز العربي،ط2، الدار البيضاء، 1986 ص:140

[3] عزة شبل محمد، علم لغة النص، ص:34

ببعض التفسيرات التي يعلم المفسر أنها مجرد احتمال لا يغلق الطريق على أي تفسير آخر"[1]

القصدية والمتلقي:

تتحكم في القصدية مجموعة من المبادئ وقد قدم غرايس Grice المبادئ وهي إستراتيجيات يدخل السبك والحبك ضمنها وهي:

أ-قاعدة الكم :اجعل إسهامك إخباريا بقدر ما يطلب ولا تجعل إسهامك الإخباري أكثر مما يطلب.

ب-قاعدة الكيف :حاول أن تجعل إسهامك صحيحا، لا تقل ما تعتقد أنه خطأ.

ج-قاعدة المناسبة :كن مناسبا ووثيق الصلة بالموضوع.

د-قاعدة الأسلوب :كن واضحا سهلا، وتجنب الغموض في التعبير، وتجنب الإسهام وكن مختصرا (تجنب الإطناب غير الضروري وكن منظما)[2].

هـ- مبدأ الهيئة: ويشمل على عدة طرق لترتيب النصوص وتقديمها، ويشمل بدوره على عدة محددات، فمنتج النص عليه أن يكون واضحا ويتجنب الإبهام، بالرغم من وجود دوافع معينة لذلك الغموض أحيانا... وعليه كذلك بتجنب الغموض، بأن يعجز عن تحديد المعنى المقصود، مما يتطلب منه القيام بإجراء أعمال تصحيحية لإزالة ذلك الغموض (كإعادة الصيانة مثلا) وهو ما قد يتعارض مع مبدأ الإعلامية ولا يؤيده، وعليه أيضا أن يكون مرتبا تلك المبادئ التي تشير إلى القاعدية التعاونية تقدم في دراسات الخطاب وصفا مضيئا لكيفية حصول المستمعين أو القراء على المعلومات من التلفظ بالرغم من أن تلك المعلومات قد لا تكون مذكورة بصورة صريحة، مما يسهم في بحث العلاقة بين الشكل والوظيفة، إن إتباع منتجي النصوص تلك المبادئ يعني محاولتهم تحقيق الاتصال بقدر أدنى من الخلل، ولكنهم

---

[1] ميلود مصطفى عاشور، القصدية والمقبولية بين التراث النقدي والدرس اللساني الحديث، مجلة جامعة المدينة العالمية، العدد17، ماليزيا، 2016.ص:357

[2] عزة شبل محمد، علم لغة النص:31

قد يقصدون إلى انتهاكها إذا دعتهم الحاجة، فالكاتب وفقا لتلك المبادئ عنصر مؤثر في تحديد مدى مقبولية النص.[1]

آليات القصدية عند البقاعي:

مقصدية الخبر والإنشاء في نظم الدرر:

ارتبطت الأفعال الكلامية في التراث العربي القديم بحقول معرفية عدة كالفلسفة، وعلم الأصول، والنحو، والبلاغة، إذ تناولها العلماء العرب تحت ما يعرف بالخبر والإنشاء، وكان لكل حقل من تلك الحقول نظرة مختلفة من حيث المصطلح، ومن حيث التقسيم، ومن حيث التمييز بين الخبر والإنشاء، ويقابل مصطلح الأفعال الكلامية عند المحدثين ما يعرف بالخبر والإنشاء عند البلاغيين العرب القدامى.

الخبر في تفسير نظم الدرر :

بحث البقاعي في الجملة الخبرية القرآنية وأبرز أغراضها البلاغية في أحيان كثيرة، وكان هدفه من دراسة الخبر ذكر الألوان البلاغية الكامنة في هذا الأسلوب المتنوع، لإيضاح المعاني القرآنية وإظهار إعجاز أسلوب القرآن الكريم.

❖ **الخبر لإظهار التحسر والاستغفار :**

ورد الخبر في القرآن الكريم على سبيل إظهار التحسر والندم في آيات كثيرة ومن ذلك قوله تعالى: (**قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى**) (آل عمران: 36) قال البقاعي: " ولما أخبر بما اقتضى مضي عزمها قبل الوضع أخبر بتحقيقه بعده فقال: فلما وضعتها قالت، أي تحسرا ذاكرة وصف الإحسان استمطارا للامتنان ... ولما كان مقصودها مع إمضاء نذرها بعد التحقق كونها أنثى والتحسر على ما فاتها من الأجر في خدمة البيت المقدس ... "[2]

---

[1] المرجع نفسه ص:31

[2] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 352/2، وينظر: الزمخشري :الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 425/1 .

واعتمادا على ما سبق بين كلام البقاعي خروج الآية إلى المعنى البلاغي وهو التحسر، فالمقام أصل المقال لأنَّ لكل مقام مقال، والخبر يتحدد غرضه في سياق الخبر المقرر له.

ومن الآيات القرآنية التي جاءت على أسلوب الإخبار وخرجت إلى معنى الاستغفار قوله تعالى: (قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) ({الأعراف:23)} فقوله (ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا) اعتراف منهما بالخطأ وهو إخبار جاء بصيغة الماضي لتأكيد وقوع الخطيئة بعد إنذارهما ونهيهما، قال البقاعي: (**قَالا رَبَّنَا**) نداء مضاف، والأصل يا ربنا، إن في حذف(يا) معنى التعظيم، فاعترفا بالخطيئة وتابا[1]. وأكد البقاعي الغرض البلاغي للآية، فقال (**رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا**) اعتراف وطلب للمغفرة والرحمة[2]، بأن أخرجناها من نور الطاعة إلى ظلام المعصية.

❖ **<u>الخبر لتحريك الهمة إلى ما يلزم تحصيله :</u>**

من الإخبار المقصود به تحريك الهمم إلى ما يلزم تحصيله قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً) (النساء:76).

والمضارع (**يُقَاتِلُونَ**) إخبار أريد بهِ الحض وتحريك الهمة نحو الجهاد في سبيل الله " ولما أخبر عن افتقارهم إلى الأنصار وتظلمهم من الكفار، استأنف الإخبار عن الفريقين فقال مؤكدا للترغيب في الجهاد ... وتنهيضاً لهم "[3]

ومن الخبر الذي يحمل مقتضى تحريك الهمم والحض قوله تعالى: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ

---

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 375/7 برهان الدين البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور،618/1 .

[2] المصدر نفسه 375/7.

[3] المصدر نفسه 329/5، برهان الدين البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور،588/1 .

رَفِيقا) {النساء: 69} فقوله تعالى:(وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً) إخبار فيه تحريك الهمم ليكون المسلم ممن يرافق ويصاحب الرفقاء الأربعة المذكورين في الآية، سمّى البقاعي الأسلوب في الآية الكريمة إخباراً وأخرجه بلاغياً ودلالياً لغرض استدعاء الطاعة، فقال: (**وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً**) الإشارة إلى الأصناف الأربعة المذكورة، والرفق يقع على الواحد والجماعة كالخليط، وهو مفرد بين الجنس ومعنى الكلام إخبار واستدعاء للطاعة التي ينال بها مرافقة هؤلاء "[1].

❖ **الخبر للتحذيـــر :**

ومن أسلوب الخبر في القرآن الكريم ما يخرج إلى غرض التحذير كقوله تعالى: (وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لاعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)(البقرة:220)، فقوله Y (وَاللَّهُ يَعْلَمُ ...) تحذير للذين يأكلون أموال اليتامى بأن الله يعلم فعلهم وسيعاقبهم عليه.

قال البقاعي:" والله يعلم المفسد من المصلح، ولما كان الورع مندوبا إليه محثوثا عليه لا سيما في أمر اليتامى كان التحذير بهذا المقام أولى "[2]، فالبقاعي أثبت غرض التحذير، أي يعلم المفسد لأموال اليتامى من المصلح لها، فيجازي كلاً على إصلاحه وإفساده.

❖ **الخبـر للتعظيـم:**

خرج الخبر إلى غرض التعظيم في قولـه تعالى: **(وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ)**(آل عمران:7) الآية أسلوب خبري قصد به تعظيم الله وانفراده بعلم تفسير المتشابه من القرآن الكريم، فالبقاعي يقول: (**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ**) إخبار بانفراد الله بعلم تأويل المتشابه من القرآن الكريم ، وذم لمن طلب علم ذلك من الناس "[3].

---

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر 312/5-322، برهان الدين البقاعي:مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور 602/1 .

[2] المصدر نفسه، 267/3 .

[3] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر 246/4 .

والبقاعي إنما أراد بلفظ (انفراد الله) تعظيم الله ولكنه استعمل لفظا يُفهَمُ من معناه تعظيم الله الذي أختص بتأويل المتشابه من القرآن الكريم[1]، وتفرد البقاعي في حديثه عن أغراض الخبر مع الإيجاز فهو يفسر الآية أحيانا بالغرض البلاغي وبلفظ واحد في حين نجده في مواضع أخرى يفصل ويتَّوع في تفسيره بين النحو والبلاغة والمعاني وفصاحة الآية.

و ما يلفت الانتباه في دراسة البقاعي للأسلوب الخبري في القرآن الكريم أنه يعتمد على السياق العام للآيات لفهم الخبر ومعانيه البلاغية، ويتكئ على النحو ومعانيه ضمن (نظرية النظم) لتوضيح معنى الآيات وعلائق ارتباطها فيما بينها.

الإنشاء في تفسير نظم الدرر :

الإنشاء الطلبي في تفسير نظم الدرر تناوله البقاعي بالدراسة والتحليل، فكلما وردت آية حملت نكتة بلاغية أشار إليها وفسر مقتضاها البلاغي وما يخرج إليه من مقاصد بلاغية وللتفصيل في هذا الكلام نبدأ بالحديث عن الأمر في تفسيره.

أولا: الأمـــر :

الأمر في البلاغة طلب فعل الشيء على وجه الاستعلاء، وقد يخرج إلى أغراضٍ بلاغية تعرف دلالاتها من سياق الكلام ومن تلك الأغراض وأهمها:[2]

- ✓ **الأمر للإباحـة:**

ومن الأمر للإباحة ما جاء في قوله تعالى: (كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (البقرة:168)، قال البقاعي: " ولما كانت رتبة الناس من أدنى المراتب في خطابهم أطلق لهم الإذن تلطفا بهم ولم يفجأهم بالتقييد فقال مبيحا لهم ما أنعم به عليهم (**كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ**) ولما كان في هذا الإذن تنبيه على أن

---

[1] المصدر نفسه، 447/4 – 448 .

[2] جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، شرح عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى ط2، مصر 1934م ص: 169 .

الكل له والانتفاع به يتوقف على إذن منه دلهم على أن فيه ما أباحه وفيه ما حظَّره فقال: (**حَلالاً**)[1]، فقد خرج الأمر في قسم من الآيات إلى معنى التهديد.

✓ **الأمـر للتعجيـز:**

ويأتي الأمر على سبيل التعجيز بأمر المخاطب على فعل أمر لا يمكن أن يصل إليه، ومن الأمر التعجيزي قوله تعالى: (نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) {الأنعام:143} ففعل الأمر (نَبِّئُونِي) أمر خرج إلى معنى التعجيز قال البقاعي: " ولما علم أنه لا نظام لهم فعلم أنهم جديرون بالتوبيخ، زاد في توبيخهم فقال: (نَبِّئُونِي) أي اخبروني عمّا حرَّم الله من هذا إخباراً جليلا عظيماً، ولما كان هذا الإخبار تعجيزا لهم وتوبيخا قال: (بِعِلْمٍ) أي أمر معلوم من جهة الله لا مطعن فيه"[2] .

نلاحظ من كلام البقاعي أنه جمع بين التعجيز والتوبيخ فهم يوبخون لعجزهم عن التأويل. ومن الأمر التعجيزي قوله تعالى: (فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين) (لأعراف:194) اصطلح البقاعي على التعجيز في تفسيره للآية السابقة بعد أن أطال في تفسيرها لغويا ذاكرا آراء الكسائي وأهل الكوفة والبصرة واعتراضه للقراءات التي وردت فيها المشهورة والمتواترة والضعيفة فقال: " وليس الأمر هنا كذلك، فالإثبات لمماثلتها لهم في مطلق العجز، والنفي لمساواتهم لهم فيه ... ولما اثبت عجزهم وأنهم أمثالهم، دلَّ عليه وعلى أنهم دونهم بأسلوب إنكار وتعجيز وتعجيب مفصلا لبعض ما نفاه عنهم "[3].

فالبقاعي في تفسيره الآية السابقة يصرح بالأمر على جهة التعجيز، ، فالأمر على الأصل موضوع لطلب الفعل استعلاء فهو الكل والغرض البلاغي جزء من كل ومن الكل ما يخرج جزئيا إلى التسخير.

✓ **الأمر للتسخير:**

---

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر 316/2

[2] ينظر: برهان الدين البقاعي: نظم الدرر: 395/7 ، برهان الدين ابن عمر البقاعي:مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: 238/2 .

[3] ينظر: برهان الدين البقاعي: نظم الدرر 196/8 .

ورد الأمر لغرض التسخير في قوله تعالى: (**كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**) (البقرة: 65)، وعبر به عن نقلهم من حالة إلى حالة إذلالاً لهم، فهو أخص من الاهانة[1]، وفسر البقاعي الآية فقال: " (**قِرَدَةً خَاسِئِينَ**) أي صاغرين مطرودين جمع خاسئ من الخسئ وهو طرد بكرهٍ واستخباث "[2] .

مما سبق نستنتج أنّ البقاعي قد ذكر إخراج الأمر إلى غرضه، ولكن مبيناً وجهه اللغوي.

✓ **<u>الأمـر للتكويـن:</u>**

وهو اعم من التسخير ومنه قوله تعالى: (وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (البقرة:117) .

قال البقاعي : " (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) من الكون وهو كمال البادي في ظاهره وباطنه (فَيَكُونُ) فهو منزه عن حاجة التوالد وكل حاجة، ورفع (َ يَكُونُ) للاستئناف أي فهو يكون، أو العطف على (يَقُول) إيذانا بسرعة التكوين على جهة التمثيل، ومن قال بالأول

[1] محمد بن عبد الرحمن القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح ، محمد عبد المنعم خفاجي، ج1، الشركة العالمية للكتاب، ط3، بيروت 1989م ص: 144، وينظر،عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: 892/2 .

[2] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 465/1، وينظر: الزمخشري :الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: 286/1.

منع العطف على (يَقُولُ) لاقتضاء الفاء أن القول مع التكوين فيلزم قدم التكوين "[1]، ثم يضيف القول أن فائدة التعبير به مضارعا تصوير الحال والإرشاد إلى أن التقدير: (كُنْ فَيَكُونُ)، لأنه متى قضى شيئا قال له: (كُنْ فَيَكُونُ)[2].

✓ **الأمـر للنـدب:**

وتحدث عن هذا النوع ابن فارس والسبكي والسيوطي[3]. ومنه قوله تعالى: (**وَإِذَا** قُرِئَ القرآن فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا) (لأعراف: 204). قال البقاعي: " ولما كان ظاهر الآية وجوب الإنصات لكل قارئ على كل احد، رغب فيه تعظيما لشأنه وحثا عليه فقال: (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)[4] .

ثانيا: النهـــي:

يُعَدّ النهي من أنواع الطلب، وهو طلب الكف عن الفعل استعلاءً، قال السكاكي: " للنهي حرف واحد وهو (لا) الجازم في قولك (لا تفعل)، والنهي محذو به حذو الأمر في أنَّ أصل استعمال (لا تفعل) أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور فإنْ صادف ذلك أفاد الوجوب وإلا أفاد طلب الترك فحسب " [5]. فالوجوب والإلزام شرطان

---

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر 128/2 – 129، وينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: 307/1.

[2] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 130/2، وينظر، البيضاوي الشيرازي، أنوار التنزيل في أسرار التأويل، 84/1 .

[3] احمد بن زكريا احمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق احمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1977م ص: 185، بهاء الدين السبكي :عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: 321/2.

[4] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر 209/8، برهان الدين ابن عمر البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور 388/2 .

[5] السكاكي أبا يعقوب محمد بن علي ، مفتاح العلوم، 152 – 153. وينظر، محمد بن عبد الرحمن القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح د. محمد عبد المنعم خفاجي: 244، وينظر:سعد الدين

يلازمان أسلوب النهي ويعنيان وجوب إلزام المخاطب بما ينهى عنه، وقد يخرج النهي إلى معان مجازية كثيرة تعرف من السياق وقرائن الأحوال منها:

- **النهي للدعاء :**

تأتي صيغة النهي للدعاء من الأدنى إلى الأعلى كقوله تعالى: (رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا) (البقرة:286)، وذكر السيوطي[1] هذا النوع في قوله تعالى: (رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا) {آل عمران:8}، فسر البقاعي الآية على سبيل الدعاء فقال: "ولما بشرهم بذلك عرّفهم مواقع نعمه في الدعاء، رتّبه على الأخف فالأخف على سبيل التعلّي إعلاما بأنه لم يؤاخذهم بما اجترحوه نسيانا ولا بما قارفوه خطأً ... إذ كان I هو الداعي عنهم، وليكون الدعاء كله محمولا على الإصابة ومشمولا بالإجابة " [2].

- **النهي لبيان العاقبة والمجازاة:**

ويأتي النهي لهذا الغرض نحو قوله تعالى: (وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) (آل عمران:169)، قال البقاعي: " فأعلمنا I بهذا تسلية وحسن تعزية أن لم يفت منهم إلا حياة الكدر التي لا مطمع لأحد في بقائها وان طال المدى، وبقيت لهم حياة الصفاء التي لانفكاك لها آخر لنعيمها بغم يلحقهم ولا فتنة تنالهم ولا حزن يعتريهم ولا دهش يلم بهم في وقت الحشر ولا غيره ... "[3]

ثالثا: التمنـــي:

التفتازاني :تهذيب السعد ترتيب لكتاب (مختصر المعاني) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد:ج3 مطبعة حجازي ط3 مصر 1950م ص:43

[1] عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 893/2 .

[2] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر 178/4 .

[3] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 121/5 – 122 .

يُعدَّ التمني ضربا من ضروب الإنشاء الطلبي كما سبق ذكره وهو طلب حصول شيء على سبيل المحبة من غير طمع في حصوله كما في الأمر، فالأمر قد يحمل معنى التمني المطموع في حصوله نحو قولنا: أيها الليل الطويل انجلِ، أما صيغة التمني فلا تحمل معنى الطمع لأنه لا يشترط في التمني الإمكان والوقوع ، ويخرج التمني مجازيا إلى معانٍ مختلفة منها:

- **<u>التمني للتحسر والأسف:</u>**

يأتي أسلوب التمني حاملا معه غرض الحسد بعد فوات الأوان كأن يرى الخاسر الفائز فيقول:(يا ليتني كنت معه) وهنا يتحقق عند عدم الإمكان واستحالته نحو قوله تعالى: (وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً) (النساء:73) .

فالبقاعي حمّل أسلوب التمني غرض التحسر والندامة إذ قال: " ولّما كان تحسره إنما هو على فوات الأغراض الدنيوية أكد قوله: (**لَيَقُولَنَّ**) أي في غيبتكم ... (**يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ**) أي بمشاركتهم في ذلك " [1]، وتقرّره هذا مستمد من قرائن التمني في الآية الكريمة.

نستنتج أنَّ التمني في الآية الكريمة خرج إلى معنى التحسر والأسف والندامة لهؤلاء المنافقين الذين لم ينفروا ويجاهدوا في سبيل الله، واصطلح البقاعي على التحسر والندامة مخالفا الزمخشري والقرطبي والبيضاوي، وذكر أبو حيان وجه الرفع والنصب أما وجه النصب فيفيد تمنياً غرضه الندامة والحسد لأنَّ الفوز متعلق بتمني الجهاد بعد ذهاب السبيل ومنه قوله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ) (البقرة:167) إذ قال عنها البقاعي: "متمنين للمحال ندما على إتباع من لا ينفع حيث لا ينفع الندم... ولمّا كانت لو بمعنى التمني نصب جوابها فقال: (فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ) أي فيه إنباء عن تأسفهم على إتباع من دون ربهم ممن اتبعوا، وإجراء لتأسفهم على وجه متوهم..."[2] وهو ما ذهب إليه الزمخشري

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 325/5 .

[2] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 310/2 – 311 .

بالقول: (لو) في معنى التمني، ولذلك أجيب بالفاء الذي يجاب به التمني كأنه قيل: ليت لنا كرة فنتبرأ منهم..."[1] وهذا ما ذهب إليه البيضاوي بنصه من دون تغيير"[2].

- **التمني للذم والوعيد:**

نحو قوله تعالى:(وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِين) (الأنعام: 27) فسر البقاعي التمني بمعنى الوعيد فقال:" ولما جعل عدم إيمانهم في هذا الشيء من الآيات موصلا إلى غاية من الجهل ... ختم الآية من عظيم التهديد، واستشرفت النفس إلى معرفة حالهم عند ردهم إلى الله والكشف عمّا هُدِّدوا به ... فقالوا تمنياً للمحال يا ليتنا نرد إلى الدنيا "[3]

- **التمني للنجدة والخلاص:**

نحو قوله تعالى: (فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا) (الأعراف: 53)، وهذا التمني اظهر المُتمنّى المستحيل – لكمال العناية به – في صورة الممكن القريب الحصول المطموع في وقوعه لشدة حاجتهم للشفيع وبحثهم عن النجدة، والطمع هاهنا لا يرافق الإمكان لأننا قلنا أنَّ التمني لا يرافقه الطمع الممكن، فهو طمع مستحيل: قال البقاعي: " ثم سببوا عن جواب هذا الاستفهام الثاني وقولهم: (فنعمل) للتمني "[4]، وكذلك اقرّ البقاعي أيضا لفظ الخلاص فقال: " والمعنى انه لا سبيل لنا إلى الخلاص إلا هذين السببين "[5].

رابعا: الاستفهام :

الفهم لغة: معرفتك الشيء بالقلب، وفهمت الشيء، عقلته وعرفته، وأفهمه الأمر وفهمه إياه: جعله يفهمه، وأستفهمهُ سأله أن يفهمه، وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهمته

[1] الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 327/1 .

[2] البيضاوي الشيرازي ، أنوار التنزيل في أسرار التأويل، 99/1.

[3] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر نظم الدرر،85/7 – 86 .

[4] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر 421/7 .

[5] المصدر نفسه، 412/7 .

تفهيما[1]، وقد يخرج الاستفهام مجازيا إلى أغراض بلاغية تعرف من سياق الكلام، وأهم هذه الأغراض وأشهرها:

- **الاستفهام للاستبطاء:**

من معاني الاستفهام الاستبطاء: نحو(كم دعوتك ؟) وعليه قوله تعالى: (**حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**) (البقرة: 214) فقوله: كم دعوتك استفهام خرج إلى معنى استبطاء المخاطب في تلبية الدعوة، وهو مجاز مرسل علاقته السببية، والقرينة حالية، وبيانه أنَّ الاستفهام مسبب عن الجهل بعدد الدعوة، والجهل بالعدد مسبب عن كثرتها وكثرتها مسببة عن الاستبطاء، وكذا أطلق اسم المسبب وأريد السبب وهو الاستبطاء.

وفي الآية الكريمة أيضا خرج الاستفهام عن زمان الوعد إلى الاستبطاء في النصر. قال البقاعي: " ولما كان معنى الكلام طلب النصر واستبطاء الأمر أجابهم تعالى إجابة المنادي في حال اشتداد الضر بقوله (**أَلا**)، استفتاحاً وتنبيهاً وجمعاً للقلوب أنَّ نصر الله قريب"[2]

علّل البقاعي غرض الاستبطاء، وكذلك فعل الزمخشري، وإن لم يذكر الغرض ولكن المعنى هو نفسه، وسبب تعليلهم الغرض هو ما نالهم من الشدة والضجر من الابتلاء، وكذلك اقرّ القرطبي وأبو حيان على الغرض نفسه، ولم يذكر ابن جزي الاستبطاء.

- **الاستفهام للتعجب:**

ومن الاستفهام التعجبي قوله تعالى: (**أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ**) (آل عمران: 40) ولأنها في الآية وردت بمعنى (كيف) يكون لي غلام فهي تستعمل مرة بمعنى (كيف) كقوله تعالى (**يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا**) (آل عمران:37) وتارة بمعنى(متى) مثل قولنا (أنّي تأتى؟)، ففي قوله تعالى: (**أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ**) استفهام بمعنى التعجب، فكيف أُوهَبُ غلاماً وأنا على كبري هذا .

---

[1] ابن منظور، لسان العرب مادة (فهم) .

[2] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر 3/210-211.

قال البقاعي: " ولما كان مطلوبه ولداً يقوم مقامه فيما هو فيه من النبوة التي لا يطيقها إلا الذكور الأقوياء الكملة، وكانت العادة قاضية بأن ولد الشيخ يكون ضعيفاً لا سيما إن كان حرثه مع الطعن في السن في أصله غير قابل للزرع أحب أن يصرح له بمطلوبه فقال (**أَنَّى**) أي كيف ومن أين يكون لي غلام "[1] .

فالبقاعي لم يصرح بمعنى الاستفهام وإنّما فسَّر المعنى النفسي لكلام سيدنا زكريا، وذهب الزمخشري في تفسيرها أنها " استبعاد من حيث العادة "[2]، ولم يعبر عنها بشيء، أما القرطبي فقد ذكر معنى الاستفهام ولم يذكر الغرض البلاغي الذي ذهبت إليه الآية[3].

- **<u>الاستفهام للتوبيخ:</u>**

ويقتضي أنَّ ما بعدها واقع وانَّ فاعله ملوم[4]، ومن الاستفهام التوبيخي قوله تعالى: (**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ**)(البقرة: من الآية:28)، قال البقاعي: " صرف وجه الخطاب عن المواجهة من الحق تعالى وأجرى على لسان لؤم وإنكار، فجاء هذا الاستفهام لإيضاح انقطاع العذر في التمادي على الكفر، وجاء بلفظ كيف لقصور نظرهم على الكيفيات المحسوسة فان كيف مدلولها استفهام عن عموم الأحوال التي شأنها أن تدرك بالحواس "[5].

فالبقاعي يتعمق في سبر المعاني، فيحمل (**كَيْفَ**) على التوبيخ أوالإنكار، ويتحدث عن أسلوب الالتفات من الغيبة إلى الخطاب الاستفهامي، ويراهُ أسلوباً أكثر ردعاً، وفائدتهُ

---

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 367/4 .

[2] الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 158/1

[3] محمد بن احمد الأنصاري القرطبي ،الجامع لأحكام القرآن، 74/3 .

[4] القاضي عبد الجبار الأسد آبادي، المغني في أبواب التوحيد والعدل، دار الكتب المصرية 1960، ص:27

[5] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر 213/1

الاستمرارية لصيغة المضارع، وهو مما لم نجده عند الزمخشري، إذ فسر الآية بالقول: إنكار وتعجب[1].

- **الاستفهام للتسوية:**

وهو الاستفهام الداخل على جملة يصح حلول المصدر عليها[2]، نحو قوله تعالى: (**سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**) (البقرة: من الآية6)، قرر البقاعي غرض التسوية فقال: (**سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ** ...) أي إنذارك في هذا الوقت بهذا الكتاب (**أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ**) أي وعدم إنذارك فيه وبعده، وقد أنسلخ عن (**أَم**) والهمزة معنى الاستفهام ... وقد سلخت عن معناه إفهاما لأنّهم توغلوا في الكفر ... ولما كان كأنه قيل في أي شي استوت حالتهم قيل في أنهم (**لا يُؤْمِنُونَ**) "[3]، فالبقاعي يذكر غرض التسوية وهو يتابع في الأغلب صاحب الكشاف.

نستنتج مما سبق أن الاستفهام خرج عند البقاعي إلى معنى التسوية، واصطلح عليه هذه ابرز الأغراض التي ذكرها البقاعي للاستفهام، وهناك أغراض بلاغية أخرى، عدّها ابن هشام غير صحيحة لم نذكرها خشية الإطالة[4].

مقصدية العدول والالتفات في نظم الدرر:

الالتفات من الفنون البلاغية التي وقف عليها الكثير من الدارسين قديماً وحديثاً، وهو مؤشر دلالي بارز، اختصت به العربية دون غيرها،[5] ذلك أنه يقوم على مغايرة السياق

---

[1] الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 269/1.

[2] القاضي عبد الجبار الأسد آبادي، المغني في أبواب التوحيد والعدل 1:24، ينظر، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 887/2.

[3] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر 93/1-94 . ينظر، الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 154/1 .

[4] القاضي عبد الجبار الأسد آبادي، المغني في أبواب التوحيد والعدل، 27/1 .

[5] ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق احمد الحوفي وبدوي طبانة، ج2، منشورات دار الرفاعي، ط2، الرياض1983م ص:181

التركيبي المتداول في بناء النص أو الجملة والعدول به إلى مستوى تركيبي آخر لفائدة اقتضتها دلالة ذلك السياق الجديد .

وعرف هذا الأسلوب عند العلماء منذ عهد مبكر، وقد أدى ذلك إلى افتنانهم به، وتصرفهم فيه، حتى سمّوه بتسميات عِدّة تكاد تتفق في المعنى اللغوي لهُ، فالفراء سماه (الانتقال) في مواضع من كتابهِ،[1] أما أبو عبيدة ، فقد عدّه باباً من أبواب المجاز، إذ أطلق عليه الترك والتحويل.[2] واصطلح عليه ابن قتيبه مخالفة ظاهر اللفظ معناه.[3] وقد تناوله اغلب علماء العربية بتسميات مختلفة لكنها تدور في فلك واحد وهو الالتفات أو العدول.[4] واختلفت آراء البلاغين في تناول المصطلح فمنهم من تناوله في علم البديع كابن المعتز، ومنهم من ذكره في البيان كابن الأثير، أو ثالث عده من علم المعاني كالعلوي[5]

و اهتم البقاعي بهذا الأسلوب وأكثر من ذكره، إذ ما من آية تحمل في طياتها التفاتاً أو عدولاً إلا وضع هذا الأسلوب وسببه، مما جعله يهتم في تفسيره للكشف عن المعاني البلاغية الكامنة في إيحائية النص وبنيته وذلك من خلال الكم الهائل الذي حشد في تفسيره لهذا الأسلوب وما يخرج من أغراض بلاغية .

فقد حدد البقاعي أهمية أسلوب الالتفات ومن ثم بين الأغراض البلاغية التي يؤديها ومنها المهابة والتعظيم لدى المتلقي كما في قوله تعالى: (فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي

---

[1] ينظر،أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، معاني القرآن وإعرابه،تحقيق، عبد الجليل عبده شلبي،ج1 عالم الكتب، بيروت ص: 60 .

[2] أبي عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، علق عليه فؤاد سزكين، ج1، مطبعة الخانجي، ط،2 مصر 1981م ص: 311 ، و 239/2.

[3] عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد احمد ، دار التراث، ط2، القاهرة 1393هـ ص:89

[4] قاسم فتحي عامر، فن الالتفات في البلاغة العربية (رسالة ماجستير)، كلية الآداب جامعة الموصل 1988م ص: 13 – 21 .

[5] المرجع نفسه، ص: 156 .

اللَّـهُ الْمَوْتَى) (البقرة:73). قال عنها: " منبهاً بالالتفات إلى أسلوب العظمة على ما في الفعل المأمور به منها: (فَقُلْنَا) أي بما من العظمة ..."[1].

وقد بين البقاعي أن الالتفات يأتي لغرض التقريع والتوبيخ وهذا من الأساليب البلاغية، إذ حدد كثيراً من الآيات في سياقها القرآني عادلاً أو ملتفتاً من أسلوب لآخر غرضه التوبيخ فمن أمثلته قوله تعالى: (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّـهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ) (البقرة:28)، قال في تفسيرها: " ولما دعا سبحانه إلى التوحيد وذكر حال الفريقين ... التفت إلى تبكيت المدبر، لعله يستبصر وما أبدع ذلك عقب (الخاسرين) بقوله على طريق الالتفات المغضب ،المستعطف المعجب (**كَيْفَ**) ... وصرف الخطاب عن المواجهة من الحق تعالى، واجري على لسان لؤمٍ وإنكار، فجاء لفظ كيف لقصور نظرتهم على الكيفيات المحسوسة " [2].

ويأتي الالتفات عند البقاعي لغرض التفخيم والتشريف والإجلال كما في قوله تعالى: (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّـهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ)(آل عمران:36)، وقد بين البقاعي أنها عبرت بالاسم الأعظم موضع ضمير الخطاب إشارة إلى سؤالها في أن يهبها، ويرزقها من جلاله، ولمّا تم ما قالته عند الوضع، أتم I الخبر عن بقية كلامها، وأنها عدلت عن مظهر الجلال إلى الخطاب، وقرئ بتسكين التاء الذي هو عدول لغاية الإشراف.[3]

ويأتي الالتفات في تفسيره لغرض إشعار بعلة الحكم في مثل قوله تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ) (البقرة:143) قال: "التفات إلى الغيبة في

---

[1] ينظر: برهان الدين البقاعي: نظم الدرر 276/1-278 . ينظر: الزمخشري :الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:289/1 .

[2] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر 212/1-213 .

[3] المصدر نفسه، 352/4. ينظر،شرف الدين الحسين بن محمد الطيبي: التبيان في البيان، تحقيق د. توفيق الفيل ، وعبد اللطيف لطف الله : 254/1 .

جملة أنباء بأن القبلة مجعولة، أي مصيرة عن حقيقة وراءها ابتلاء، بتقليب الأحكام ليكون تعلق القلب بالله الحكيم لا بالعمل المحكم "[1].

ومنه قوله تعالى: (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) (آل عمران:179)، قال البقاعي: " وأظهر موضع الإضمار لإظهار شرف الوصف تعظيماً لأهله فقال: (لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ) الثابتين (عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) عادلاً الخطاب من الاختلاط بالمنافقين، ومن قاربهم مع احتمال أن يكون الرجوع للعلة التي ذكروها في الظاهر ".[2]

كما يأتي الالتفات عند البقاعي للاختصاص، كما في قوله تعالى: (مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (البقرة:23). قال البقاعي: "وأشار إلى عظمة المنزل عليه بالنون، التفاتاً من الغيبة إلى التكلم فقال: (**مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا**)، أي الخالص لنا الذي لم يتعبد لغيرنا قط، فلذلك استحق الاختصاص "[3].

والبقاعي استعمل لفظة العدول، والالتفات، والانتقال في الأمثلة التي أوضحها في هذا الفن البلاغي، ويعد الالتفات من أهم الأساليب البلاغية التي أكثر من الإشارة إليه، وهو يتبع فيه رأي علماء المدرسة البيانية في قسم كبير من الأمثلة التي عالجها، وهو مكثر فيه كثرة مفرطة، وقد ذكر البقاعي أقسام الالتفات ولكن أرتئينا الخوض في خروجه للأساليب البلاغية التي يؤديها والتي ذكرناها في هذا المبحث مع أن البقاعي لم يغفل عن ذكر أقسام الالتفات والتي أبرزها الالتفات من الغيبة إلى الخطاب[4] ومن الغيبة إلى التكلم[5] ومن الخطاب إلى الغيبة[6]، ومن التكلم إلى الغيبة[1] ومن التكلم إلى الخطاب[2]

---

[1] المصدر نفسه، 212/2 – 213 .

[2] برهان الدين البقاعي: نظم الدرر 135/5–136 وينظر: الكشاف: 483/1 .

[3] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر ، 161/1 . وينظر: 177/1 و 85/2 و 23/7 . .ينظر: الزمخشري :الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:238/1.

[4] المصدر نفسه، 32/1 .

[5] المصدر نفسه، 17/ 157.

[6] المصدر نفسه، 98/9 .

مقصدية المجاز في نظم الدرر:

يذكر البقاعي اسم المجاز العقلي، ونراه يذكر لفظ الإسناد أحياناً أو المجاز عموماً، وهذا النوع من المجاز ورد في تفسيره للقران ومن المعروف أن هناك علاقات للمجاز العقلي وهذه العلاقات هي :

- الفاعلية: وفيها يسند الوصف المبني للمفعول إلى الفاعل، أي يستعمل اسم المفعول مكان اسم الفاعل، وقد ورد هذا الأسلوب في غير ما موضع من القران الكريم وتناوله البقاعي بتفسير كقوله تعالى: (وَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً) (الإسراء:45)، قال البقاعي: " (حِجَاباً مَسْتُوراً) مالئاً لجميع ما بينك وبينهم، مع كونه ساتراً لك عن أن يدركوك حق الإدراك ... وذلك ابلغ في العظمة، وأعجب في نفوذ الكلمة ومستوراً بمعنى ساتر "[3]

نستنتج من كلام البقاعي أنّ هناك قولين في تفسيرهما أحدها: أن الحجاب مستور عنكم لا ترونه، والآخر إنّ الحجاب ساتر عنكم ما وراءه، فالمعنى الأول مأخوذ على الحقيقة، والمعنى الثاني على المجاز، أي الحجاب ساتر، فعبر عن اسم الفاعل ساتر باسم المفعول "مستور" والبقاعي يذهب في تفسيره للآية على منهج المفسرين [4]

ومن المجاز بالمفعولية قوله تعالى:(نحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إذ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذ هُمْ نَجْوَى إذ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً) (الاسراء:47)، فلفظ (مَسْحُوراً) استعمل في الآية الكريمة استعمال اسم الفاعل، أي رجلاً ساحراً، وفيه أوجه عبر عنها البقاعي في مواضع مختلفة من تفسيره بقوله: "وسيأتي في آخر السورة استعمال اسم المفعول

---

[1] المصدر نفسه، 128/8- 129 .

[2] المصدر نفسه، 110/16 .

[3] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر،428/11 .

[4] الزمخشري :الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل 451/2 –452 .

موضع اسم الفاعل " [1]، ثم استأنف قوله "... أي فكل ما ينشأ عنك فهو من آثار السحر الذي بك خيال لا حقيقة له، وأنت في الحقيقة مسحور، ولوجود السحر عنك ساحر كما يقال ميمون –بمعنى– يأمن وربما أطلقوا اسم المفعول مريدين اسم الفاعل، مبالغة في انّه كالمجبر على الفعل " [2].

فالبقاعي لم يصرح باسم المجاز، بل ذكر علاقته الفاعلية، وإطلاقه باستعمال اسم المفعول موضع اسم الفاعل، وهذا يدل على إنّ البقاعي مدرك قيمة هذه التقاسيم لأنواع المجاز.

- المكانية: وفيها يسند الفعل إلى المكان، وهو في الحقيقة مبني للفاعل كقوله تعالى: (وبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) (البقرة:25) قال البقاعي: " من تحتها، أي من تحت غرفها، والتحت ما دون المستوى والأنهار جمع نهر، وهو المجرى الواسع للماء، فإسناد الجري إليها مجاز، والتعريف لما عهده السامع من الجنس ويحتمل أن يكون المعنى إنّ أرضها منبع الأنهار" [3] وهي من المجاز، فتحليل البقاعي للمجاز العقلي يذكر لفظ الإسناد ومرة يذكر العلاقة وهي المكانية والغالب لا يذكرها ومن علاقات المجاز العقلي علاقة السببية.
- السببية:وفي هذه العلاقة المجازية يسند الفعل أو ما في معناه إلى سببه ومنه قوله تعالى: (فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ) (آل عمران: من الآية148) إذ قال البقاعي في تفسيرها " فلما تمّ الثناء على فعلهم وقولهم، ذكر ما سببه لهم ذلك

[1] برهان الدين البقاعي: نظم الدرر 437/11 .

[2] المصدر نفسه،526/11

[3] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر 192/1 ينظر، الزمخشري:الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 258/1– 259

من الجزاء فأتاهم الله ثواب الدنيا... وحسن ثواب الآخرة أي مجازاً بتوفيقهم إلى الأسباب في الدنيا." [1]

وبهذا التوجيه البلاغي نجد البقاعي قد طبق مفهوم المجاز وذكر علاقاته، وأحسن استقراء المصطلح البلاغي في توجيهه لمعاني الآيات القرآنية.

المجاز المرسل عند البقاعي:

تناول البقاعي المجاز المرسل بالتحليل، والدراسة للوصول إلى المقتضى البلاغي لهذا النوع أو ذاك، ومن أنواع المجاز التي ذكرها في تفسيره:

- إطلاق اسم الكل على الجزء:

أورد التعبير القرآني كثيرا من هذا النوع لنكات بلاغية ولطائف بيانية، والألفاظ لا تستعمل كما وضعت لها في الأصل، بل تستعمل مجازاً، وقد أشار البقاعي إلى هذا النوع من المجاز عند تفسيره لقوله تعالى: (يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذانهم) (البقرة: من الآية19) قال البقاعي: " ولما تم مثل القران استأنف الخبر عن حال الممثل لهم والممثل بهم حقيقة ومجازاً فقال : (يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ)، أي بعضها ولو قدروا لحشوا الكل لشدة خوفهم " [2]

فالبقاعي يذهب في تفسيره لبيان هول الموقف، وان لم يشر إلى الغرض البلاغي الذي خرجت إليه هذه الآية، وهو المبالغة ولكن سياق تفسيره للآية دلنا على موقف المبالغة، بقوله:(لشدة خوفهم)، ويلاحظ أنّ البقاعي قد أشار إلى علاقة الجزء بالكل باصطلاح الألفاظ أنفسها.

- إطلاق السبب على المسبب :

ومنه قوله تعالى:(أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا) (البقرة: من الآية282)

---

[1] المصدر نفسه، 88/5 .

[2] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر،123/1، ينظر، الزمخشري :الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل 217/1.

إذ فسّرها بقوله: " إنما جعلت المرأتان للتذكير إذا وقع الضلال لا ليقع الضلال، فلما كان الضلال سببا للتذكير أقيم مقامه " [1].

ومنه أيضا (فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ) (البقرة: من الآية36) فالمخرج في الحقيقة هو الله Y وسبب ذلك أكل الشجرة، وسبب أكل الشجرة وسوسة الشيطان، ومقاسمته على انه من الناصحين، قال البقاعي: " وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما أو زوالهما عنها (فَأَخْرَجَهُمَا أي فتسبب عن إيقاعهما في الزلل الناشئ عن تلك المواقعه، انه أخرجهما مما كانا فيه من النعمة العظيمة التي تجل عن الوصف ... و حكمه ذلك أي نسبة هذا الذنب إلى الشيطان بتسبيبه "[2] فالمدقق في كلام البقاعي يرى انه قد يشير إلى المجاز المرسل، ويذكر نوعه ويكتفي بالقول بالسببيه وهو الغالب عنده .

- تسمية الشيء باسم ما كان عليه:

نحو قوله تعالى: (وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ) (النساء: من الآية2) أي الذين كانوا يتامى، إذ لا يتم بعد البلوغ، وقيل، بل هم يتامى حقيقة "[3]،

قال البقاعي في تفسير الآية السابقة قوله تعالى: " (وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُم) أي هيئوها بحسن التصرف فيها لأنّ تؤتوهم إياها بعد البلوغ – كما يأتي، أو يكون الإيتاء حقيقة واليتم باعتبار ما كان، أو باعتبار الاسم اللغوي وهو مطلق الانفراد. [4] وتفرّد البقاعي إذ سمى المجاز باعتبار ما كان، وهذا يدل على أن البقاعي حدد علاقات المجاز، وصرّح بها، وهذا إن دل على شيء يدل على عمق نظرته للمجاز في القران الكريم.

---

[1] المرجع نفسه، 155/4.

[2] محمد بن احمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،286/1 .

[3] جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، 757/2 .

[4] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 177/5 .

- تسمية الشيء باسم ضده:

ونعني بهذه العلاقة استعمال كلمة في معناها المعاكس لها، هذا المعنى يجب أن يفهم من سياق الكلام، وغرض هذه العلاقة إما المدح والاستحسان، أوالذم والسخرية، نحو قوله تعالى:(فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (آل عمران:الآية21)، والبشارة حقيقة في الخبر السار[1].

فسّر البقاعي الآية لما ذكر الله Y جزاء الكافرين، ذكر جزاء المؤمنين أيضا، والتبشير الإخبار بما يظهر أثره على الجلد، والبَشَرَة بأوّل خبر يرد عليك، ثم الغالب أن يستعمل في السرور، والبشرى إظهار غيب المسرّة بالقول. [2]

والقارئ لكلام البقاعي حول الآية السابقة يجده يشير إلى معنى التضاد، فقد نصّ في تفسيره على أنّ البشارة تستعمل في السرور، أما استعمالها في سورة آل عمران فجاءت على سبيل التضاد.

إن دراسة البقاعي للمجاز المرسل وعلاقاته لم تقم على أساس إطلاق المسميات على هذه العلاقات، وربما لم يشر في الغالب إلى تسمية المجاز بالمجاز المرسل، وإنما كان جُلّ اهتمامه منصباً على إخراج المعنى الموجود في كل آية .

المقبولية :

المقبولية لغة:

قال ابن منظور في لسان العرب:"على فلان قبول,إذا قبلته النفس، وهو –أي القبول– بفتح القاف: المحبة والرضا بالشيء، وميل النفس إليه، والقبول الحسن والشارة"[3] وفي قوله تعالى"فتقبلها ربها بقبول حسن" (آل عمران:37) أي، بتقبل حسن، يقال:قبلت الشيء قبولا:إذا

---

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 300/4 وينظر،جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، 759/2 .

[2] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 1 /188 .

[3] ابن منظور، لسان العرب، ج11.ص،54

رضيته،[1] وفي المعجم الوسيط: القبول الرضا بالشيء وميل النفس إليه، فيتضح مما سبق أن دلالة القبول في اللغة تدور حول الرضا، والاستحسان وميل النفس للشيء وتقبلها له.

أما في الاصطلاح :

المقبولية هي تسمية تطلق على الاستعمال اللغوي، المقبول من حيث النحو والصرف، في انه يتطابق مع ما جاء في القواعد اللغوية المرعية والمقبولة، وهي تقابل التقعيدية،[2] وبحسب سعيد علوش:"لا يمكن الحسم في مقبولية جمل ما بنعم أو لا، لكونها حدسية في اللغة كما تمتلك استقلالا دلاليا بحيث تظل الجمل غير المقبولة دالة في تواصلها،[3] لذلك ترتبط المقبولية بأحوال المتلقين وثقافاتهم، فما يكون مقبولا عند البعض قد لا يكون كذلك عند غيرهم.

مفهوم المقبولية في التراث النقدي والبلاغي :

يظهر اهتمام البلاغيين والنقاد القدامى بالمقبولية من خلال حرصهم على ضرورة مراعاة أحوال المتلقين، ولعل ذلك الاهتمام كان امتدادا لاهتمام الشعراء والخطباء أنفسهم وحرصهم على أن يقع كلامهم موقع القبول، وان تحظ قصائدهم باستحسان السامعين، وتنال رضاهم، إذ تجلى وعي الشعراء القدامى بالارتباط الوثيق بين القصدية والمقبولية من خلال عنايتهم بكل ما من شانه أن يحقق نجاح العملية التواصلية، ويعزز من عملية قبول النص، والتأثر به، من ذلك عنايتهم بالمطالع، وبما يسمى حسن التخلص في الانتقال من فكرة إلى أخرى في النص.[4]

وقد أكدّ النقاد القدامى ضرورة أن يعتني الشاعر بالجوانب التي تعزز من نجاح العملية التواصلية، وتساعد الشاعر في بلوغ غايته، وتسهم في تحقيق النص لأعلى درجات الرضا

---

[1] الزجاج، معاني القران وإعرابه، 40

[2] مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية فرنسي/انجليزي/عربي، دار الفكر، ط1، بيروت، 1995 ص،10

[3] سيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، ط1، لبنان،1985، ص،172

[4] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص:158

والقبول عند المتلقي، فحسب تعبير ابن طباطبا فانه:" واجب على صانع الشعر أن يصنعه صنعة متقنة، لطيفة، مقبولة، مستحسنة، مجتلبة لمحبة السامع له، والناظر بعقله إليه، مستدعية لعشق التأمل في محاسنه، والمفترس في بدائعه".[1]

والمتأمل فكرة النظم التي أقامها الجرجاني يجد أنها تقوم في احد محاورها على شرط تحقق المقبولية في النص، وتحقيق مبدأ الاستحسان، والرضا في نفس المتلقي، فمن ذلك قوله في كتاب دلائل الإعجاز:"فإذا قلت:هو كثير رماد القدر، كان له موقع وحظ من القبول لا يكون إذا قلت:هو كثير القرى والضيافة"[2]، كما نجد الجرجاني يسند إلى المتلقي عملية الحكم على بلاغة النص، استنادا لعمليتي الفهم والقبول، حيث يقول:شرط البلاغة أن يكون المعنى مفهوما واللفظ مقبولا[3]، مما يؤكد أن مقبولية النص هي عملية تالية، وتابعة لعملية فهم النص، إذ لا مجال لتحقق المقبولية في غياب الفهم.

مفهوم المقبولية في الدراسات اللسانية الحديثة :

يقصد بالمقبولية Acceptability مدى استجابة المتلقي للنص وقبوله له، أي: أنها تعني طبيعة استقبال المتلقي للنص بعدّه متماسكا منسجما ذا نفع للمستقبل، أو ذا صلة ما به،[4] لذلك فهي عملية تفاعلية بين النص والمتلقي، من هنا يبرز الدور الذي يضطلع به معياري التماسك والانسجام في عملية بناء النص بما يكفل تحقيق استمرارية المعنى، وتنظيم المعلومات بداخله، ولهذا السبب كان مستوى المقبولية في النص يزيد وينقص تبعا لمدى تحقق التماسك، والانسجام في النص، لأنهما يساعدان القارئ على متابعة ترابط النص، ويسهمان في سد الفجوات اللغوية، والعلاقات المتماسكة فيما بينها داخل النص، ولهذا السبب فكلما كان النص متماسكا، منسجما، زادت حظوظه في التأثير على المتلقي، وقويت نسبة التقبلية فيه.

[1] ابن طباطبا، عيار الشعر، ص: 203
[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ج1.ص:43
[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ،ج1.ص:47
[4] روبرت دي بوجراند، مدخل إلى علم لغة النص، ص، 132

المقبولية والسياق:

يرى الدكتور حسام احمد فرج أن القارئ عندما يستنتج فهو يقوم بذلك بعمل سياق من اجل تفسير المعلومات الجديدة لكي يصنع التماسك والاستمرارية في النص، وقدرة القارئ على استخراج المعلومات، وعمل الاستنتاجات الضرورة يعتمد على مدى اتساع وتنوع المعلومات المخزونة، المشتملة على معرفة العالم، والسببية، وأعراف المحادثة، وبدمجه للمعاني التي يدركها من الخطاب مع المعلومات التي يعرفها بالفعل، فان القارئ يحدّد السياق الذي يفهم من خلاله أجزاء النص.[1]

فإذا كانت المقبولية مرتبطة بمنتج النص ومتلقيه، فانه وجب ألا نغفل تلك الظروف التي تحيط بها في السياق، أو الموقف، فهو الذي يساعد على الحكم بالقبول أو عدمه، من خلال مجموعة من القواعد الحاكمة التي يشير إليها:جون لونيز، حيث إن نظرية السياق عنده لا تعتبر الجملة كاملة المعنى إلا إذا صيغت طبقا لقواعد النحو وهو ما أطلق عليه اسم التقبلية Acceptability، فالسياق الذي يؤدي إلى التقبلية (القبول) ينبغي أن يراعى فيه:

- ✓ صحة القواعد النحوية
- ✓ توافق الوقوع أو (الرصف)بين مفردات الجملة

ومن هنا نصل إلى النتيجة المطلوبة بقبول المتلقي، ولعل هذا يدل على أن المقبولية يمكن أن تكون على مستوى الجملة وعلى مستوى النص، غير أنها تتطور في الجملة عن النص، حيث تكون المقبولية في الجملة أولا على مستوى الرصف وصحة القواعد النحوية، ثم يأتي المعنى النصي المتسم بالتماسك.[2]

وعلماء التفسير تحضر لديهم قرينة السياق فكثيرا ما ترد كمقابل للقرائن اللفظية المعينة على التفسير، واهتمامهم بسبب النزول مؤشر واضح على وعيهم الدقيق بمدى أهمية السياق في تفسير الآيات وما يتصل بها من ظروف نفسية واجتماعية وتاريخية.وقد أشار البقاعي فيما يتعلق بالسياق في تفسيره لقوله تعالى:" ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد

[1] حسام احمد فرج ، نظرية علم النص، ص:53

[2] احمد عفيفي، نحو النص، ص: 89

رأيتموه وأنتم تنظرون" (آل عمران 143) وهذه الآية جاءت في سياق الحديث عما أعقب غزوة أحد، وما أصاب المسلمين يومها، فيقول البقاعي في تفسيره ولما أرشد السياق إلى أن التقدير :فلقد كنتم تقولون :لئن خرجت بنا ليبتلين الله بلاء حسنا، عطف عليه قوله (ولقد) ويجوز أن يكون حلالا من فاعل (حسبتم) (منتم تمنون الموت) أي الحرب، عبر عنها به لأنها سببه، ولقد تمنى بعضهم الموت أي برؤية قتل إخوانكم، والضمير يصلح أن يكون للموت المعبر به عن الحرب، وللموت نفسه برؤية أسبابه القريبة.[1]

وفي تفسير قوله تعالى :" قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله ءالهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو اله واحد وإنني بريء مما تشركون" (الأنعام 19) يقول الإمام البقاعي: ولما قرر أنه أعظم شهيد، وأشار إلى شهادته بالآيات كلها، نبه على أعظمها، لأن إظهاره تعالى للقرآن على لسانه _صلى الله عليه وسلم_ علو وفق دعواه شهادة من الله له بالصدق، فقال ذاكرا لفائدته في سياق تهديد متكفل بإثبات الرسالة واثبات الوحدانية".[2]

وفي موضع آخر نجد اهتمامه بسياق الآية في تفسيره لقوله تعالى :"وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وءاتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين" (الأنعام 141) يقول البقاعي: ولما كان قوله (وهو الذي انزل من السماء ماء) في سياق الاستدلال على انه لا فاعل إلا الله، أمر فيه بالنظر إلى الثمر والينع ليعتبر بحالهما وكانت هذه الآية في سياق التعنيف لمن حرم ما رزقه الله والأمر بالأكل من حلال ما أنعم به والنهي عن تركه تدينا.[3] ففي هذا إشارة إلى أعظم مقاصد القرآن وهو تقرير التوحيد والاستدلال على قوة الخالق وقدرته ، إذ كان لهذا السياق دور في تأويل مضمون الخطاب في الآية.

---

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 151/2 .

[2] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 600/2 .

[3] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 227/2 .

المقبولية وإستراتيجية التلقي:

يمثل المتلقي جانبا مهما من جوانب عملية الإنتاج، التي تتكون من (المنتج والنص والمتلقي)، فلا شك أن النص يكتسب حياته من خلل المتلقي، إذا يفك شفرته ويستخرج ما فيه، ويتوقف ذلك على ثقافته، وفقهه، ومعرفته بعالم النص وسياقه، وذلك الأفق الذي يمكنه من إدراك ما في النص من أفكار، ومبادئ وجماليات، كما يمكنه من ملء الفراغ الكامن بين عناصر ذلك النص، وعلى وجه الخصوص ما يتصل بحذف العديد من العناصر من النص،[1] ومن هنا فقد احتل المتلقي مكانة عالية، حتى تأسست في الثلاثينات من هذا القرن نظرية التلقي،[2] والتي ظهرت بسبب النزاع الطبيعي بين المناهج النقدية، الذي تغذيه نظريات معرفية مختلفة، وقد كان النزاع مع التصور البنيوي للأدب احد المنطلقات الرئيسية، التي أسهمت في تعاظم دور جماليات التلقي، فقد كانت الظروف ملائمة لنشوء هذه النظرية بوصفها اعتراضا على طبيعة الفهم البنيوي للأدب، وهي كما هو معروف نزعة ألمانية في نقد استجابة القارئ تطورت تنظيميا في نهاية الستينات وبداية السبعينات على نحو خاص.[3]

وكان ابرز معطياتها أن كلا من المعنى والبناء ينتجان عن تفاعل النص والقارئ، فالقارئ – إلى حد ما– هو المبدع المشارك لا النص نفسه، وحتى يتفاعل المتلقي مع النص عليه ألا يتوقف عند التفسير التقليدي للنص ولا بد أن يشارك في صنع المعنى، لذلك ميز أصحاب نظرية الاستقبال بين مهمتين للقارئ هما:

[1] حسام احمد فرج ، نظرية علم النص، ص:54

[2] ناظم خضرة عودة، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق، ط1،الأردن، 1997 ص:121

[3] عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، ص:35

- ✓ **مهمة الإدراك المباشر:** وتمثل المستوى الأول في التعامل مع النص ولا يسمى عملا فنيا بحسب القارئ لان علاقته مع النص مازالت مفصولة.[1]
- ✓ **مهمة الاستذهان:** هو الهدف الذي يسعى إليه المتلقي في تعامله مع النص، فاستجلاء الغموض مهمة المتلقي، يكتشف فيها عالما لم يفطن إليه في المرحلة الأولى.[2]

ومن المهم أن نبين عملية القبول نفسها تتحكم فيها مجموعة من العوامل والمعايير منها:[3]

- ❖ أن النص يمكن أن يحتوي على مقدمات سياقية، تعين المتلقي على الفهم والتأويل أو لا يحتوي.
- ❖ معرفة المتلقي بالمتكلم وبنوع النص يساعدان على وجود تحفز في التركيز على فعل القراءة، ويساعدان على تعميق انتباهه، ومن ذلك ميل بعض القراء لتقبل نوع معين من النصوص، فلكل نوع من أنواع النصوص قراؤه الذين لهم طبيعة خاصة في قراءتهم، وفي توجههم وفي ردود فعلهم بعد فعل القراءة.
- ❖ وضوح المضمون العام للنص (أو البنية الكبرى) أو إبهامه مؤثر حقيقي في تقبل القارئ للنص، والأمر يعتمد على القارئ وعلى شخصيته.
- ❖ أهمية الرسالة للمتلقي: فأي قارئ لا يستقي إلا المعلومات المهمة في النص، ويشكل البنية النصية في الذاكرة على أساس اهتماماته، وميوله، ومعارفه، وأهدافه الخاصة، ويمكن أن تحفز تلك الميول إلى استيعاب أجزاء من النص معينة استيعابا خاطئا، وعلى إضفاء خاصية البنية الكبرى على قضايا معينة، دون أن يقدم لذلك دواعي موضوعية.

---

[1] محمود عباس عبد الواحد، قراءة النص وجماليات التلقي، دار الفكر العربي، ط1،القاهرة 1996، ص:22

[2] محمود عباس عبد الواحد، قراءة النص وجماليات التلقي ص:23

[3] حسام احمد فرج ، نظرية علم النص، ص:55

- ❖ الجامع الخيالي(الذي يخلق من متلق لأخر)، ويتمثل هذا الجامع في أن يقوم الشخص بجمع أشياء إلى بعضها، لارتباط بينها في الخيال، لأسباب مؤدية لذلك، وهو أمر نسبي فكم من صور تتعالق في خيال وهي في آخر لا تتعالق.
- ❖ تتعدد أحوال القارئ الواحد، وتعدد القراء بسبب خلفياتهم الفكرية، والإيديولوجية، يؤدي إلى تعدد مرجعيات التفسير والتقديم.
- ❖ العوامل النفسية: كأن نكون أشرارا أو سعداء أو متوترين حين نقرأ نصا ما. [1]

[1] حسام احمد فرج ، نظرية علم النص، ص:55

خاتمة

الحمد لله الذي هداني لهذا وما كنت لأهتدي لولا أن هداني الله.

بعد هذه الرحلة الممتعة مع البقاعي، والنظر في متون الكتب، توصل البحث إلى مجموعة من النتائج يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

❖ التراث العربي غني بالعديد من الممارسات النصية التي تقترب من منهج لسانيات النص الحديثة، وخاصة مؤلفات علوم القرآن التي تستعمل العديد من المصطلحات التي تعد من صميم البحث النصي مثل: السبك، الحبك، الاتساق، الانسجام،الترابط، المناسبة، السياق ... وهذا ما أدى إلى وجود تقاطع بين اللسانيات النصية وعلوم القرآن، وذلك أن موضوع كل من الدراستين هو النص، إلا أن الفرق بينهما كون الأولى تعتمد على نصوص بشرية، وأما الثانية فتعتمد على نص إلهي مقدس.

❖ إن تفسير البقاعي"نظم الدرر" جاء فريداً من نوعه حيث لم يصنف قبله مثله على نمطه فكان البقاعي هو الرائد الأول في هذا الميدان.

❖ لم يفرد البقاعي لمعايير النصية أبوابا وفصولا خاصة بها، ولكنها تناثرت في ثنايا الكتاب وفي فصوله.

❖ توصل الإمام البقاعي في إرساء معايير نصية للسورة القرآنية من خلال تتبعه لظاهرة التناسب في نص القرآن الكريم، وتتلخص هذه المعايير في: شدة الانتظام (الاتساق)، والتئام المعاني وصحتها (الانسجام)، ووحدة المقصد (القصدية)، والارتباط واتحاد الخاتمة بالفاتحة، والطول والبيان، وتفصيل العلوم، وبالنظر إلى ذلك نجد أنها معايير تحيط بالنص من كل جوانبه، وتستحضر أقطابه الثلاثة المهمة: منشئ النص، النص، المتلقي.

❖ يتحقق الانسجام النصي على المستوى الدلالي، بالاعتماد على عدة مبادئ يتضمنها الإتقان هي: معرفة السياق، وفواتح السور، وموضوع الخطاب، وعلاقة الإجمال والتفصيل.

❖ يتصل المستوى الدلالي بمفهوم "الحبك المعنوي ،" وهو ثاني المعايير النصية، وقد فطن النقاد العرب إلى أهمية العلاقات الدلالية التي تربط بين وحدات النص الجزئية لتشكل

الوحدة النصية الكلية لنص ما، ولاسيما النص الشعري، فقد استعمل النقاد العرب القدماء مصطلحات، مثل: القران، وتنسيق الأبيات، وحسن تجاورها، وانتظام معانيها، واتصال الكلام فيها، والمشاكلة بين أجزاء الكلام، وتلاحم الأجزاء، والتناسب، والمؤاخاة بين المعاني. إن هذه المصطلحات والمفاهيم تدلُّ على إدراك ووعي . لم يأت مصادفةً . لمفهوم مبدأ (الاستمرارية المعنوية) الذي يوفر للنص صفة التماسك الدلالي بين أجزائه ليصبح كلاً متحداً، بحسب علماء لغة النص المحدثين.

❖ اعتمد البقاعي على السياق في بيان كثير من الألفاظ وقد عدّ كلاّ من صيغه الأمر والنهي ذات معانٍ متعددة لا يمكن الوقوف على معانيها إلاّ من خلال السياق.

❖ اعتمد البقاعي في كثير من النصوص على أسباب نزولها لبيان معانيها أو الاكتفاء بذكر سبب النزول.

❖ وصف الباحثون في علم لغة النص "المقامية "، بأنها واحدة من أهم المعايير التي يقوم عليها النص، وذلك لقناعتهم بأن دراسة النص لن تكون كافيةً بالوقوف فقط عند بنيته النحوية أو الدلالية، بل لابد من دراسته على مستوى الخطاب، فالمقامية تتضمن العوامل التي تجعل النص ذا صلة بموقف حالي، أو موقف قابل الاسترجاع ولا شك في أن العرب القدامى قد فطنوا إلى أن اللغة ظاهرة اجتماعية، يمكن تحليلها في إطار المواقف الاجتماعية المختلفة التي يسمى كلٌّ منها "مقاما،" وتبعاً لذلك فإن صورة "المقال" تتأثر بحسب "المقام" الذي يقال فيه، وقد استفاض هذا المعنى بين العرب القدماء حتى أصبح من أمثالهم السائرة، فقالوا:"لكل مقامٍ مقال ،" وأفاد النقاد من ذلك فجعلوا وجوب "مطابقة الكلام لمقتضى الحال" شرطاً من شروط القول البليغ.

❖ جاء علماء النص المحدثون ليجعلوا من "القصدية" معياراً من المعايير التي يقوم بها النص، وانتهى النقاد المحدثون في هذا إلى ما بدأ به النقاد والبلاغيون العرب القدماء، من أن القصد، ولاسيما في النصوص الإبداعية من الأسس التي ينبغي إدراكها من المتلقي، بل يعد من أهم الأسس، لأنّه يشير إلى فكرة النص لتفسير دلالته، فالنص الذي يبقى القصد فيه

غامضاً، أو متوارياً يكون عرضةً إلى انعدام علاقة التواصل بين منتجه ومتلقّيه، وقد عبر النقاد العرب القدامى عن القصد بألفاظ كثيرة منها: "الغرض"، و"الحاجة"، و"المراد"، و"الفائدة" وغيرها. وربما كان يراد بلفظ (البلاغة) عندهم المقصد، وربما كان المراد من قولنا:علم البلاغة، علم المقاصد.

❖ إذا ما عدنا إلى ما قدّمه البقاعي في تفسيره، نجد أن الجوانب التداولية تحظى بأولوية خاصة في فهم القرآن، كونه خطابا تنتظمه بنية كلية، يجب أن يسعى المتلقي إلى اكتشافها عبر إدراكه للعلاقات التي تشكل النص، وتحقق اتساقه وانسجام أجزائه، ولقد كان لهذا الأمر نصيب من كلام البقاعي حين وضع معايير نصية للسورة القرآنية، فجعل شرطا من شروط استيفائها ما أسماه (وحدة المقصد)، ويعتمد على دور المقصدية في تفسير ترتيب أجزاء النص القرآني.

❖ كان للالتفات أثر بارز في تفسير"نظم الدرر" إذ وقف على القسم الأكبر منه وما يخرج إليه من أغراض بلاغية، واستعمل البقاعي لفظ العدول والالتفات والانتقال فالمصطلحات واحدة لا تختلف في مدلولاتها .

❖ تطرق البقاعي إلى أسلوب التقديم والتأخير في اللغة، وأبرز الأغراض الدلالية التي يخرج إليها هذا الأسلوب داخل النظم وكذلك أسلوب الذكر.

إلى هنا تأتي خاتمة ما خطه القلم، وما خطه ليس من عدم، بل يبقى الفضل لمن سبقونا بدراساتهم، فكانت نورا يهتدى به، واسأل الله أن ينفعنا وإياكم بهذا العمل.

والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على نبيّه الأكرم محمّد الأمين وآله الطيبين الطاهرين.

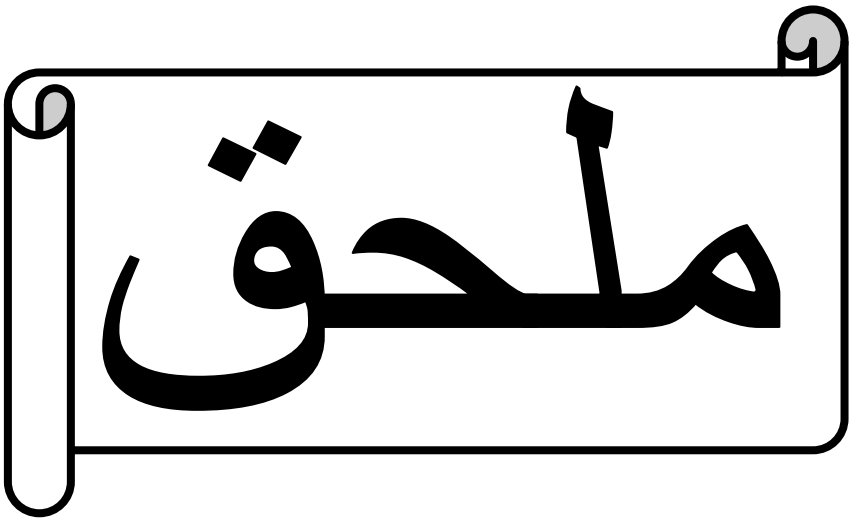
ملحق

التعريف ببرهان الدين البقاعي :

- **مولده :**

ولد البقاعي رحمه الله تقريبا سنة (1406هـ- 809م) في قرية خربة روحا من قرى البقاع الغربي من قضاء راشيا الوادي، وقد ذكر البقاعي مولده ونسبه في نظم كتبه على استدعاء طلبه منه تلاميذه له ليجزيهم برواية كتبه و مروياته فقال :

اجزيهم مطلبهم ومولدي تاسع قرن تاسع في الجبل

وقد تكلم البقاعي عن ولادته في كتابه دلالة البرهان القويم فيقول: "ومولدي في تاسع هذا القرن سنة تسع وثمانمائة بقرية من بلاد البقاع من أعمال دمشق من جملة الأراضي المقدسة ولله الحمد

[1] وقد ذكر البقاعي في تاريخه أنه ولد من غير صراخ فظن الحاضرون أنه ميت، وتركوه ملقى من غير ساتر، إلى أن اكتشفت بعض قريباته أنه على قيد الحياة بعد أن عطس.

وأما عن نشأته فقد نشأ البقاعي وترعرع في أسرة فقيرة الحال في قرية خربة روحا من محافظة البقاع في لبنان حاليا منذ ولادته في سنة 809هـ وتعلم القرآن وحفظه في هذه القرية على يد أستاذه أبي الجواد محمد بن عثمان الخربائي الشافعي، المتوفى سنة 850هـ وصلى البقاع بالقرآن التراويح قبل أن يبلغ الثانية عشرة من عمره، وفي عام 821هـ ليلة الأحد تاسع شعبان حدثت له ولأقاربه حادثة مؤلمة فقتل فيها أبوه وعماه وستة من أقاربه غدرا[2].

---

[1] زهرة صالح اسماعيل ابو عبيد الله، منهج البقاعي في القراءات في تفسيره نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، رسالة مقدمة لنيل متطالمرجع نفسهلبات الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلامية، غزة، 2012 م ص: 40

[2] زهرة صالح اسماعيل أبو عبيد الله، منهج البقاعي في القراءات في تفسيره نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ص: 40

- **<u>مناصبه التي تولاها :</u>** تولى البقاعي عدّة مناصب في حياته، والتي كان أولها قراءة صحيح البخاري في قلعة الجبل أمام السلطان، والتي كانت بترشيح من شيخه ابن حجر العسقلاني، واستمر فيها تسع سنوات من سنة 842هـ إلى سنة 851هـ.

وبعد ذلك تولى مهنة التدريس في المدرسة المؤيدية في سنة 85هـ بعد وفاة الشيخ أمين الدين محمد بن علي بن موسى الشافعي، وكان يعدها البقاعي أولى وظائفه لأنه أصبح من خلال وظيفته هذه شيخا للقراءات تدريسا وإجازة، حيث كان يقرئ ويدرس ويجيز، ويقول البقاعي عن وظيفته هذه: " وأخذت عنه تدريس القراءات بالمؤيدية وهي أول وظيفة حصلت لي، والقراءات أول علم اشتغلت به، فكانت مناسبة عظيمة "[1].

تولّى تفسير القرآن الكريم في الجامع الظاهري بالحسينية، ويذكر البقاعي أن الله عز وجل فتح عليه علم المناسبات أثناء تفسيره للقرآن الكريم الذي استمر في تفسيره نيف وعشرين سنة ثم بدأ ختمة أخرى، ثم بعد ذلك نظر على وقف خان الفندق المنسوب إلى عمارة الملك العادل نور الدين الشهيد محمود بن زنكي في بلاد الزبداني، وهو كورة مشهورة بين دمشق وبعلبك، وقد أخذ أوقافه من إسماعيل بن يوسف مقدم تلك البلاد ثم سافر البقاعي من مصر إلى الشام لعمارة خان الفندق وقد سر السلطان منه بذلك وأعطاه مائتي دينار[2،3]

ثم توجه البقاعي إلى دمشق سنة 880هـ، وأنزله متصرف دمشق بالمدرسة الغزالية وأعطاه مشيخة القراء بتربة أم الصالح .

---

[1] المرجع نفسه،ص: 45

[2] المرجع نفسه،ص: 46

[3]

- **وفاته :**

لم يزل البقاعي –رحمه الله – يكابد الشدائد ويناهد العظائم قبل رحلته من مص، وبعد رحلته إلى دمشق، حتى وافاه الأجل المحتوم وتوفاه الله تعالى بعد أن تفتت كبده كما قيل في ليلة السبت ثامن عشر من رجب عام 885هـ الموافق ل 1480 م عن ست وسبعين سنة، وصلّى عليه في الجامع الأموي، ودفن في المقبرة الحميرية –أو الحميرية – خارج دمشف من جهة قبر عاتكة، ويقوم عليها الآن حي الشويكة، وقد رثى نفسه قبل موته بمدة وهو في القاهرة فقال :

نعم إنني عما قريب لميت ومن ذا الذي يبقى عليه الحدثان
كأني بي أنعي إليك وعندها ترى خبرا صحت له الآذان
فلا حسد يبقى لديك ولا قلى فتنطق من مدحي بأي معان
فتنظر أوصافي فتعلم أنها علت عن مدان في أعز مكان
ويمس رجال قد تهدم ركنهم فمدمعهم لي دائم الهملان
فكم من عزيز بي يذل جماحه ويطمع فيه ذو شقا وهوان
فيا رب من يفجا بهول بوده ولو كنت موجودا إليه دعاني
ويارب شخص قد دهته مصيبة لها القلب أمس دائم الخفقان
فيطلب من يجلو صداها فلا يرى ولو كنت جلتها يدي ولساني
وكم ظالم نالته مني غضاضة لنصرة مظلوم ضعيف جنان
وكم خطة سامت ذويها معرة أعيذت بضرب من يدي وطعان
فان يرثني من كنت أجمح شمله بتشتيت شملي فالوفاء رثائي
وإلا نعاني كل خلق ترفعت به هممي عن شائن وبكاني[1]

- **علمه وآثاره :**

[1] محمد بن عبد الرحمان السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل ج1، بيروت لبنان ص: 107-108

عاش البقاعي في عصر المماليك، الذي تميز بالحركة العلمية النشطة والمتنوعة، لذلك فقد اتجه إلى التأليف، وجاب البلاد والأقطار في سبيل العلم والمرابطة، وألف الكتب العديدة في المجالات المختلفة، فيصرح البقاعي قائلا: " ومصنفاتي تقارب المائة " وفي موضع آخر يقول: " لي ما يزيد عن ستين مصنفا منها ما هو عشر مجلدات، ومنها ما هو مجلد ومنها ما هو أقل أو أكثر، ولا أقول هذا فخرا بل تعريفا بالحال ..."[1]

ويمكن حصر مؤلفاته في :

الحديث وعلومه :

- النكت الوفية في شرح الألفية للعراقي
- الإعلام بسن الهجرة إلى الشام

الفقه :

- الإيذان بفتح أسرار التشهد والأذان

أصول الفقه :

- شرح جمع الجوامح للسيكي
- بيان الإجماع على منع الاجتماع في بدعة الفناء والسماع

السيرة :

- جواهر البحار في نظم سيرة النبي المختار
- بذل النصح والشفقة للتعريف بصحبة ورقة
- الاطلاع على حجة الوداع

العقيدة :

- النكت والفوائد على شرح العقائد لسعد الدين التفتازاني
- تنبيه الغبي بتكفير عمر بن الفارض وابن عربي

[1] زهرة صالح إسماعيل أبو عبيد الله، منهج البقاعي في القراءات في تفسيره نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ص: 54

التاريخ وتاريخ الرجال :

- إظهار العصر لأسرار أهل العصر
- عنوان الزمان في تاريخ الشيوخ والأقران، وهو مخطوط في أربع مجلدات
- مختصر عنوان الزمان
- أخبار الجلاد في فتح البلاد

الشعر :

- إشعار الواعي بإشعار البقاعي

الحساب :

- الباحة في علمي الحساب والمساحة

تفسير القرآن الكريم :

- نظم الدرر في تناسب الآي والسور
- دلالة البرهان القويم على تناسب آي القرآن الكريم

في القراءات والتجويد :

- القول المفيد في أصول التجويد لكتاب ربنا الحميد
- كفاية القارئ وغنية المقرئ بقراءة أبي عمرو بن العلاء البصري

التعريف بتفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور :

يعد كتاب برهان الدين البقاعي "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"من أبرز الكتب التي ألفت في قضايا الدراسات النصية، على مستوى التطبيق في التراث العربي،حيث انه من الكتب السباقة في مضمار الربط بين الجمل، في المتتالية النصية،سواء على ربط السورة الواحدة، أو ربط السور المتتالية، والمتباعدة.[1]

[1] سليمان بوراس، إسهامات الدرس القرآني في تحديد مقولات لسانيات النص، مجلة التواصلية، العدد الرابع، الجزائر، ص:113

وهو من أجلّ كتب التفسير التي تكلمت عن التناسب بين الآيات والسور في القرآن الكريم، ويعد أول تفسير كامل من نوعه يتناول تطبيق علم المناسبة بين الآيات والسور.

فقد أثنى البقاعي على نفسه في مقدمته قائلا :"الإمام العلامة ذو الفنون العديدة والتصانيف المفيدة، والأقاويل السديدة ....."[1]

وقد امتدح تفسيره ووصفه بأنه كتاب مزيد من نوعه لم يسبقه إليه أحد من العلماء، فقال في ذلك:"فهذا كتاب عجاب رفيع الجناب، في فن ما رأيت من سبقني إليه، ولا عول ثاقب فكره عليه، أذكر فيه إن شاء الله مناسبات ترتيب السور والآيات ...."[2]

وقال عنه أيضا :"وهو لبيان أنه لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بكلمة تقوم مقام كلمة من كتاب الله في أسلوبها أو يقدموها عن موضعها أو يؤخروها تؤدي جميع معناها في التركيب الذي نظمها الله تعالى فيه، ما قدروا ...."[3]

ويرى الإمام البقاعي أن تفسيره هذا، التفسير الأنف في بابه الذي لم يسبقه إليه أحد يرى أنه رديف لتفسير القاضي، وإذا كان تفسير القاضي البيضاوي قد احتضنه العلماء شرحا وتفصيلا,فان إطناب الإمام البقاعي في كتابه واسترساله فيه –إلى حد كبير –لم يدع مجالا لمستزيد بالمعنى الذي تركه القاضي، حيث كانت عبارة الأخير موجزة مقتضبة، مما أدى إلى ما هو معروف من جعل كتابه مشغلة لكثير من الأئمة بعده شرحا وتعليقا وتغليقا[4].

وأما اسمه المختار فهو:" نظم الدرر في تناسب الآيات والسور " ويناسب أن يسمى ب:"فتح الرحمن في تناسب أجزاء القرآن "، أو ب " ترجمان القرآن ومبدي مناسبات الفرقان" ولكن التسمية الأولى هي المختارة .

---

[1] برهان الدين البقاعي :نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت،1995، ج1,ص:3

[2] المصدر نفسه.ج8، ص :3

[3] برهان الدين البقاعي تفسير دلالة البرهان القويم، ص : 22

[4] برهان الدين البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ص :4/2/1(بتصرف)

وقد أسماه أيضا بكتاب (لمّا)لأنه أكثر من ذكرها فيه، وقد امتدح تفسيره وقال فيه شعرا وممّا قاله :

هذا كتاب لمّا لمّ المعاني لمّا

غدوت بحور علمه تمدّ مدا جمّا

بشرت من يحسده بأن يموت غمّا

فان قصدي صالح جاهدت فيه الهمّا

فربنا يقبله كيفية وكمّا[1]

أما موضوعه: فأجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب، ويعني بذلك آيات الله وسوره، وثمرته:هي الرتبة التي يستحقها الجزء بسبب ما له من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب، وأسّ ذلك هو تبيان رتب التناسب بين أجزاء الآيات من حيث ارتباطها بما قبلها وما بعدها، وهذا لا يكون إلا بالوقوف على مقصود السورة أولا، ثم النظر في جزئياتها[2].

ولهذا الكتاب نسخ عديدة مخطوطة في مكتبات العالم وهو مطبوع اليوم في أكثر من طبعتين:إحداهما:طبعة حيدر أباد الدكن في الهند عام 1976 في اثنين وعشرين مجلدا والأخرى في بيروت:دار الكتب العلمية والذي قام بتحقيقها وتخريج الآيات والأحاديث ووضع حواشيها هو عبد الرزاق غالب المهدي سنة 1416هـ/1995م وهي عبارة عن ثمان مجلدات[3].

- المجلد الأول: يحتوي على تفسير من أول سورة الفاتحة حتى أخر سورة البقرة، ويقع في 568 صفحة .

[1] برهان الدين البقاعي ، نظم الدرر ، ج8 ,ص621

[2] المصدر نفسه، ص :6/5/1(بتصرف)

[3] برهان الدين البقاعي تفسير دلالة البرهان القويم، ص : 23

- المجلد الثاني: يحتوي على تفسير من أول سورة أل عمران حتى أخر سورة الأنعام، ويقع في 760 صفحة.
- المجلد الثالث: يحتوي على تفسير من أول سورة الأعراف حتى أخر سورة هود، ويقع في 598 صفحة .
- المجلد الرابع: يحتوي على تفسير من أول سورة يوسف حتى أخر سورة مريم، ويقع في 567 صفحة .
- المجلد الخامس: يحتوي على تفسير من أول سورة طه حتى أخر سورة الروم، ويقع في 655 صفحة .
- المجلد السادس: يحتوي على تفسير من أول سورة الزخرف حتى أخر سورة الجمعة، ويقع في 624 صفحة.
- المجلد السابع: يحتوي على تفسير من أول سورة التغابن حتى أخر سورة الناس، ويقع في 632 صفحة .

وقد ابتدأ في تفسيره في شعبان وسط 861هـ في جامع الظاهر بالحسينية خارج القاهرة، حيث كان يتولى الوعظ في هذا المسجد، وفرغ من مسودته يوم الثلاثاء السابع من شعبان 875هـ في القاهرة في مسجده من رحبة باب العيد في القاهرة، أي أنه أمضى في تأليفه أربع عشرة سنة كاملة، وفرغ من تبييضه عصر يوم الأحد عاشر شعبان سنة 882هـ بمنزله الملاصق للمدرسة البادرائية من دمشق.

ويقول البقاعي في المدة التي قام بتبييض تفسيره:" فتلك اثنتان وعشرون سنة بعدد سني النبوة الزاهرة الأنيسة العلية الطاهرة المباركة الزكية، ولولا معونة الله أضحى معدوما، أو ناقصا مخروما[1].

ويذكر البقاعي في نهاية تفسيره المعاناة التي تعرض لها عندما وصل إلى منتصف التفسير حيث كثر عليه مهاجمة الحساد الذين صوبوا سهام شرورهم إليه، وأكثروا من التشنيع

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، ج8، ص :620

والتقبيح والتخطئة والتضليل عليه، وذلك لأنه كان يكثر النقل من التوراة والإنجيل، وبسبب تكفيره لابن عربي، وابن الفارض وبسبب بدعة دائم المعروف، فيقول البقاعي في ذلك:"فاني بعدما توغلت فيه واستقامت لي مبانيه، فوصلت إلى قريب من نصفه، فبالغ الفضلاء في وصفه بحسن سبكه وغزارة معانيه، دبّ داء الحسد في جماعته، فأكثروا التشييع بالتشنيع "[1]

أمّا عن الدافع الذي دفعه لتأليف هذا التفسير، هو امتثالا لقول الله تعالى :(ليدّبّروا آياته, وليتذكّر أولوا الألباب)

وتفسير هذه الآية كما بينها المفسرون أنّ الله عز وجل بيّن الغاية بين نزول القران العظيم هو العمل والنظر والتفكر في عواقب كل أية وما توصل إليه من المعاني لما في هذا القرآن من الأسرار العجيبة والحكم الجليلة فهو كتاب جليل كثير الخيرات رفيع العلم الغزير والنور الذي يستضاء به في الظلمات وهو الشفاء لكل داء، فإذا علينا أن نحفظ حروفه، ونعمل ، ونتعظ بما فيه لنكون من أصحاب العقول السليمة وهذه هي الغاية إنزاله المأمور به[2].

ويذكر البقاعي أنّ الله قد أمدّه بتأييد سماوي، وسهّل له ذلك ببركة مبشرة من أثار النبوة، حيث رأى روح القدس جبريل عليه السلام والنبي محمّد صلى الله عليه وسلم في صورة شابين أمردين في أحسن صورة راكبين على فرسين أخضرين في غاية الحسن متوجهين إلى المشرق، فقال:"فأيدني الله بركتهما، في تفسيره وتصنيفه بروح منه كما يشهده من طالعه وتدبره ..."[3]

[1] برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، ج8، ص :620

[2] المصدر نفسه،ج6،ص :381-382

[3] المصدر نفسه،ج1،ص 5

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم: رواية ورش عن نافع

المصادر:

برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق، عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

المراجع:

1. إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، ط1، الأردن 2007.

2. إبراهيم خليل، في نظرية الأدب وعلم النص، منشورات الاختلاف، ط1، 2010.

3. أحمد بن زكريا ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق، عبد السلام هارون، دار الفكر.

4. أحمد بن زكريا ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق، احمد بسج دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.

5. أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، مارس 2000

6. أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1987م.

7. أحمد نصيف، منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية في كتاب العين، الجنابي، بحث في كتاب المعجمية العربية، المجمع العلمي العراقي 1992م.

8. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في(المعاني، والبيان، والبديع)، ضبط وتدقيق وتوثيق، يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، المكتبة العصرية، دط، صيدا، بيروت.

9.أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، ط1، القاهرة، 2001.

10. الأزهر الزّنّاد، نسيج النص، المركز الثقافي العربي، ط1،الدار البيضاء، المغرب، 1993.

11. أسعد علي وفيكتور الكك، صناعة الكتابة، ط3، بيروت، 1977م.

12. أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق، عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت.

13. برهان الدين البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، دار جدة للنشر، ط1، المملكة العربية السعودية، 1987م.

14. أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن للباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف ط 5، مصر، 1997م.

15. أبو بكر محمّد بن أحمد بن سهل، أصول السرخسي، تح، أبو الوفا الأفغاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1973م.

16. بهاء الدين السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، مطبعة القاهرة، مصر، 1337هـ.

17. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، ط5، 2006.

18. تمام حسان، مقال قرينة السياق، الكتاب التذكاري لكلية دار العلوم، مطبعة عبير للكتب، ط1، القاهرة، 1993.

19. التهاوني، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت، 1996.

20. الجاحظ عمرو بن عمر، البيان والتبيين، تحقيق موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1998.

21. أبو جعفر بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، مصر، 1954م.

22. جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، شرح عبد الرحمن البرقوقي، المكتبة التجارية الكبرى، ط2، مصر،1934م .

23. جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج1ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان،1408 هـ - 1988.

24. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة عام 1394هـ - 1974 م.

25. جمعان عبد الكريم، إشكالات النص، دراسة لسانية نصية، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء،2009.

26. جمال الدين بن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، مكتبة طيبة، دار الخير، ط1، 1990.

27. جميل عبد المجيد، بلاغة النص، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 1999.

28. جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.

29. جميل الحمداوي، محاضرات في لسانيات النص، ط1، مكتبة المثقف، 2015م.

30. الجنابي أحمد نصيف، منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية في كتاب العين بحث في كتاب المعجمية العربية، المجمع العلمي العراقي، 1992م.

31. حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق، محمد الحبيب، الدار العربية للكتاب، ط2، تونس.

32. أبو حامد محمد بن محمد، المستصفى من علم الأصول، الغزالي، دار العلوم الحديثة، ط1، لبنان.

33. ابن حزم الأندلسي، الأحكام في أصول الأحكام، أشرف على طبعها أحمد شاكر، مطبعة العاصمة، القاهرة.

34. حسن طبل، علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم، مكتبة الإيمان، ط 2، مصر، 2004.

35. حسن نور الدين، الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل، دار العلوم العربية، ط1، لبنان، 1990.

36. حسام فرج، نظرية علم النص، مكتبة الآداب، ط2 القاهرة 2009.

37. أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تح، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد عوض، وشارك في تحقيقه د.زكريا عبد المجيد النوني والدكتور أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2001.

38. ابن خلدون، المقدمة، ط1، دار ابن الهيثم، القاهرة، 2005.

39. ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق،محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجبل، ط3، بيروت، 1981.

40. أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، الحجة في القراءات، تحقيق سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، ط4، 1404هـ.

41. الزركشي، البرهان في علم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، دت، لبنان.

42. الزملكاني كمال الدين عبد الواحد عبد الكريم، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تح، خديجة الحديثي والدكتور أحمد مطلوب، مطبعة العاني، ط1، بغداد، 1974م.

43. السكاكي أبا يعقوب محمد بن علي، مفتاح العلوم، مطبعة المكتبة العلمية الجديدة، بيروت.

44. سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح، عبد السلام محمد هارون، مطبعة المدني، ط3،1988م.

45. سعد الدين التفتازاني، تهذيب السعد ترتيب لكتاب (مختصرالمعاني)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، 3 مطبعة حجازي، ط3، مصر، 1950م.

46. سيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني ط1، لبنان.1985

47. سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام، 1405هـ – 1985م.

48. شرف الدين الحسين بن محمد الطيبي، التبيان في البيان، تحقيق، د. توفيق الفيل، وعبد اللطيف لطف الله، الكويت، 1986م.

49. صالح بلعيد، نظرية النظم، دار هومة للنشر والتوزيع، د ط، الجزائر، 2004.

50. صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1977م.

51. صبحي إبراهيم الفقي، علم لغة النص بين النظرية والتطبيق(دراسة تطبيقية على السور المكية)، ط1، دار قباء، القاهرة، 2000.

52. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، الشركة المصرية العالمية للنشر، ط1، لونجمان، مصر، 1996.

53. ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق احمد الحوفي وبدوي طبانة، منشورات دار الرفاعي، ط2، الرياض، 1983م.

54. طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية، دط، الإسكندرية، 1988.

55. طاهر سليمان حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية.

56. الطبرسي الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

57. الطبري أبو جعفر بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، مصر، 1954م.

58. علي بن احمد الواحدي النيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق نخبة من العلماء، دار الكتب العلمية،ط1، بيروت، لبنان، 1994م.

59. أبو عبد الله ابن شعيب الجزائري، الميسر في البلاغة العربية، دار الهدى للطباعة والنشر ط1، الجزائر، 1992م .

60. أبي عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، علق عليه فؤاد سزكين، مطبعة الخانجي ط2، مصر، 1981م.

61. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ت 471هـ، تعليق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مصر.

62. عبد القادر حسين، من علوم القرآن وتحليل نصوصه، دار قطري بن الفجاء للنشر والتوزيع، 1987م.

63. عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق،2006.

64. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة تداولية، دار الكتاب الجديد، ط1، ليبيا، 2004.

65. عبد العزيز عبد المعطي عرفة، من بلاغة النظم العربي (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني)، ج1عالم الكتب، ط1، بيروت، 1984م.

66. عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1985م.

67. عبد المتعال الصعيدي، البلاغة العربية، مكتبة الآداب، ط2، القاهرة، 1991.

68. عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، دراسة لغوية نحوية ودلالية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية ،2007.

69. عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب والقاهرة، ط2، 2009.

70. علي أبو المكارم، الظواهر اللغوية في التراث النحوي، دار غريب، ط1، القاهرة 2007.

71. علي زوين منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، مطابع الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م.

72. عمر محمد أبو خرمة، نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2004.

73. عيسى علي العاكوب، الكافي في علوم البلاغية(المعاني، البيان، البديع) منشورات الجامعة المفتوحة، ط1، 1993.

74. عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد احمد صقر دار التراث، ط2، القاهرة، 1393هـ

75. الفاضل اللبيب مسعود بن عمر التفتازاني، مختصر المعاني، مكتبة البشرى، ط1، باكستان.

76. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (و س ق)، دار الكتاب العربي.

77. فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، بإشراف عبد الرحمن محمد، المطبعة المصرية، ط3، 1965.

78. فندريس، اللغة تعريب، عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة البيان العربي، 1950م.

79. فولفجانج هاينه مان، ديتر فيهفجر، مدخل إلى علم اللغة النص، تحقيق سعيد حسن بحيري، مكتبة الزهراء، القاهرة، 2004.

80. ابن قتيبة عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، شرح وتحقيق،السيد أحمد صر، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي.

81. ابن القيم محمد، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،1991.

82. لينده قياس، لسانيات النص النظرية والتطبيق –مقامات الهمذاني نموذجا – مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2009.

83. مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية فرنسي/انجليزي/عربي، دار الفكر، ط1، بيروت، 1995.

84. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط3، 2007.

85. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب القاهرة، ط5، 1998.

86. المبرد، المقتضب، تح، محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، ط2، بيروت، دت.

87. محمد الأخضرالصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2008

88. محمد العمري، نظرية الأدب في القرن العشرين، ط2، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، 2004.

89. محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط2 ، 2006 ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.

90. محمد باقر الصدر، دروس في علم الأصول، مؤسسة النشر الإسلامية، دت.

91. محمد بن احمد ابن جزي الكلبي، التسهيل في علوم التنزيل دار الفكر، ط3، لبنان، بيروت، 1983 .

92. محمد بن احمد الأنصاري القرطبي،الجامع لأحكام القرآن، مطبعة دار الكتب المصرية، ط1، 1387 هـ – 1967م .

93. محمد بن عبد الرحمان السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، لبنان.

94. محمد بن عبد الرحمن القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح د. محمد عبد المنعم خفاجي، ج1، الشركة العالمية للكتاب، ط3، بيروت، 1989م .

95. محمد بن صالح العثيمين، شرح الأجرومية، مكتبة الرشد، ط1، الرباط، المملكة العربية السعودية، 2005.

96. محمد مفتاح، دينامية النص(تنظير وإيجاز)، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء، المغرب،2006.

97. محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، المركز العربي، ط2، الدار البيضاء، 1986.

98. محمود السعران، علم اللغة (مقدمة القارئ العربي)، دار المعارف، مصر،1962م.

99. محمود عباس عبد الواحد، قراءة النص وجماليات التلقي، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 1996.

100. مصطفى الصاوي الجويني، البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشاة المعارف مكتبة الإسكندرية، 1985 .

101. مصطفى عبد السلام أبو شادي، الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مكتبة القرآن، دط، القاهرة.

102. منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري،ط1، 2002.

103. منذر عياشي، العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء المغرب، 2004.

104. محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في وجوه تأويل آي القرآن، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المعارف، ط2، مصر، 1954م.

105. محمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج2، مطابع النصر الحديثة، ط1 الرياض، المملكة العربية السعودية، 1329هـ .

106. محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج3، مطبعة مصطفى البابي وأولاده، مصر، 1968م.

107. محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، ج1، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1385هـ – 1965م.

108. ابن منظور، لسان العرب، قدم له الشيخ عبد الله العلالي، أعاد بناءه على الحرف الأول، يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، 1988 .

109. ناصر الدين محمد البيضاوي الشيرازي، أنوار التنزيل في أسرار التأويل، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 1988م

110. ناظم خضرة عودة، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق، ط1، الأردن 1997

111. نواس محمد علي عبد عون الخفاجي، البحث الدلالي في كتاب أصول السرخسي، كلية الآداب الجامعة المستنصرية، 2001م

112. نظام الدين الحسين محمد بن الحسين النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق، إبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي وأولاده، مصر، ط1، 1967م

113. نظام الدين الحسين محمد بن الحسين النيسابوري، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق نخبة من العلماء، دار الكتب العلمية، ط1 لبنان، 1994م.

114. أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق محمد إبراهيم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة.

115. أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق علي البحاوي ومحمد أبو الفضل، المكتبة العصرية،ط1.

116. وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر ط2، دمشق، 1418 هـ .

117. يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت والدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.

118. يوسف أبو العدوس، البلاغة والأسلوبية، مقدمات عامة، مكتبة الأهلية للنشر والتوزيع ط 1، عمان، الأردن 1999.

الدوريات والمجلات:

1. الطيب الغزالي قواوة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها،عدد 4، جامعة الوادي، مطبعة منصور، مارس 2012م .

2. بشرى حمدي البستاني، وسن عبد الغني، في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم، دراسة نظرية، مجلة أبحاث، العدد (1)، كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل.

3. بشير ابرير، مفهوم النص في التراث اللساني العربي،مجلة جامعة دمشق، العدد1، مجلد 23، 2007.

4. خالد محمود جمعة، نظرية النص بين التنظير والتطبيق، مجلة علامات، م13، سبتمبر 2003 .

5. سعد مصلوح، نحو أجرومية النص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، عدد 10، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ،1991.

6. صاحب أبو جناح، السياق في الفكر اللغوي، مجلة الأقلام العدد 403، آذار نيسان 1992.

7. فهمية لحلوحي، مجلة علم النص، تحريات في دلالة النص وتداوله، جامعة محمد خيضر بسكرة، جانفي وجوان 2012.

8. عبد المالك مرتاض، في نظرية النص الأدبي، المجاهد(الأسبوعي الجزائرية) عدد 1424.

9. محمد العبسي، بنية الاستجابة في شروح حسن كامل الصيرفي، مجلة المنارة، العدد1، مجلد15، 2009.

10. محمد محمد صاجي، لسانيات النصوص ما هي؟ مجلة دفاتر الترجمة، عدد1،جامعة الجزائر، 1993.

11. ميلود مصطفى عاشور، القصدية والمقبولية بين التراث النقدي والدرس اللساني الحديث، مجلة جامعة المدينة العالمية، العدد 17،ماليزيا، 2016.

12. نعمان بوقرة،(نحو النص مبادئه واتجاهاته الأساسية في ضوء النظرية اللسانية الحديثة)، مجلة علامات، مج16، جمادى الأولى 428، ماي2007.

الرسائل والأطروحات الجامعية:

1. إقبال نجم التناسب ودوره في الإعجاز القرآني، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة العراق، 2009م.

2. أكرم عبد الوهاب محمد أمين، البقاعي ومنهجه في التفسير، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، 1992.

3. آمنة جمال إسماعيل كحيل، المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها، دراسة تطبيقية لسورتي النور وفاطر، رسالة ماجستير.

4. بن الدين بخولة، الإسهامات النصية في التراث العربي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات النصية، تخصص معجميات، كلية الآداب واللغات، جامعة وهران، 2016.

5. بلخير أرفيس، بلاغة النص بين الموروث البلاغي والدرس اللساني قراءة في حدود التأثير، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، مجلد11، العدد22، 2017.

6. بلخير أرفيس، بلاغة النص بين الموروث البلاغي والدرس اللساني في حدود التأثير.

7. بولنوار، آليات تحليل الخطاب في تفسير أضواء البيان للشنقيطي، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه، ورقلة ، 2014 .

8. خليفة عوشاش، المرجع والإحالة في النص الروائي، مجلة الممارسات اللغوية،المجلد5،العدد2، 2014.

9. الربيع بوجلال، المعايير النصية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير،جامعة بسكرة،الجزائر،2011.

10. الربيع بوجلال، معيار الإعلامية في التراث النقدي والبلاغي، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد18، جوان 2017.

11. الربيع بوجلال، القصد في التراث العربي وفي البحث النصي، مجلة العربية، المجلد4، العدد8، 2017.

12. زهرة صالح اسماعيل أبو عبيد الله، منهج البقاعي في القراءات في تفسيره نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، رسالة مقدمة لنيل متطلبات الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلامية، غزة ،2012م.

13. سليمان بوراس، القرائن النحوية اللفظية والاتساق النصي، بحث لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة باتنة، 2014.

14.سليمان بوراس، النص واتساقه بالإحالة في سورة القلم، مجلة المعيار،المجلد17، العدد34، 2013

15. سليمان بوراس، إسهامات الدرس القرآني في تحديد مقولات لسانيات النص، مجلة التواصلية، العدد الرابع، الجزائر.

16. سليمان بوراس، النص والإحالة دراسة في المفاهيم والأدوات والأشكال، مجلة تاريخ العلوم،عدد8، ج2، 2017

17. سليمان بوراس، مفهوم الاتساق والانسجام وأشكالهما، دراسات أدبية، العدد4، الخلدونية، دط، الجزائر، 2008.

18. عز الدين عماري، أثر البلاغة العربية في الدرس اللساني الحديث _نظرية النظم أنموذجا_ مجلة الممارسات اللغوية، 2015

19. عقيد خالد حمودي محيي العزاوي، الأساليب البلاغية في نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة بغداد، 2002م.

20. غيلوس صالح، الانسجام النصي في قصيدة جميلة للشاعر عقاب بلخير، مجلة المعيار، المجلد3، العدد5، 2012

21. فوزي إبراهيم عبد الرزاق، السياق ودلالته في توجيه المعنى، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1992م.

22. فهد الشتوي، دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام(رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى مكة المكرمة، 2005م .

23. قاسم فتحي عامر، فن الالتفات في البلاغة العربية(رسالة ماجستير)، كلية الآداب جامعة الموصل، 1988م.

24. قحطان جاسم محمد، الظواهر الدلالية في تفسير أضواء البيان للشنقيطي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، 2002.

25. محمد عبد الله علي سيف، البحث الدلالي عند الشوكاني في كتابه إرشاد الفحول، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة المستنصرية، 1999م.

26. محمد عبد الرحمن، الإعلامية أبعادها وأثرها في تلقي النص نظرية تاريخية، رسالة دكتوراه، كلية معارف الوحي، الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا، 2007

27. مشهور موسى، التناسب القرآني عند البقاعي، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 2001م.

الكتب المترجمة:

1. بالمر،علم الدلالة، ترجمة مجيد الماشطة، مطبعة العمال المركزي، بغداد، 1985م.

2. جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، ترجمة، عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية، بغداد،1987م.

3.روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، دار عالم الكتب، دط، مصر ،1998.

4.ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، ط1، القاهرة، 1992.

5. فان ديك، النص والسياق، ترجمة عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق،دط، المغرب 2000.

6. نيلس اريك انكفيست، الأسلوبية اللسانية، ترجمة أحمد مومن، معهد اللغات الأجنبية، دط، مطبوعات منتوري، قسنطينة، 2001.

7. يلمسليف، مدخل إلى علم النص ترجمة، سعيد بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1،القاهرة ، 2003م.

فهرس الموضوعات

إهداء

شكر وعرفان

مقدّمة.....	أ
الفص الأول: لسانيات النص مفاهيم نظرية	
المبحث الأول :	
مفهوم علم النص	9
نشأة لسانيات النص.....	10
مرتكزات لسانيات النص.....	12
الأهداف العلمية والإجرائية لنحو النص.....	14
المبحث الثاني :	
مفهوم النص.....	17
معايير النصية.....	23
مقاربات لسانيات النص.....	30
التعريف ببرهان الدين البقاعي.....	36
التعريف بتفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور.....	40
الفصل الثاني : الاتساق والانسجام في نظم الدرر	
المبحث الأول : الاتساق في كتاب نظم الدرر للبقاعي	
مفهوم الاتساق.....	46
آليات الاتساق في نظم الدرر.....	53
الإحالة.....	55

الوصل والفصل.....	60
الحذف.....	72
المبحث الثاني : الانسجام في كتاب نظم الدرر للبقاعي	
مفهوم الانسجام لغة	82
مفهوم الانسجام اصطلاحا	82
آليات الانسجام :.....	83
السياق	83
المناسبة.....	92
الفصل الثالث : المقامية والإعلامية في نظم الدرر	
المبحث الأول : السياق في كتاب نظم الدرر للبقاعي	
مفهوم المقامية.....	104
مفهوم السياق.....	106
أنواعه.....	108
اهتمام المدارس اللغوية الغربية بدلالة السياق.....	113
الدلالة السياقية في خلال كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور...	113
المبحث الثاني : الإعلامية في كتاب نظم الدرر للبقاعي	
مفهوم الإعلامية لغة.....	122
مفهوم الإعلامية في البحث اللساني.....	123
آلياتها.....	125
الفصل الرابع :القصدية والمقبولية في نظم الدرر	
المبحث الأول : القصدية في نظم الدرر للبقاعي	

مفهوم القصد في التراث النقدي البلاغي.....	141
مفهوم القصد في الدراسات اللسانية الحديثة.....	144
القصدية والمتلقي.....	145
آليات القصدية عند نظم الدرر للبقاعي.....	146
المبحث الثاني : المقبولية في نظم الدرر للبقاعي	
مفهوم المقبولية في التراث النقدي والبلاغي.....	169
مفهوم المقبولية في الدراسات اللسانية الحديثة.....	170
المقبولية والسياق.....	170
المقبولية وإستراتيجية التلقي.....	171
الخاتمة.....	178
ملحق.....	182
قائمة المصادر والمراجع.....	197
فهرس الموضوعات.....	
الملخص باللغة العربية	202
الملخص باللغة الانجليزية	203
الملخص باللغة الفرنسية	204

الملخص باللغة العربية:

يتناول هذا البحث الموسوم ب "المعايير النصية في كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي–دراسة في ضوء لسانيات النص–" محاولة الكشف عن المساهمات المرتبطة بالممارسات النصية في التراث العربي، والآليات التي اهتدى إليها البقاعي في تحليل النص القرآني واثبات وحدته الدلالية، ومدى إمكانية توصله إلى إرساء نظرية نصية فيما قدمه في تفسيره (نظم الدرر)، وقد توصلت الدراسة إلى نتائج عامة لعلَّ أهمها :

*أن البقاعي تمكن من توظيف آليات التماسك النصي في بحثه عن وجوه التناسب في النص القرآني على المستويات المختلفة دون أن يسميها، وتمكنت الدراسة من خلال القراءة المتأنية – في ضوء الدرس اللساني الحديث – من استنباطها بشكل مترابط، مما يرشح جهده لأن يكون أنموذجًا متكاملاً في التحليل النصي يتجاوز النماذج اللسانية التي تتوقف عند مستوى نص مفرد أو جزء منه.

*أن آليات التماسك النصي في نظم الدرر تجلت في المستويات المختلفة: المعجمي والتركيبي والدلالي والتداولي وفي كل منها وظّف آليات متعددة.

وفي الأخير توصلت الدراسة إلى إنَّ عمل البقاعي لا يمثل مشروعًا قرائيًا في مجال علم النص أو علم البلاغة، بل في علوم متعددة، كعلم النحو والصرف والمعجم، وعلم القراءات القرآنية وغيرها. ولذا فإنَّ كل عنوان من العناوين السابقة، يصحُّ أن يكون بحثا علميا جادا، ولذلك أوصي الدارسين في التراث العربي إلى الالتفات إلى هذا الجهد الضخم للكشف عن تلك الدرر المبثوثة في ثناياه.

Summary:

The goal of the present study is to settle on textual standards in NADM EDDORAR of EL-bakaii – as linguistic study – to discovercontribution related to textual practices in the Arab heritage and the mechanisms that EL-bakaii has used to analyze the Quranic text and prove their unity and also the possibility to establish a textual theory in what he had presented in the interpretation of the book.

The most important results of the study are summarized as follows:

- EL-bakaii was able to use the textual mechanismsin his search of aspect proportionality in the Quran text at man different levels without meaning it.
- Our study were able to extrapolate it in a coherent manner that can qualify his effort to be an interrogate model in textual analyze override linguistic form which stop at the level of isolate text or part of it.
- Mechanisms of textual cohesion in NADM EDDORAR were appeared in: lexical level, synthetic, semantic and pragmatic.

We concluded at the end that the work of EL-bakaii doesn't represented a reading project in science text or rhetoric but in various sciences such as grammar, morphology, Quranic reading and others, therefore each of previous title may be able to be a serious scientific research, and I recommend to shed light and pay attention to huge effort to detect those pearls buried in it.

Résumé

Cette recherche, intitulée «Normes textuelles dans le livre des systèmes de Durar dans la pertinence des versets et des sourates pour Al-Beqai - Étude à la lumière de la linguistique du texte» - traite de la tentative de découvrir les contributions liées aux pratiques textuelles dans le patrimoine arabe, les mécanismes qu'Al-Beqaa a guidés dans l'analyse du texte coranique et la preuve de son unité sémantique, et la preuve de son unité sémantique, et La possibilité pour lui d'établir une théorie textuelle dans ce qu'il a présenté dans son interprétation (systèmes de perles). L'étude a atteint des résultats généraux, dont les plus importants sont peut-être:

Qu'Al-Biqai a pu utiliser les mécanismes de cohésion textuelle dans sa recherche de l'objet de proportionnalité dans le texte coranique à divers niveaux sans l'appeler, et l'étude a pu, grâce à une lecture attentive - à la lumière de la leçon de langue moderne - les dériver de manière cohérente, ce qui suggère son effort pour être un modèle intégré dans l'analyse Le script contourne les formes linguistiques qui s'arrêtent au niveau d'un seul texte ou d'une partie de celui-ci.

* Les mécanismes de cohésion textuelle dans les systèmes de Durar se sont manifestés à différents niveaux: lexical, structurel, sémantique et délibératif, et dans chacun d'eux ont utilisé de multiples mécanismes.

Enfin, l'étude a conclu que le travail d'Al-Bukai n'est pas un projet de lecture dans le domaine de la science du texte ou de la rhétorique, mais plutôt dans plusieurs sciences, telles que la grammaire, la morphologie, le lexique et les lectures coraniques, entre autres. Par conséquent, chacun des titres précédents est valide pour être une recherche scientifique sérieuse, et je recommande donc à ceux qui étudient dans le patrimoine arabe de prêter attention à cet énorme effort pour révéler ces perles qui se répandent dans ses plis.